الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية - قسنطينة

كلية الآداب والحضارة الإسلامية
قسم اللغة العربية

تاريخ التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

تلقي الأماكن الخاوية في القصص القرآني

– سبأ أنموذجا–

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة والدراسات القرآنية

إعداد الطالبة:
عقيلة قرورو

إشراف الأستاذ الدكتور:
رابـــح دوب

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/زينب بوصبيعة	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر– قسنطينة	رئيسا
أ.د/رابح دوب	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر– قسنطينة	مشرفا ومقررا
أ.د/محمد زعراط	أستاذ	جامعة –وهران–	عضوا
أ.د/محمد كعوان	أستاذ	المدرسة العليا للأساتذة– قسنطينة	عضوا
د/صالح غربي	أستاذ محاضر أ	جامعة –تبسة–	عضوا

السنة الجامعية : 1435 /1436– 2015/2014

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٢١﴾

سورة سبأ. الآيات.15-21

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ٤٥﴾

سورة الحج . الآية. 45

ذكـــرى وإهـــداء

إلى ذكراك الباقية ياوالدي العزيز محمد الشريف قروررو حين رحلت إلى رحاب الله وودعك الآخرون وبقيت معي لأننا تعودنا أن نكون معا دائما ...فقد كنت وسوف تظل سندا قويا مشجعا لي على المضي قدما في طريق العلم و الإخلاص فيهُ..، متساميا معطاء كعهدي بك حيا على الدوام .

إلى والدتي التي قدمت لي تجارب الحياة في أشكال قصصية متنوعة محببة إلى أذني سماع الحكايات إليها وحدها أدين بحب القصص والإقبال على دراستهُ بشغف كبير غوصا و إبحارا وتطلعا إلى الموروث العربي الأصيل .

وإلى قرة عيني التي أرمق فيها تطلعات المستقبل المبارك نور الهدى علوية قاسيمي .

إليكم أهدي ثمرة هذا العمل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وعرفان

الشكر أولا لله عز وجل الذي أكرمني بأن يسر لي سبيل البحث والاجتهاد.

ثم الشكر لعباده وفي مقدمتهم أفراد عائلتي: والداي الكريمين كتب الله لهما بكل حرف من حروف هذه الرسالة حسنة، وأشقائي: جزاهم الله عني ألف خير وسدد خطاهم على تشجيعهم المستمر.

وأخص بالشكر والتقدير أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور رابح دوب لرعايتهُ لهذه الرسالة والإشراف عليها، حتى استقامت على هذه الصورة، فجزاه الله عنا خير الجزاء وجعلهُ نبراسا يهتدي بهُ وشعلة مضيئة لكل من حولهُ.

وشكر موصول بفائق الاحترام والتقدير إلى كل الأساتذة الدكاترة:

حسن بحراوي من جامعة محمد الخامس بالمغرب.

سليمان عشراتي من جامعة وهران.

محـــمد طـــول من جامعة تلمسان.

حبيب مونسي من جامعة سيدي بلعباس.

وأخيرا شكري الخاص إلى من صبر معي وتعب كثيرا من أجل إخراج هذه الرسالة على هذا النحو أخي السيد مرشي عبد العزيز وعائلتهُ الكريمة.

فلهؤلاء جميعا الشكر الجزيل

والثناء المحمود

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تفرض طبيعة التناغم بين الفرد ومكانه ميلادا ومستقرا ومثوى، السعي إلى البحث عن صيغ التأقلم والعيش، بغية تيسير سبل تحقيق الاستقرار والبناء والتطور، وذلك مرهون بتدبر الفضاءات الإنسانية بنوعيها: ماكان عامرا من مساكنها، وما أصبح متهدما خربا خاويا من أهله، وفق قراءة تستمد مرجعيتها من مصدرين هامين: أولهما: ما قص من أخبار ما قد سلف من الأمم الهالكة والقرى البائدة، وثانيهما: ما شوهد بحكم وجوب السير ضمن دائرة جغرافية القصص القرآني، استجابة إلى الدعوة إلى شد الرحال إلى مساكن الماضين والنظر في عاقبة أمرهم بالنظر إلى المتروك من آثارهم وبقايا ديارهم: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[1].

الأمر الذي شدد في التنبيه إليه النص القرآني مكررا ذلك في عدة مواضع بحديثه عن الأماكن التي شهدت وقائع تاريخية كبرى مركزا على الأماكن الخاوية التي حوتها مواطن متنوعة من آياته الكريمة والتي تفصح عن الارتباط الوثيق المقرون بجغرافية الأرض وديار الغابرين ضمن نطاق التواجد التاريخي والحضاري للقرى الهالكة التي غدت بقايا مندرسة يعرضها القرآن صحيفة حية تطفح عبرا ودروسا، وعالما عجيبا ينبض بالحياة، ويتدفق بالحيوية كأنها مشهودة مفعمة بالنشاط، اقتطع من مسيرة التاريخ العربي القديم.

وليبدو في إثرها جليا لقارئ معاني آيات القرى الهالكة أن يتلقى صورتها ماثلة في ذهنه وقد نزل العذاب الإلهي بساحتها، فتداعت منازلها، وتضعضعت جدرانها وسقطت سقوفها، ولم يبق منها سوى بقايا لآثار معمارية خربة، وبيوت خاوية من الحضور الإنساني، تقف اليوم شاهدة على حضارات سادت ثم أبيدت، تركت مساكنها الفارغة قصدا لتقع بمشاهدتها العبرة والعظة المستنبطة من سنن الله في الاجتماع البشري تجمعا وتفرقا، قياما وسقوطا، وكأداة تربية، ومصدر توجيه ووعظ، يدعم الفرد والجماعة.

على أنني لا أخفي أن باتجاه تحقيق هذا التصور الطموح ارتطمت بحواجز معرفية عرقلت مسار البحث في حظ سيره نحو وجهته المنتظرة، وذلك راجع إلى أسباب:

[1]- سورة الحج: الآية:45.

1- اتساع الموضوع وانفتاحه على عوالم معرفية متنوعة مما صعب فعل قراءة النصوص على وجهها الأصوب والأنفع في تحقيق المعنى الذي ينشأ نتيجة للتفاعل بين القارئ والنص، باعتباره أثرا يمكن ممارسته، وليس موضوعا يمكن تحديده "[1].

2- الغياب شبه الكلي لوجود مراجع تتماشى وطبيعة موضوع الفضاءات الخاوية من الحضور الإنساني وفق رؤية مزدوجة تجمع بين المعالجة التاريخية والحضارية للنص القرآني بمعطياته الخارجية، والطرح الأدبي النقدي الموجه لتفكيك بنية النص ومكوناته الأساسية ضمن سياقه الداخلي بمفاهيم ودلالات تنسجم مع أدبية الإعجاز بأبعاده.

3- التهيب الممزوج بالخوف والحذر الشديدين، مع قصور القدرة الاجتهادية التي تفضي إلى الإلمام بجوانب المنهج النقدي التأويلي وتطبيقاته أثناء التعامل مع النص القرآني كمتن عظيم يتأبى أن يقاس أو يقارب بعدة إجرائية نقدية معاصرة، وذلك احترازا امن المساس بقدسية القرآن الكريم، وتفاديا للوقوع في شطط، قد يخرج المتلقي له بفعل تجارب قرائية مسبقة عن حد الاعتدال الإيماني والموضوعية العلمية.

من هذا المنطلق يمكن دراسة مسألة خلو المنجز المعماري المتهدم، في ضوء إشكالية الخواء المكاني، المرهون بثنائية التحول من العمارة إلى الخراب، انطلاقا من القرآن في استعراضه لقصص الأماكن الخاوية في مساحات واسعة كفضاءات مكانية تستحق التوقف والتأمل والتدبر، وكشواهد حسية تستذكر بالمروى عنها، وتعتبر بالمرئي منها.

ولاشك أن معالجة إشكال على هذا النمط في النص القرآني يؤكد ارتباط الإنسان بالكون ويرصد طبيعة التناغم بين الفرد ومحيطه الخارجي على اعتبار " أن القرآن المقروء، هو أعظم تفسير وأسماه وأبلغ ترجمان وأعلاه لهذا الكون البديع،وهو قرآن آخر عظيم منظور "[2].

وقد حاولت أن استقصي – بالقدر المتاح بعض الجوانب المعرفية والفنية لموضوع " تلقي الأماكن الخاوية في القصص القرآني – سبأ أنموذجا – مما تمخض عنه تحقيق التناسب بين الطموح الشخصي في رؤية الموضوع من زاوية أخرى تخضع لمعالجته وانجازه وفق منهج علمي له خاصية المرونة في تطويع النصوص للفهم والتحليل الموصول بفعل القراءة والتفسير والتأويل، بأدوات

[1]- روبرت هولب، نظرية التلقي، ترجمة: عزالدين إسماعيل، النادي الأدبي الثقافي، جدة،د،ط، 2004م، ص 18.

[2]- زياد خليل الدغامين إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية عند النورسي، دار النبيل للنشر، أزمير، ط.1، 1998 م، ص 61.

إجرائية نقدية معاصرة لا تنأى عن الموضوعية في ملامسة النص الأم، ولا تسعى لتغييب مرجعيته الأصلية الأولى ضمن سياق معرفي معاصر له قابلية التموضع والحضور والمقروئية في كل آن. إنه الربط المنهجي بين قراءة القرآن وقراءة الكون أين تتجلى للقارئ طبيعة العلاقة بين قراءة الأماكن من طريق المسموع القصصي الإخباري ومشاهدة صورة المرئي من آثارهم من باب تلازم التلقي السمعي لقصص القرون الماضية والتلقي البصري بالنظر لبقاياهم العمرانية الصامتة، وذلك بالاعتماد على الحواس العليا للإنسان وهما السمع والبصر [1].

ولفهم موضوع "الأماكن الخاوية من المنظور القرآني، وطبيعة ارتباطها بظاهرة التقاطب المكاني في ظل التلقي بنوعيه السمعي والبصري، لابد من اعتماد الخطوات المنهجية التي تتيح للقارئ فرصة تأمل الموضوع وفق تصور إشكالية خلو مساكن الغابرين في القصص القرآني، والتي سنخص واحدة منها بالدراسة ألا وهي مملكة سبأ العظمى. والمكان في هذه الدراسة هو المكان الواقعي الذي بناه الإنسان –السبئي– وفق ما يشاء، لذلك فهو يتخذ شكلا، وله دلالة اجتماعية وتاريخية تعلن عن التطورات التي تطرأ عليه وعلى ساكنيه، وهو مزيج من التحولات والقيم والوشائج والارتباطات الإنسانية.

من هذه الزاوية يعد المكان السبئي مكانا محدد المعالم إذ قطنه السبئيون وألفوه وهو مبني وفق معمارية احتياجاتهم وبجغرافية محددة.

ليتحدد في ضوء ذلك موضوع بحثي موسوما بي: " تلقي الأماكن الخاوية في القصص القرآني " سبأ أنموذجا سعيا بذلك إلى تحقيق:

أولا: معالجة موضوع الانهدام المكاني وفق رؤية أخرى مضافة لمسارات الطرح من منطلق وضعية المتلقي كقارئ متفاعل مع النص القصصي وفق مرجعيته الثقافية المتنوعة المستقاة من النصوص الأدبية والنقدية ونصوص المفسرين والمؤرخين والرحالة.

ثانيا: تحديد آليات قراءة موضوع المساكن الخاوية بالاستعانة بالأدوات المعرفية المعاصرة أملا في استنتاج صياغة معرفية تنسجم والهدف التوجيهي التربوي تماشيا مع القانون الاعتباري الإنساني الخاضع لسنن قيام وسقوط الحضارات.

---

[1] – أحمد ياسوق، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط.1، 1994 م، ص 104.

وفي ظل ما سبق ذكره فتحت الحيرة عوالم المساءلة المعرفية عن إشكالات جوهرية نشير إليها في الشكل الأتي:

– فهم حقيقة العلاقة بين انهدامية المنجز المعماري وخلوه من ساكنيه؟

– النظر في حظ موضوع مساكن الغابرين الخاوية من اهتمام الباحثين العرب والدراسات النقدية العربية المعاصرة؟

– رؤية الكيفية التي رسمتها المدونة الدينية المقدسة لصورة المكان السبئي؟

– تتبع النمط الذي تمَ به تلقي مساكن الغابرين الخاوية في المنظور العربي القديم على المستوى السمعي في مجالس الشعر ومجالس العلم والوعظ وعلى المستوي البصري من خلال صور الرحالة في سيرهم ومرورهم بتلك المساكن؟

وأخرى فرعية متمثلة في:

كيفية رصد صورة التجلي الجمالي للمكان السبئي ومشاهد تداعيات الانهدام الحضاري في مدونات الشعر القديم وفق الذهنية العربية السابقة عن الإسلام.

ومثل هذا التصور يولد لدى الباحث رغبة ملحة ودفعا طموحا لولوج عالم دراسة الأماكن الخاوية في القصص القرآني تلبية ل:

– القلق المعرفي لمواصلة الحفر والتنقيب عن قصص الأمم البائدة التي كانت محل دراستي في بحث الماجستير بمواصلة البحث في جزئها المتبقي بعد الإبادة والمتمثل في مساكنهم الخاوية الذي يستوجب الدراسة والتحليل والتأمل والتدبر.

– الرغبة في معالجة موضوع الانهدام الحضاري لأماكن حضارة العرب الأولى، وفق منظور معرفي أدبي مزدوج.

– ندرة الدراسات في هذا المجال حول،الأماكن الخاوية، مع عدم خصه بدراسة منفردة شاملة كموضوع مستقل عن غيره، حيث أنه لم يحظ بالاهتمام الكافي،وجل ما هو مدروس مركز حول الأطلال كأماكن أثرية خربة تناولها النقد العربي من منظور الشعر العربي كما تنص عليه المدونات الأدبية الكبرى.

– السعي إلي إعادة طرح الموضوع من زاوية علمية مؤسسة على ما سبقها وفق قراءة واعية تخرجه من دائرته الضيقة إلى دائرة أوسع فاتحة أفق التأويل من النص إلي إعادة إنتاجه.

– مدى توافق البناء اللغوي في قاموسه اللفظي القرآني وتوظيفه في وإبراز العرض والتصوير لمشهد الانهدام الحضاري لمساكن الغابرين؟

– ما السياقات البيانية التي تضمنها التعبير القراني في عرضه للطلل المكاني الدارس؟

وإزاء هذه التساؤلات المنفتحة على عوالم المعرفة المتنوعة كان لزاما أن نرجع إلى جملة من المصادر والمراجع لإنجاز هذه الدراسة، والتي يمكن تقديم قراءة لفعاليتها بالنسبة للموضوع على النحو الآتي:

1- هناك مراجع استفدت من منهجيتها في معاينة النصوص، فكان لها الفضل الكبير في إضاءة الطريق أمامي، وفي طليعتها: الخطاب القرآني لسليمان عشراتي، والطلل في النص الشعري العربي لسعد حسن كموني، وبحوث في القصص القرآني للحافظ عبد ربه، وكذا الإعجاز في القصص القرآني لسعيد عطية، وفعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني لمحمد بن أحمد جهلان، السرد العربي القديم، إبراهيم صحراوي، التلقي والسياقات الثقافية، عبدالله إبراهيم.

2- مجموعة من الدراسات الأدبية والنقدية شكلت مراجع استفدت منها في فهم التلقي والسيمياء والتأويل والسرد شعرية الفضاء حسن نجمي، بنية الشكل الروائي حسن البحراوي، السبع المعلقات عبد المالك مرتاض، الوجود والزمن لبول ريكور، جماليات المكان غاستون باشلار، السرد العربي المفاهيم والتجليات سعيد يقطين جماليات المكان في النقد الأدبي المعاصر عبد الله أبو هيف، وعبقرية سيمياء العنوان، بسام فطوس الصورة والمكان –طاهر عبد مسلم، شعر الوقوف على الأطلال، عزة حسن، السرد والشفاهية عمر عبد الواحد، آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي، محمد بلوحي، جماليات الأسلوب والتلقي –موسى ربايعة، موسوعة الأساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها –محمد عجينة، عرائس المجالس، الثعلبي، فضاء المتخيل في الشعر الجاهلي، رشيد نظيف، فلسفة المكان في الشعر العربي – حبيب مونسي.

3- مراجع شكلت رصيدي المعرفي والثقافي التي انطلقت منها إلى تشكيل رؤية الموضوع من الزاوية التاريخية والحضارية: الرحلة في الأدب المغربي، عبد الرحيم مؤدن، الرحلة في الأدب العربي شعيب حليفي، تجليات المكان في السرد الحكائي العباسي، محمد الخوجة،تاريخ العرب الاقتصادي

قبل الإسلام، علي عبد المعطي، حضارة العرب، غاستوف لوبون، المنظار الهندسي للقرآن الكريم خالد فائق لعبيدي، العمارة والعمران في الوطن العربي، محمد عبد العال، تاريخ الطبري للطبري الدليل الموجز لأشهر المواقع الأثرية،مجموعة من الباحثين، حضارات العرب الأولى، عدنان تريسي.

4- وشكلت المعاجم، وكتب والبلاغة والتفسير أيضا مراجع ذات أهمية بالغة في تأصيل معاني المصطلح وتوظيفه في النص في إطار سياقه الداخلي والخارجي على حد سواء، فكان فضلها كبيرا: معجم مقاييس اللغة ابن فارس، القاموس المحيط، الفيروز آبادي، لسان العرب، ابن منظور، أساس البلاغة، الزغشري، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: مفردات غريب القرآن، الأصفهاني، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ألبقاعي، التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمان، التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم، ابتسام مرهون الصفار.

5- وهناك أخيرا المراجع التي أخذت منها النصوص التي تعاملت معها: الكتب المقدسة – العهد القديم والعهد الجديد–الدواوين الشعرية.المعلقات السبع للزوزني والمعلقات العشرة وأخبار شعرائها للشنقيطي جمهرة أشعار العرب.للقرشي، مروج الذهب. المسعودي. مقدمة ابن خلدون. تاريخ الطبري. يبلوغ يالأدب في معرفة أحوال العرب الألوسي شعراء الأمكنة جورج خليل مارون ...مما اهلنا في هيكلة الموضوع إلي أربعة فصول مهد لها بمقدمة شملت المحاور الأساسية التي ارتكزت عليها هذه الدراسة ويتلوها خاتمة مع فهرس للآيات القرآنية. وأخرى للأحاديث النبوية و بيبليوغرافيا البحث.

و لا شكَ أن طبيعة الموضوع وقراءته تفرض تحليله وفق المزج بين مجموعة مناهج بحسب متطلبات الفصول، حيث: التلقي السمعي.موضوع الدراسة استوجب الاستعانة بالمنهج الوصفي والمقارن في مجال معرفة مخبرية المكان بين نصوص القصص القرآني ونصوص الشعر العربي القديم. أما في مجال التلقي البصري للموضوع فاستأنست بالمنهج السيميائي للوقوف على صورة المكان وهندسته خارجيا مع عتبة النص معتمدة في تفسير القراءات على المنهج التأويلي الذي بدوره يسهل طرائق تلقي النص.

وهذا ما أسعفني في هيكلة الموضوع في شكله الهندسي الآتي:

الفصل الأول:جاء فيه الحديث عن الأماكن الخاوية في القرآن: التلقي وأنواعه وأسسه المعرفية، ويندرج تحت هذا العنوان مبحثان، المبحث الأول: الأماكن الخاوية: المفهوم والدلالة، والمبحث الثاني: أولا: منهج القرآن في عرضه للأماكن الخاوية، ثانيا: أسس ومرتكزات التلقي المكاني في القرآن الكريم.

الفصل الثاني:خصص للتلقي القصصي القرآني في ضوء الذهنية العربية من الفعالية الإخبارية إلى الفاعلية الاعتبارية، وهي قراءة استذكارية تعكس مرحلة التلقي السمعي في الموروث السردي العربي القديم والاحتفاء بالمحكي بطابعه الخرافي، الأسطوري والعجائبي الهادف إلى استمالة المستمع وتحقيق المتعة السمعية والتي اتسعت دائرته بمجيء الإسلام. هذا النمط من التصور توزعت معالجته على مبحثين.

المبحث الأول: تلقي القصص من الدلالة اللغوية والتجليات السردية إلى الفعالية الإخبارية.

والمبحث الثاني: القصص القرآني: بين الاستذكار الخبري والفاعلية الاعتبارية في ضوء أدبية التبليغ في النص القرآني.

أما **الفصل الثالث**: فدارت فكرته الرئيسية حول المكان السبئي وطرق تلقيه في مصادر المعرفة الموصولة بمرجعيتها الدينية المستمدة من نصوص الكتب المقدسة القرآن والتوراة والإنجيل، ومرجعيتها التاريخية الموثقة بنصوص المدونات التاريخية الكبرى إذ يفرض المنهج العلمي مناقشة هذه الفكرة والإحاطة بمعطياتها في هذا الفصل أن يكون مقسما على مرحلتين بمبحثين: المبحث الأول: تلقي المكان السبئي في الكتب المقدسة، أولا: سبأ في القرآن الكريم، المكان السبئي وجمالياته في نصوص التفاسير القرآنية ثم المفردات المكانية في قصة المكان السبئي في ضوء آيات سورتي النمل وسبأ، ثم تلقي المكان السبئي بمعالمه المعمارية في دراسات القصص القرآني.

والمبحث الثاني: تناول التلقي البصري للمكان السبئي في السرديات التاريخية.

أولا: قراءة في حضارية المكان السبئي في المرويات التاريخية.

ثانيا: التلقي البصري لصورة المنجز المعماري السبئي في السرديات العربية.

والفصل الرابع: خصص لتقديم قراءة في جماليات المكان السبئي في نص القصص القرآني (سورتا النمل وسبأ).

وتطلب تتبع هذه الجمالية المشكلة للواجهة المكانية السبئية المحكومة بمشهدين متضاديين في الصورة. في ظل التقاطب المكاني الذي يعكس التحول من العمارة إلى الخراب والخلو. وقد استدعى تقاسم طرح المشهدين وفق مبحثين: المبحث الأول: ذكر فيه التجلي الجمالي للمكان السبئي في ظل آيات سورتي النمل وسبأ والمبحث الثاني: ركز على جدلية الحضور وتداعيات الانهدام والخلو والغياب للمكان السبئي.

وقد أرفقت مقدمة هذا البحث بخاتمة في شكل نتائج.

وإني بهذا الجهد لا أدعي أني بلغت الغاية في انجازه، وإنما هو مجهود علمي يضاف إلى جهود السابقين في الحقل المعرفي.

وأخيرا قبل أن يرفع القلم تأبى التحيات المباركات والشكر الجزيل إلا توجها لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور رابح دوب لما أبداه من صبر جميل وحلم وآناة في مواجهة وتقبل المراحل الطويلة في انجاز هذه الدراسة.

هذا جهد المقل وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

الأماكن الخاوية في القران الكريم

أنواع التلقي والأسس المعرفية

المبحث الأول: الأماكن الخاوية والتلقي

أولا: التلقي ودلالته

ثانيا: المكان ودلالته

ثالثا: الأماكن الخاوية: المفهوم والدلالة.

المبحث الثاني: منهج القران في تلقي أماكن الغابرين.

أولا: المنهج القرآني في التعامل مع مسالة الأماكن الخاوية.

ثانيا: أسس ومرتكزات التلقي المكاني في القران الكريم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:

الأماكن الخاوية والتلقي: المفهوم والدلالة

أولا: التلقي ودلالته

ثانيا: المكان دلالته

ثالثا: الأماكن الخاوية: المفهوم والدلالة

1-الأماكن الخاوية والمعنى اللغوي.

2-الأماكن الخاوية والمعنى الفلسفي.

3-الأماكن الخاوية مفهومها ودلالتها القرآنية.

4-تلقي الأماكن الخاوية في القرآن الكريم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا:التلقي ودلالته

وردت كلمة " تلقي " في النص القرآني والنصوص الأدبية بسياقات متنوعة تحيل على معان متقاربة في الدلالة والمفهوم، إذ تشترك جميعها في معنى " الاستقبال " بشكله المادي والمعنوي على حد سواء.

فالمادة اللغوية بمشتقاتها في العربية، وتصرفاتها في الإنجليزية والفرنسية تنتظم معنى الاستقبال والتلقي معا، فيقال في العربية: تلقاه، أي استقبله، والتلقي هو الاستقبال، وفلان يتلقى فلان أي يستقبله " [1].

وتلقى، تلقاه: استقبله [2]، ركب متن الملقى وهو الطريق، وتوجه تلقاء بلده وتلقاء فلان، وفي الحديث النبوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم " نهى عن تلقي الركبان " بمعنى الاستقبال والأخذ.

وبهذا التحديد اللغوي يأخذ التلقي معنى الاستقبال والتوجه والأخذ.

ويقال في الإنجليزية "Reception" أي استقبال أو تلق

، to receive a person = to allow a person، to accept، to get،Receive: to take to visit and talk to one.

a meeting [3]،Reception =the act of receiving

و إلى المعنى نفسه أي " الاستقبال " دارت معاني لفظة " التلقي " في المعجم الفرنسي

Recevoir = accueillir [4]

Réception = accueil [5]

ولكن التمايز في الدلالة بين مفهوم الاستقبال، ومفهوم التلقي يكمن في طبيعة الاستعمال

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، ط.6، 2008 م، ج13، ص 227.وكذا قاموس الكافي، شركة المستقبل الرقمي، بيروت، ط.5، 2012 م، ص 246.

[2] - جار الله فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تقديم: محمد أحمد قاسم، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط. 2005 م، مادة (لقي)، ص 768.

[3] - Micheal west and James Garth endicott ، the new methode english dictionary ، printed in great britain ،fifth impression ، 1937 ، p256.

[4]- Dictionnaire du francais ،l'imprimerie rérissay ، Evreux،1997 ، p 935

[5] - Dictionnaire elkenz ، édition Achache ، Alger ، 2003 ، p 203.

عند العرب، وفي مجرى الإلف والعادة بالنسبة للأذن الأجنبية، فالكثير الغالب في الاستعمالات العربية هو استخدام مادة " التلقي" بمشتقاتها مضافة إلى النص سواء أكان النص خبرا أو حديثا، أو خطابا، أو شعرا [1].

وحسب القارئ في هذا المقام أن المتن القرآني بسياقاته الأدبية والبلاغية المتنوعة قد عول على هذه المادة في أنساقه التعبيرية " ولم يستخدم مادة " الاستقبال " في هذا المجال، ففي أجل مواطن التلقي لأشرف النصوص، يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [3]، وقوله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ [5] أي يأخذ بعض من كلام بعض. بعض.

فدلالة الاستعمال القرآني لمادة التلقي مع النص تنبه إلى ما قد يكون لهذه المادة من إيحاءات وإشارات إلى عملية التفاعل النفسي والذهني مع النص وهنا تتحقق الاستجابة باعتبارها تابعة للأثر الذي يتركه النص على نفسية القارئ الذي فيه ومنه يتبلور المعنى [6].

وعلى هذا الأساس ترد لفظة " التلقي" مرادفة أحيانا لمعنى الفهم والفطنة خاصة في مجال النص الخطابي، الذي يركن إلى "اعتماد الوعي لدى القارئ في فهم الإبهام الناشئ عن فجوات أو فراغات النص المقروء والتي يتعين على القارئ، ملؤها، وذلك بإعمال الخيال ليكمل العمل ويحققه غيابيا، و ليمنحه طابع التنوع مبتعدا به عن التماثل، وهنا يكمن إنتاج المعنى " [7].

و إلى هذا المعنى ينصرف التلقي في هذه الدراسة إلى ثنائية " النص / القارئ " في عملية

---

[1] - محمد عباس عبد الواحد، قراءة في النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية وتراثنا النقدي ، دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط.1، 1996 م، ص 13.

[2] - الآية 6 من سورة النمل.

[3] - الآية: 37 من سورة البقرة.

[4] - الآية: 17 من سورة ق.

[5] - الآية: 15 من سورة النور.

[6] - هانس روبرت ياوس،جماليات التلقي، ترجمة: رشيد بن حدو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، د.ط، 2004 م،ص 15. 15.

[7] - روبرت هولب، نظرية التلقي، ص 13.

التواصل الأدبي فتوليه اهتماما مركزيا نظرا للدور الذي يلعبه في إعطاء النص معناه وقيمته وأهميته بالاعتماد على الخلفيات الثقافية واللغوية والاجتماعية المسبقة [1].

ثانيا: المكان ودلالته

أ- المكان و المعنى اللغوي:

سجلت لفظة "المكان " بصيغة المفرد والجمع حضورا كبيرا موزعة على مساحات المتن القرآني العظيم 2 بتخريجات لغوية متنوعة ضمن حقل معجمي مشترك، ينفتح على دلالات التنوع والثراء بحسب متطلبات الاستدعاء والتوظيف في نطاق مرامي النص وخطاباته ومقامات تلقيه.

فالمكان من الناحية اللغوية يعني الموضع المستقر، المرئي المشاهد ويتنوع من حيث المساحة والحجم والشكل، يقول ابن منظور: "والمكان الموضع أي موضع لكينونة الشيء والجمع أمكنة، وأماكن جمع الجمع " 3. وعلى هذا يمكن إدراكه إدراكا حسيا.

والأماكن تختلف شكلا وحجما ومساحة، فيها الضيق المغلق، والمتسع المفتوح والمرتفع والمنخفض، المنقطع و المتصل، إنها أشكال وصور متنوعة من الواقع المرئي انتقلت بفعل الخيال الفني إلى العمل القصصي لتصبح عنصرا من عناصر البنية السردية.

فالعربية اكتشفت المكان في امتداد الأرض، فهو كل ما يوطأ ويستقر عليه، إنه الثبات وبالتالي يصبح المكان حاملا للأشياء وهو يمكنه أن يضمها، في حين أن الفضاء بالمفهوم الغربي يتسم بالتجريد، فإن الفضاء عند أهل اللغة يكون مرتبطا بالمكان في انغلاقيته، أي ذلك المكان الفيزيقي الذي تتموضع فيه الأشياء المحسوسة قبل أن يستقر مفهومه على الخلاء أو الخلو [4] من المكان.

من هنا فالمكان يكتسب ثباته من جغرافية الأرض، وعندما يتجرد تماما منها يتحول إلى فضاء

---

[1] - مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الأدبية، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، ص 234.

[2] - وردت لفظة "المكان "و"أماكن " في القرآن الكريم 29 مرة، وردت بصيغة المفرد 23 مرة، ووردت بصيغة الجمع 6مرات

[3] - لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.6، 2008 م، م 14، ص 113.

[4] - أن هناك تداخلا كبيرا بين مصطلحي "المكان " و" الفضاء" عند الباحثين والنقاد غير أن المجال المحدد للدراسة الموسومة بالأماكن الخاوية في القصص القرآني " تحد من حريتي في التطرق إلى المفارقات بينهما، مكتفية بتعريف وتحديد مفهوم المكان.

واسع في امتداده ورؤيته، وهذا التحديد يساعد القارئ على فهم طبيعة عنوان الدراسة.

ب- المكان والمعنى الاصطلاحي: المكان هو المأوى والانتماء ومسرح الأحداث [1].

المكان في المنظور الفني:

والمكان هو أحد المكونات الحكائية التي تشكل بنية الشكل الروائي والقصصي...فقد بات يتموضع داخل المجال الحيوي في النص الحكائي، ويتصدر الواجهة كشخصية اعتبارية مستقلة فاعلة ذات قدرة على تحديد مسار العلاقات بين الشخصيات ونمط الأحداث والوقائع [2]. وعلى هذا لا تكون للمكان قيمة إلا عندما يحدث فيه حادث...فالمكان هو الذي يستلزم الشخوص والحدث وليس العكس [3].

من منطلق هذه الأهمية يصعب فصل المكان عن وجود الإنسان وحضارته، فالحضارة والمكان والإنسان أمور متلازمة في النصوص الحكائية...ولا نتصور وجود إنسان في مكان ما دون أن يترك إرثا حضاريا في المكان الذي عاش فيه [4].

ج- المكان في النقد الأدبي:

يشكل المكان في الخطاب القصصي المادة الجوهرية للخطاب وهويته...وحضور المكان لا بوصفه إطارا تدور فيه الأحداث والوقائع، بل كوعي جمالي شكلا ومعنى تاريخا جمعيا، منبثقا عن الوعي الاجتماعي والثقافي.

ثالثا: الأماكن الخاوية: المفهوم والدلالة.

وردت كلمة " خاوية " في النص القرآني في مواضع متفرقة من آياته الكريمة، مرتبطة بالمكان ارتباطا وثيقا، ودالة عليه بوضوح، بل ومقرونة بمواطن جغرافية الأرض ومساكن الغابرين ضمن دائرة التواجد التاريخي والحضاري للأمم البائدة، والقرى الظالمة.

---

[1]- موسى ربايعة، جماليات الأسلوب والتلقي، دراسة تطبيقية – دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ط.1، 2008 م، ص74.

[2]- مرشد أحمد، المكان في المنظور الفني، في روايات عبد الرحمان منيف، دار القلم العربي، حلب، ط.1، 1998 م، ص5.

[3]- جنيت وميتران وآخرون، الفضاء الروائي، ترجمة: عبد الرحيم حزل، آفريقيا الشرق، دار البيضاء ، ط.1، 2002 م، ص138.

[4]- محمد الخوجة، تجليات المكان في السرد الحكائي العباسي، دار فضاءات النشر والتوزيع، الأردن، ط.1، 2009 م، ص169.

سجل اللغويون وأصحاب المعاجم والقواميس العربية، تداخلا وتقريبا في المعنى بين لفظتي " خاوية " و" خالية "، مشيرين بأنهما يؤديان إلى المعنى نفسه في إطار السياق اللغوي للنصوص.

بينما سجل الفلاسفة قدامى ومحدثون اختلافا في الاستعمال بين كلمتي " خلاء " و" خواء " مقرين بأن لكل كلمة منهما توظيفها الخاص وبعدها الفلسفي.

وإذا كان هذا شأن أهل اللغة وأهل الفلسفة، فإن أصحاب الدراسات القرآنية قد أجمعوا من خلال تفاسير الآيات الكريمة والمعنى الذي ترمي إليه أنه لاختلاف بين لفظتي " خاوية " و" خالية " في الظاهر انطلاقا من الرابط اللغوي بينهما في المعنى، غير أنه ومن خلال الاستعمال القرآني وتوظيفه في النصوص التي تتحدث عن المكان عامة وأماكن الغابرين خاصة يلاحظ أن الآيات تضمنت لفظة " خاوية " في عدة مواطن، مما يدل على أنها اللفظة المفضلة في الاستعمال القرآني.

وعلى هذا الأساس يمكن طرح مسألة " خاوية " و" خالية " بشكل الآتي ذكره.

1 – الأماكن الخاوية والمعنى اللغوي

للوقوف على المعنى اللغوي لكلمة " خاوية " وخالية من خلال المصادر اللغوية، وذلك من خلال هذا الجدول.

الكلمة / خاوية	خالية	مصدرها اللغوي
خوي: الخاء والواو والياء أصل واحد يدل على الخلو والسقوط.	- خلو: الخاء واللام والحرف المعتل أصل واحد يدل على تعري الشيء. - وخلت الدار وغيرها تخلو، و الخلي، الخالي. - والقرون الخالية: المواضي. - والمكان الخلاء: الذي لاشيء به، ويقال ما في الدار أحد.	معجم مقاييس اللغة / لابن فارس [1]

1- أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.2، 2008 م، ج1، المجلد الأول، ص 371، و ص 382 مادة (خلو/خوي).

-خوي. -خوت الدار: تهدمت، وخوت، وخويت خيا، وخويا وخواء وخواية: خلت من أهلها. -وأرض خاوية: خالية من أهلها.	-خلا المكان خلوا وخلاء وأخلى وإستخلى، فرغ. -ومكان خلاء: ما فيه أحد. -وأخلاء، جعله أو وجده خاليا. -وخلا: وقع في موضع خال لا يزاحم فيه.	القاموس المحيط / للفيروز آبادي [1]
-خوى (خوت) الدار تخوي (خواء) اقوت وكذا إذا سقطت، ومنه قوله تعالى: (فتلك بيوتهم خاوية)، أي خالية، وقيل ساقطة، وكما قال تعالى: (فهي خاوية على عروشها) أي ساقطة على سقوفها.	-خلاء: المكان الذي لا شيء فيه. -القرون الخالية: هم المواضي، بمعنى الغابرين.	مختار الصحاح / الرازي [2]
-خوا: خوت الدار، تخو، خوا، أي تهدمت. -خوت الدار، تخوي خواءا: أقوت وسقطت وتهدمت وهلك أهلها أو هجروها وهي	-	معجم النفائس الوسيط / احمد أبو حاقة [3]

1- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 2004 م، ص 1287 وص 1288 مادة (خلا/خوى).

2- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة، 1995 م، ص 81 وص 79، مادة (خلا/خوى).

3- أحمد أبو حاقة، معجم النفائس الوسيط، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط.1، 2007 م، ص 359، مادة (خوا).

قائمة بلا ساكن.		
-خوي: خوى المنزل: خلا خواء. ودار خاوية، وخوى البطن، خوى، خلا من الطعام.	-خلو: خلا المكان خلاء، وخلا من أهله وعن أهله، ومكان خلاء والأرض الفضاء، وهو الخلو. -وخلا شبابك: مضى، والقرون الخالية: القرون الماضية. وتقول كان ذلك في القرون الأولى والأمم الخوالي.	أساس البلاغة / الزمخشري [1]

وبهذه الصيغ سينصرف "مفهوم تلقي الأماكن الخاوية في القصص القرآني " إلى معنى التواصل مع النصوص التي تتحدث عن صورة الانهدام الحضاري لمساكن الغابرين وخلوها من الحضور الإنساني في إطار قراءة فعالة تتجسد لحظة اشتغال القارئ، ذلك أن القارئ الكفء هو الذي يتفاعل تفاعلا ناجحا مع النص.

2 – الأماكن الخاوية والمعنى الفلسفي

تحدث الفلاسفة في قضية الخلاء المكاني، وحددوا له مفهوما خاصا به، لهذا ورد ذكر الخلاء وعلاقته بالمكان في سياق الدراسات الفلسفية العربية والغربية، وعند علماء الكلام.

وطرحت في أثرها مسالة الفرق بين " الخلاء " و" الخواء " في الاستعمال والتوظيف في النص الفلسفي وسياقه الثقافي والتاريخي الموصول بالمعنى اللغوي والمستمد من المعاجم والقواميس العربية.

فكرة الخلاء: المفهوم والإشكال

الخلاء في اللغة العربية يعني لاشيء، ولا موجود فيه، خلا المكان يخلو خلوا، فيقال خلت الدار، معناها لم يبق فيها أحد، وأخلى لك الشيء، وأخلى بمعنى فرغ.

[1]- جار الله فخر الخوارزم محمد بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت ، د.ط، 2005 م، ص 243 وص 237 مادة (خلو/خوي).

ويستعمل ابن سينا لفظ الخلاء ويستعمل لفظ الفضاء بمعنى واحد فالخلاء إذا يأتي بمعنى المكان المطلق الذي لا ينسب إلى متمكن فيه[1] والظاهر أن الخلاء عند الفلاسفة القدامى هو امتداد، لا يوجد فيه جسم محسوس، فالشيء الذي ليس فيه جسم أصلا فذلك الشيء خلاء.

وطبقا لهذا فالعلاقة بين المكان والمتمكن هي علاقة إضافة فوجود المتمكن يؤدي إلى وجود المكان [2].

وقريبا من هذا المعنى يحدد صاحب كتاب نظرية المكان في الفلسفة الإسلامية أن الخلاء مكان ليس فيه متمكن، أي مكان مجرد، وأن من الألفاظ القريبة في معناها من " الخلاء " عند الفلاسفة المسلمين هي الفضاء وبعضهم عدوه مكانا ومركزا والمعتزلة سموه جهة وحيزا.وانفرد ابن سينا أن جعل لفظ الخلاء يساوي لفظ الفضاء في المعنى والمفهوم[3].

أما لفظ الخلاء عند المتكلمين هو الحيز، وورد بألفاظ أخرى عند المتأخرين منهم كالفضاء الموهوم، والخلاء الموهوم، والامتداد الموهوم، والبعد الموهوم، والفراغ الموهوم وغيرها من الألفاظ التي تدل على الخلاء [4].

وعلى هذا الأساس من التتبع لمعنى "الخلاء" في سياقه الفلسفي يمكن للقارئ أن يميل إلى استعمال الخلاء المكاني بمعنى الفراغ من أهله وساكنيه، أي المكان المهجور الخالي من الحضور الإنساني وهو المعنى والمفهوم المناسب لهذه الدراسة.

3- الأماكن الخاوية مفهومها ودلالتها القرآنية

جاء في الاستعمال القرآني في مواضع متعددة من آياته الكريمة لفظة " خاوية " ذات المعنى اللغوي الدال على الخلو والفراغ وهو عين ما ذهب إليه علماء اللغة حين وضحوا الاختلاف الظاهر الحاصل بين لفظتي " خوت " و"خلت"، فحملوا الأولى " خوت " أي " الخوى " على

---

[1]- لعموري عليش، إشكالية المكان والزمان في فلسفة ابن سينا، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د، ط، 2010 م، ص 212.

[2]- لعموري عليش، المرجع نفسه، ص 214.

[3]- حسن مجيد العبيدي، نظرية المكان في الفلسفة الإسلامية -ابن سينا نموذجا- دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط.1، 2007 م، ص 144.

[4]- لعموري عليش، المرجع السايق، ص 216.

معنى المكان الذي لاشيء به، فخوت الدار: أي تهدمت وسقطت، وهلك أهلها أو هجروها، وهي قائمة بلا ساكن[1]، فقالوا أخلى واستخلى بمعنى فرغ ومكان خلاء مافيه احد [2] وحملوا " خلت " على معنى مضت، فقالوا القرون الخوالي أي المواضي [3].

وأمام هذا التتبع لما اقره اللغويون وارتضوه لمعنى " الخلو " و" الخواء " يمكن للقارئ أن ينظر إلى مواطن التنوع في الاستعمال اللفظي " خلت " و" خوت " الواردتان في النص القرآني وذلك من خلال المعطيات الآتية:

أ- تأمل مدلول مصطلح " خوت " و" خلت " ضمن السياق العام للآيات التي تتحدث عن قصص أماكن الغابرين، بمعنى النظر إلى لفظة " خاوية " التي جاءت في القرآن مقرونة بالمكان كموقع جغرافي له تاريخه وحضارته.

ب- تشكيل الآيات الدالة على " الخلو " في مجموعة (1) والآيات الدالة على " الخوى " بلفظها الصريح " خاوية " في مجموعة (2)، الآيات الدال على اللفظة مقاربة معناها للخواء في مجموعة (3).

المجموعة الأولى: الآيات الدالة على معنى " خلت " في القرآن الكريم

وردت " خلت " في الاستعمال القرآني وذلك في مواضع عديدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

1- في قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [4].

2- في قوله تعالى: ﴿فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [5].

3- في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ [6].

---

[1]- احمد أبو حاقة، معجم النفائس الوسيط، ص 359 مادة (خوا).

[2]- الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ص 1287، مادة (خلا).

[3]- الرازي، مختار الصحاح ص 79، مادة (خلاء).

[4]- سورة المائدة: الآية 75.

[5]- سورة الاحقاف: الآية 18.

[6]- سورة الاحقاف: الآية 17.

والظاهر أن لفظة " خلت " التي تضمنتها آية سورة المائدة، والآيتان اللتان ورد ذكرهما في سورة الأحقاف تتفق جميعا في معنى واحد وهو المضي، وهذا المعنى اللغوي هو الذي ذهب إليه ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى في سورة مريم الآية 75 ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ أي: له سوية أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه [1] ومعنى " خلت " في ضوء هذا التفسير أي سبقت، وتقدمت ومضت.

والى المعنى نفسه أشار صاحب كتاب " كلمات القرآن تفسير وبيان " حين فسر كلمة " خلت " بمعنى " مضت، وسلفت " [2].

وعلى النهج التفسيري المستمد من المعنى اللغوي لكلمة " خلت " سار النسفي في بيانه لمعنى قوله تعالى في الآية 17 و18 من سورة الأحقاف ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ ﴿فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم﴾ أنها تعني "في أمم قد مضت "[3].

وردت لفظة " خاوية " في النص القرآني في مواضع متنوعة، نذكر منها آيات السور بحسب ترتيبها في المصحف الشريف:

1- قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [4].

2- قوله عز وجل في سورة الكهف: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [5].

3- قوله تبارك وتعالى في سورة الحج: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ [6].

---

[1]- تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط.1، 2002 م، ج2، ص 987.

[2]- حسين محمد خلوف، مكتبة زهران، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 67.

[3]- تفسير النسفي ، مدار التنزيل وحقائق التأويل، تح: مروان محمد الشقار، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ط.2، ج4، ص 212.

[4]- الآية: 259.

[5]- الآية: 42.

[6]- الآية: 45.

4-قوله عز شانه في سورة النمل: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [1].

وأما تتبع القارئ للآيات الدالة على الخواء المكاني انطلاقا من لفظة " خاوية على عروشها " التي جاءت في المواضع الأربعة المذكورة سابقا، وبالاستعانة بما قالت به المعاجم والقواميس العربية التي حددت معنى " خاوية على عروشها " أن المقصود بها في مقام السياق القرآني بدلالة آياته هو خالية قد سقط بعضها على بعض [2]، بمعنى آخر أنها ساقطة على سقوفها [3] أو كما وصفها صاحب القاموس المحيط بقوله متهدمة وخالية من أهلها [4].

ولا شك أن المدلول اللغوي يقود إلى قراءة المكان الخاوي على صورة جدران منازل متهدمة، سقطت سقوفها على بعض، وبقيت كآثار قائمة موحشة لا أنيس بها.

المجموعة الثالثة: الآيات التي توحي بمعنى الخواء المكاني ضمنيا في القران الكريم

جاءت في النص القرآني آيات توحي في معناها العام بالخواء المكاني وتتحدث عن مساكن الغابرين الفارغة تماما من أهلها والمتروكة لتقع بمشاهدتها للناظرين إليها العبرة والعظة، وذلك في مواطن الآتي ذكرها.

1-قوله تعالى في سورة مريم: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [5].

2-قوله تبارك وتعالى في القصص: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [6].

3-قوله عز وجل في سورة العنكبوت: ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ

---

[1]- الآية: 52.

[2]- أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، غريب القران المسمى (بنزهة القلوب)، المؤسسة الوطنية للفنون والطباعة، الجزائر ، د.ط ، 1990 م، ص83.

[3]- الرازي، مختار الصحاح، ص 81 مادة (خوى).

[4]- الفيروز أبادي، ص 1288 مادة (خوى).

[5]- الآية: 98.

[6]- الآية: 58.

لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴾[1].

4-قال عز شأنه في سورة الأحقاف: ﴿ فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[2].

قراءة آيات المجموعات المصنفة في ضوء مفهوم " الخواء المكاني " ودلالته القرآنية

يمكن للمتلقي أمام تتبع المعاني التي خص بها أهل اللغة وأصحاب المعاجم والقواميس العربية لفظتي " خلت " و" خوت " والتي جاء ذكرها في آيات القرآن الكريم أن يقف على معاني الفروق اللغوية الدقيقة بين المصطلحين " الخلاء " و" الخواء " بحسب الاستعمال القرآني وبالنظر إلى توظيفهما في السياق العام والخاص للسور، مع الأخذ بعين الاعتبار وضعية المتلقي في الخطاب القرآني ومرجعيته المعرفية في تعامله مع منظومة قصص أماكن الغابرين.

وإزاء هذا التصور، وفي ظل هذه الرؤية الموضوعية للإشكال اللفظي بين "خلت" و"خوت"، يسجل القارئ أن " خلت " في القرآن جاءت مخصصة بالزمن ومرتبطة بالأشخاص والأمم والقرون (في أمم قد خلت) و(قد خلت القرون من قبلي).....وهذه التعابير القرآنية توحي بحركة الزمن وبسيرورته في هذا الوجود المحكومة بثنائية الحياة والموت للكائن البشري على هذه الأرض وفق السنن الإلهية المحددة ببداية ونهاية لكل حي.

أما لفظة " خوت " فتاتي في القرآن متعلقة دائما بالمكان في صلته بأهله، فيكون بذلك الخواء المكاني ناتجا بالضرورة عن الخلاء الإنساني انطلاقا من المنظور الفلسفي انه " لا وجود لمكان بغير متمكن "، ومن المنطلق الأدبي " انه لا وجود لمكان بمعزل عن الشخصيات التي تعيش فيه "[3].

وعلى هذا الأساس من التوضيح يستقر في ذهن القارئ أن لفظة " الخواء " وفقا للاستعمال القرآني تأتي في الغالب الأعم مقرونة بالمكان فتقول دار خاوية، وبيت خاوي، أي فارغ من سكانه فالخالي إذن هو الشيء الذي مضى وانقضى زمنه وهذه الصفة لصيقة بالإنسان لا بالمكان، فالأماكن تأخذ صفة الثبات، لذلك فهي باقية دائما مستقرة على الأرض لا ترحل، بل البشر

[1]- الآية: 38.

[2]- الآية: 25.

[3]- محمد الخوجة، تجليات المكان في السرد الحكائي العباسي، ص 237.

كسكان هم الذين يرحلون أو يهاجرون ويتركونها لا العكس.

من هذا المنطلق يكون المعنى النهائي للمكان الخاوي أنه المكان المهجور الصامت والصمت أكبر دليل على الغياب الكلي للإنسان، وما بقي حاضرا هو البقايا المكانية المعمارية المتهدمة الساقطة، تقف كأطلال دارسة شاخصة للعيان، شاهدة على حضارة وتاريخ المكان.

آيات " الأماكن الخاوية " في ضوء مصادر التفسير القرآني

يسجل المتلقي المتتبع لآيات المكان الخاوي في النص القرآني في ظل المجموعتين المشكلتين لموضوع هذه الدراسة والتي تقرأ في ضوء المعنى الذي تقدمه مصادر التفسير القرآني مترسما آثار الدلالة اللغوية وما ينتج عنها من إيحاءات لفهم السياق العام الذي تندرج فيه مقاصد الخطاب القرآني في إيراده لمنظومة قصص أماكن الغابرين الخاوية، وذلك على الشكل الأتي:

الأولى

أ- آيات الخواء المكاني في القران الكريم.

1-(خاوية على عروشها) ← البقرة /259.

2-(خاوية على عروشها) ← الكهف /42.

3-(خاوية على عروشها) ← الحج /45.

4-(فتلك بيوتهم خاوية) ← النمل /52.

الثانية

ب- آيات القرب من معنى الخواء المكاني في القران الكريم.

1-(هل تحس منهم من احد أو تسمع لهم ركزا) ← مريم /98.

2-(يمشون في مساكنـــهم) ← طه / 128.

3-(فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا) ← القصص /58.

4-(وقد تبين لكم من مساكنهم) ← العنكبوت /38.

5-(فأصبحوا لا يرى إلا مســاكنهم) ← الأحقاف /25.

تلقي " الأماكن الخاوية " في النص التفسيري للقرآن

المجموعة الأولى

جاءت الجهود التفسيرية لآيات الأماكن الخاوية في القران الكريم مركزة على كلمة (خاوية على عروشها) الواردة في أربعة مواطن من المجموعة الأولى والتي يقول المفسرون بشأنها ما يلي:

فسر صاحب " نظم الدور في تناسب الآيات والسور " الآية 45 من سورة الحج بقوله: "خاوية: أي متهدمة ساقطة أي جدرانها (عروشها) أي سقوفها، بان تفصفت الأخشاب ولا من كثرة الأمطار، وغير ذلك من الأسرار – فسقطت ثم سقطت عليها الجدران، أو معنى الخالية: قد ذهبت أرواحها بذهاب سكانها مع بقاء سقوفها، ليست محتاجة إلى غير السكان " [1].

وقريب من هذا المعنى فسرت الآية نفسها من سورة الحج في الموسوعة القرآنية الميسرة ما نصه: "فصارت قرية خربة مهدمة، سقطت حيطانها فوق سقوفها، وبئر متروكة بموت أهلها لا ينتفع بها، وقصر مرتفع البنيان خرب خال بموت أهله" [2].

وعلى النهج نفسه في فهم معنى الآية قال الشوكاني: "معناها خالية من الناس، والبيوت قائمة"[3].

وقد كشفت الدراسات الأثرية عن كثرت الآبار التي تعطلت في بلاد العرب بسبب إبادة أهلها الظالمين فلا تسقى منها ولا يردها احد بعد كثرة وارديها [4].

والمعنى أن المعالم المادية أو العمرانية للمكان قد تعطلت بعدما خلت من أهلها فلا يسكن فيها ولا يسقى منها وفي هذا دلالة على الغياب الكلي للحضور الإنساني في المكان.

أما تفسير آية: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ

---

[1]– برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تخريج: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1995 م، ج 5، ص 160.

[2]– وهبة الزحيلي وآخرون ، الموسوعة القرآنية الميسرة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط.2 ، 2002 م، ص 338.

[3]– الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، مراجعة: يوسف لغوش، دار المعرفة، بيروت ، ط.2، 2004م، ص 179.

[4]– علي محمد معطي، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، دار المنهل اللبناني مكتبة رأس النبع، بيروت، ط.1، 2003 م، ص 54.

يَعْلَمُونَ ﴾[1] فالمقصود بها، " تلك بيوتهم بقيت آثارها خالية من أهلها خرابا متهدمة بسبب ظلمهم وكفرهم أن في ذلك التدمير لعبرة وعظة لقوم يعلمون قدرتنا فيتعظون " [2].

المجموعة الثانية: وبها الآيات الموحية بالخواء المكاني ضمنيا في النص القرآني جاءت به مصادر التفسير القرآني في المواضع التالية:

1- تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾[3]. والمعنى هل تجد منهم من احد أو تسمع لهم صوتا خفيا ؟ لا تجد ولا تسمع. والمراد: كما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء [4]، وهو المعنى الذي قال به الشوكاني حين فسر الآية " هل تشعر بأحد منهم أو تراه) أو تسمع له صوت " [5]

أما القاسمي فيقول تعليقا على الآية: " والمعنى أنهم بادوا وهلكوا وخلت منهم دورهم وأوحشت منهم منازلهم " [6].

وإذا رجعنا إلى تفسير ابن عاشور الذي جاء على نحو صريح وفيه توضيح رائع لمعنى الآية: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾[7]، وذلك بقوله: "والاستفهام في هل تحس منهم من احد " إنكاري والخطاب أي ما تحس، أي ما تشعر بأحد منهم، والإحساس: الإدراك بالحس، أي لا ترى منهم أحدا.

والركز: الصوت الخفي، وهو كناية عن اضمحلالهم، كني باضمحلال لوازم الوجود عن اضمحلال وجودهم [8].

---

[1]- سورة النمل الآية 52.

[2]- وهبه الزحيلي وآخرون، الموسوعة القرآنية الميسرة، ص 382.

[3]- سورة مريم: الآية: 98.

[4]- الموسوعة القرآنية الميسرة، ص 313.

[5]- فتح القدير، ص 902.

[6]- ري الغليل من محاسن التأويل، إختصار: صلاح الدين أرقة دان، دار النفائس ، الأردن، د.ط، 1994 م، ص 4167.

[7]- سورة مريم: الآية 98.

[8]- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ط، ج16، ص178.

وكل هذه المعاني التي جاءت في مصادر التفسير القرآني توحي جميعها بان المقصود من الآية من سورة مريم هي الخلو المكاني من الجنس البشري تماما: " فكان من ذكر هذه المواضع زيادة اعتبار وتذكر في المرور بديارهم، ورؤيتها خالية من أهلها [1].

2-تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾[2].

جاء في زبدة التفسير أن معنى الآية المتعلقة بالمكان الخاوي بدلالة المشي في مساكن الغابرين التي توحي بالخلو المطلق لساكنيه مانصه: " أفلم يتبين لأهل مكة خبر الكثير، يتقلبون في ديارهم، أو يمشون في مساكن القرون الذين أهلكناهم، وذلك عند خروجهم للتجارة وطلب المعيشة، فيرون بلاد الأمم الماضية خاوية خربة من أصحابها " [3]، وقوله خاوية خربة من أصحابها فهي دليل على إنها أماكن مهجورة صامتة موحشة تعبر عن الانسحاب الكلي لساكنيها، وهو المعنى الذي نرمي إلى البحث عنه وتتبعه في هذه الدراسة.

3-وغير بعيد من المعنى الذي أعطاه صاحب زبدة التفسير، يأتي تفسير الآية 58 من سورة القصص في قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ وبالتركيز على ﴿ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ يقول النسفي في ذلك المعنى:

1- منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الأسفار....

2- أي لم يسكنها إلا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة.

3- (وكنا نحن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها، أي لا يملك التصرف فيها غيرنا [4]، ويتجلى من كل هذه المعاني التي أعطيت تفسير هذه الآية أنها تحمل في مدلولها الضمني التعبير عن المكان الخاوي قائم كمنجز معماري متهدم يرى من على الطريق للمسافر

[1]- مأمون فريز جرار، خصائص القصة القرانية، دار المنارة للنشر والتوزيع ، جدة، ط.1، 1988 م، ص 90.

[2]- سورة طه: الآية: 128.

[3]- سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط.5، 2006 م، ص 321.

[4]- تفسير النسفي، ج3، ص 349.

والمار بالأراضي العربية، ولكن لا أنيس به، فهو لا يصلح للسكن إلا لبعض الوقت.

4- تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾[1]، فكلمة ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ﴾ تعني "خرابها وخلاؤها منهم وحلول سطونا بجميعهم"[2]، وفي هذا المقام للقارئ أن يحمل معنى هذه الآية في تحديد مساكن الغابرين برؤية خراب مساكنها بخلائها من ساكنيها، الذين هلكوا بعذاب الهي سلط عليهم نتيجة لكفرهم بالله وبرسله.

5- أما تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۖ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ﴾[3]، فيقصد بها " أفلا يرون أحدا ممن كان يعمرها ويسكنها "[4]، وفي هذا يكمن معنى الخلو الإنساني المطلق ومغادرة للمكان دون رجعة.

6- ويأتي تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[5].

ذكر النسفي في ما تعلق بمعنى لا يرى إلا مساكنهم) المعنى:(أي لا يرى شيء إلا مساكنهم، الخطاب للرائي "[6] أي للناظر إلى مكانهم الخاوي.

وشاطره الرأي عبد الله الأشقر في تفسيره لمعنى هذه الآية التي ذكرت مساكن الغابرين بقوله: " فأصبحوا لا يرى من أموالهم وأجسامهم شيء لكن ترى مساكنهم متهدمة "[7].

---

[1]- سورة العنكبوت: الآية: 38.

[2]- صلاح الدين ارقة دان، ري الغليل من محاسن التأويل –مختصر تفسير القاسمي- ص 400.

[3]- سورة السجدة: الآية 26.

[4]- صلاح الدين ارقة دان، المصدر نفسه، ص 417.

[5]- سورة الاحقاف: الآية: 25.

[6]- تفسير النسفي، ج4، ص 215.

[7]- زبدة التفسير، ص 505.

وعلى هذا الأساس تفهم مجموعة الآيات قريبة المعنى من " الخواء " كلفظ صريح، أنها جاءت كلها توحي بدلالة الخلو التام والإبادة الشاملة للبشر دون المساس بالمنجز العمراني للمكان الذي ترك لتقع برؤيته العظة والعبرة وهو الهدف الأسمى الذي من اجله جاءت مسألة أهمية تلقي الأماكن الخاوية في القران الكريم بين المرئي والمسموع وسبل الاهتداء إلى الطريقة الاعتبارية المثلى لفهم وتحقيق سنن الله في الاجتماع الإنساني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني

منهج القرآن في تلقي أماكن الغابرين

أولا: المنهج القرآني والأماكن الخاوية.

ثانيا: أسس ومرتكزات التلقي المكاني في القرآن الكريم.

1- تلقي جغرافية القصص المكاني في النص القرآني.

2- جغرافية القصص وعلاقتها بالأماكن الخاوية في القرآن الكريم.

3- التلقي السمعي وآياته عن الأماكن الخاوية: في القصص القرآني.

4- التلقي البصري وآياته للأماكن الخاوية: في القصص القرآني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: المنهج القرآني والأماكن الخاوية

تحدث القران الكريم عن الغابرين، مشيرا في العديد من آياته إلى المواطن التي شهدت مصارعهم، ونوع العذاب الذي نزل بساحتهم نتيجة لكفرهم وظلمهم لأنفسهم، وتكذيبهم برسالات ربهم على يد الأنبياء المبعوثين إليهم في أزمنة وأمكنة مختلفة على امتداد جغرافية الجزيرة العربية.

كم تحدث النص القرآني عن أنباء الأولين وما كان من أمرهم مع رسلهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مبينا تعنتهم في قبول دعوة الله وطغيانهم في الأرض بغير حق. ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾[1] فقد جاء ذكر أخبار القرى الظالمة والمساكن الخاوية الخربة في ثنايا العديد من السور القرآنية – المكية والمدنية منها، وكلها تحوي على مشاهد حية للهلاك والإبادة، وكيفية اخذ الله لهم اخذ عزيز مقتدر ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾[2].

من المؤكد أن قصص الغابرين التي تشغل حيزا كبيرا من القرآن هي من المواضيع القرآنية المهمة التي تستحق التأمل والتفكير فيها "أولئك الغابرين هم في معظمهم أقواما كذبوا الرسل الذين جاءوهم بالرسالة، بل وناصبوهم العداء أيضا، وبسبب عنادهم وتكبرهم استحقوا العذاب الإلهي فأزيلوا من على وجه الأرض"[3].

فهذه الإزالة من على وجه الأرض تعني أنهم أبيدوا تماما، ولم ينج منهم أحد تحقيقا لوعيده تعالى ومصداقا لتعبيره القرآني ببيانه الرفيع في وصف حالتهم في سورة الحاقة: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾[4]، وسورة مريم: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[5].

---

[1]- سورة الصافات: الآيات: 71-72-73.

[2]- سورة محمد: الآية 13.

[3]- هارون يحي، الأمم البائدة، ترجمة: ميسون نحلاوي، مراجعة اورخان محمد علي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ص 10.

[4]- الآية: 8.

[5]- الآية: 98.

هذا الدمار الذي أتى على سكان المكان و لم يأت على المعمار المكاني بل تركه محل تسأل المتلقي عن أخباره وأسراره، لعله يجد فيه السلوان والعظة، و " ويثير لديه سلسلة من الأسئلة التي تتجاوز مظهرية المكان إلى مخبريته " [1].

وأما تتبع القارئ لآيات المكان الخاوي الصامت والخالي من سكانه والهدف من إيراده في مواضع متنوعة وعلى مساحة واسعة جدا لاستعراض القرآن لمنظومة قصص الغابرين وتحديدا مواطنهم والإشارة إلى مساكنهم الفارغة المهجورة، مع الأمر بوجوب السير فيها، وشد الرحال إليها مع إلزامية النظر والتدبر والتأمل بوعي في ما حل بأهلها للاتعاظ والاعتبار بمصير السابقين منهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

ولا شك أن تصور المتلقي للأماكن السالفة وقصص الأقوام والأمم التي كانت تستوطن تلك المساكن وفق منظور إيماني، يستمد مرجعيته المعرفية من معطيات النص القرآني كفيلة بجعل القارئ يقف على منهج القرآن الكريم في معالجته لمسألة الأماكن الخاوية، وطرق تلقيها.

ويمكن فهم منهج القرآن في رؤيته لقضية تلقي الأماكن الخاوية وقصص الغابرين وفق الأسس والأنواع والآليات الآتية:

1- تحديد اللفظ المناسب " خاوية " لتنسجم مع وضعية المكان بمعنى الفراغ الداخلي للأماكن وخلوها من أهلها بدلالة الغياب الكلي للحضور الإنساني فيها، وهذا الغياب المسجل على الأماكن لا يعود سببه إلى الارتحال بدواعي البحث عن المعيشة، أو تتبع الكلأ والماء كما كانت تفعل القبائل العربية البدوية، وإنما بسبب العذاب الإلهي الذي نزل بهم نتيجة لعنادهم وكفرهم وتكذيبهم لرسل الله.

2- الإشارة الواضحة لمواطن الغابرين بذكر أسماءها وهو تحديد شبه جغرافي للاماكن الخاوية حتى تقع بمشاهدتها المكانية العبرة والعظة.

3- بيان وتوضيح نوعية الهلاك الذي كان موجها لقاطني المكان لا إلى المكان، وذلك ليظل قائما وشاهدا وحجة عليهم، وفيه تكمن العبرة بمصير الماضين.

---

[1]- حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، د.ط. 2001 م، ص 53.

[2]- سورة الأنعام: الآية: 11.

أنواع التلقي المكاني في المنهج القرآني يقوم على نوعين:

1-تلقي سمعي للأماكن الخاوية، وذلك من طريق:

أ- استعراض آيات التلقي السمعي للاماكن الخاوية.

ب- تفسير الآيات السمعية عن الأماكن الخاوية في ضوء مصادر التفسير القرآني.

ج-قراءة في المروي عن قصص أماكن الغابرين.

2-تلقي بصري للاماكن الخاوية وذلك من طريق:

أ- استعراض آيات التلقي البصري للاماكن الخاوية.

ب- تفسير الآيات المرئية عن الأماكن الخاوية في ضوء مصادر التفسير القرآني.

ج-قراءة في المرئي من صور الانهدام الحضاري للمنجز المعماري للمكان الخاوي.

آليات التلقي المكاني في المنهج القرآني القائم على:

1-الإشارة لصورة الانهدام الحضاري لأماكن مصارع الغابرين.

2-الأمر الإلهي بوجوب السير في تلك الأماكن.

3-ضرورة المرور بالديار الدارسة للأمم البائدة.

4-المشي في مساكن الغابرين.

5-ضرورة التوقف عند البقايا المكانية الدارسة لدورهم ومنازلهم ومشاهدها بتمعن وروية (ضرورة النظر في آثارهم).

6-التدبر في قصص الأمم السالفة بمشاهدة الأماكن الخاوية الخربة التي كانت محلا أو موضعا لإقامتهم.

7-الاعتبار بمصيرهم من خلال المروى عنهم والمرئي من آثارهم، أي الاعتبار بالتجارب الإنسانية السابقة والوقوف على الجانب الايجابي فيها والسلبي منها لتفادي الخطأ والانزلاق، والانحراف والضلال.

ثانيا:أسس ومرتكزات التلقي المكاني في القرآن الكريم

أعطى القرآن الكريم أهمية كبيرة للمكان باعتباره أحد المحاور الأساسية في حياة البشر [1] ذلك أنه هو " المأوى والانتماء ومسرح الأحداث "[2].

كما أعطى النص القرآني العناية الفائقة بعرض قصص بعض الأماكن وأماكن الغابرين تحديدا على امتداد مساحات كبيرة، وفي مواطن متعددة مذكرا ومنبها ذهن المتلقي المتتبع للآيات القرآنية إلى قضية المساكن الخاوية من أصحابها من القرون الماضية والأمم البائدة وأحداث الهلاك والعذاب الإلهي الذي نزل بساحتهم في أزمنة سابقة، " إذ القرآن لا يعنيه تحديد الزمن بقدر ما يعنيه تحديد الحدث تحديدا تاما يبرزه في مظهره المؤثر في ميدان العظة والعبرة، إذ ليس القرآن كتاب تاريخ وإنما هو كتاب موعظة للمتقين "[3].

وفي سبيل الوصول إلى موطن العبرة والعظة من ذكر أحداث الماضين وتهذيب نفوس المتلقين استعمل القرآن القصة كوسيلة من وسائل تغذية العقول " فالقصة في القرآن باب من أبواب البياني القرآني العظيم "[4].

والمكان عنصر هام في بناء القصة وتركيبها، إذا يعد الإطار الذي تنطلق منه الأحداث، وتسير فيه الشخصيات، بل يتجاوز كونه إطارا لها، ليصبح عنصرا فعالا في هذه الأحداث وهذه الشخصيات، ومشحونا بدلالات اكتسبها من خلال علاقته بالإنسان [5].

من هذا المنطلق كان لقصص الأولين وأماكن هلاكهم نصيبا كبيرا من الذكر والعرض والتصوير والتعبير عن الأحداث التي عرفتها بعض المواقع الجغرافية من جزيرة العرب في تاريخها القديم في مواضع متنوعة من النص القصصي القرآني بأساليب بيانية تتراوح بين الإيجاز تارة، وبين البسط تارة أخرى، وذلك بحسب ما تقتضيه ظروف العبرة ومقتضيات العظة والتأسي.

---

[1]- خالد فائق العبيدي، المنظار الهندسي للقران الكريم، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط.3، 2009 م، ص 142.

[2]- موسى ربايعة، جماليات الأسلوب والتلقي، ص 74.

[3]- محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة القاهرة، د.ط، 1970 م، ص 313.

[4]- سعيد عطيه علي مطاوع، الإعجاز القصصي في القرآن، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط.1، 2006 م، ص 7.

[5]- محمد طول، البنية السردية في القصص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية:الجزائر، د.ط، 1991 م، ص 43.

وإذا كان المتلقي يعرف سابقا ومن خلال تتبع الأحداث الماضية التي جاء ذكرها في القرآن مرتبطة بمواطنها الأصلية أن عناية البيان القرآني بإظهار صورة أماكن الهلاك على تلك الشاكلة من الخواء والخراب والدمار إنما الهدف منه هو تنبيه الغافلين إلى سنن الله في المخالفين والمكذبين لدينه، وهو في الوقت نفسه أسلوب من أساليب الزجر والاعتبار بالمنجز العمراني المتهدم هذا المنجز المعماري المتساقط الخاوي تعامل معه القرآن وفق الأسس الآتية:

1- تعيين المكان الخاوي.

2- ذكر المكان الخاوي باسمه.

3- وصف وتصوير حالة المكان الخاوي.

والقرآن الكريم ينظر للمكان الخاوي في قصصه على اعتبار تحديده " فهو لا يلتفت لذكره إلا إذا كان له وضع خاص يؤثر في سير الحدث أو يبرز ملامحه، أو يقيم شواهد نفسية وروحية تفتقدها القصة " [1].

و يمكن أن نرصد في السرد القرآني حالة المكان، تشمل إرفاق الأحداث بالأمكنة التي دارت فيها، وذلك عندما يكون لذكر المكان وضع خاص يأتي بقصد العبرة والموعظة.

و انطلاقا من أهمية فهم المتلقي لفعالية العبرة والعظة من ذكر أماكن قصص الغابرين من منظور قراني في عديد سوره وآياته لابد من النظر بوعي إلى خريطة جغرافية القصص المكاني وأنواع تلقيه.

أولا: تلقي جغرافية القصص المكاني في النص القرآني

إن جغرافية الأقوام والشعوب والأمم، وجغرافية القصص القرآني التي تعني الأماكن والمواطن التي احتضنت حركة الأنبياء التاريخية، ونشاطهم الحضاري في عصورهم وعصور الأقوام التي واكبت حياتهم على الأرض، أنها في الواقع احد جناحي الحقيقة التاريخية [2].

إن الحقائق والإشارات القرآنية لها أهميتها الخاصة في التعرف على جغرافية أماكن الغابرين

---

[1]- فؤاد علي رضا، من علوم القرآن، دار اقرأ: بيروت، ط.1، 1982 م، ص 189.

[2]- علاء الدين المدرس، عولمة اللغة والتاريخ وفق المنظور القرآني ومسطرته، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط.1، 2008 م، ص 125.

والأنبياء الذين أرسلوا لهدايتهم.

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار الإرشادات الواردة في النص القرآني " نقاط توجيه وإرشاد وأعلام مضيئة في فهم التاريخ التوحيدي "[1].

فالاستعانة بالمعرفة الجغرافية مهمة في فهم الإنسان، من هنا جاء اهتمام الإخباريين بالأعلام الجغرافية التي تكشف لهم عن سر الأماكن، وعن أخبار الغابرين [2].

وهذا بدون شك يعطي انطباعا لمتلقي الأماكن الخاوية أن تحديد مواطن الغابرين أمر يساعد على تصور مشهد المنجز العمراني المتهدم الذي برؤيته المركزة تتحقق العبرة، وهذا ما يفسر " أن المكان عندما يكون غير محدد يمكن أن تتوه رؤية المشاهد في كتلة غير منتظمة من الأشخاص والأشياء "[3].

وعلى هذا الأساس كان لتعيين مواطن الغابرين في النص القرآني دور في توضيح صورة الخراب والانهدام الذي طال المنجز المعماري بمساكن الهالكين من الأقوام البائدة.

يعرف الناس عن بلاد العرب أنها بلاد واسعة و لشساعتها يصعب على المرء تحديد مواطنها الجغرافية الممتدة على رقعة متنوعة ولكن الغالب عليها هو طابعها الصحراوي ونظرا لهذه الخصوصية فان المتلقي للدراسات التاريخية والبحوث الأثرية التي اشتغلت على جغرافية الوطن العربي يلاحظ أسماء لأماكن مذكورة في المدونات والمرويات العربية والغربية محددة بعينها وباتجاهاتها على خريطة شبه الجزيرة العربية وهي الأمكنة نفسها التي أشارت إليها آيات القرآن الكريم سواء بأسمائها الصريحة أو الموحية إلى تواجدها ضمن نطاق الأراضي العربية.

وبخصوص مسألة الإشارات القرآنية للاماكن العربية العامرة والخاوية وما يتعلق بأهمية جغرافيتها في تحديد مواطن العظة والعبرة للمتلقي للمشاهد المرئية والمروي عن تاريخها، جاءت دراستان هامتان:

---

[1]- المرجع نفسه، ص 127.

[2]- رشيد نظيف، فضاء المتخيل في الشعر الجاهلي، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء ، ط.1، 2000 م، ص 37.

[3]- كاظم مؤنس، دراسات نقدية في جماليات لغة الخطاب البصري، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط.1، 2006 م، ص 126.

الدراسة الأولى: سلطت الضوء على الخريطة العربية والعبرة من القصص القرآني [1].

وفي هذه الدراسة تم التركيز على " منطقة القلب وهي البيت الحرام موضع مركز خريطة قصص القرآن " [2].

وموطن الإشعاع الديني الأول والأخير وموطن الوحي لختام الرسالات السماوية، ثم منطقة الوسط، وما يتعلق بها من بداية انطلاق الدعوة والهجرة والغزوات، ثم الدائرة الثالثة: تشمل المحور الجنوبي:" يمتد من مكة إلى اليمن وعلى طريقة رحلة الشتاء، ثم المحور الشمالي يمتد من مكة إلى الشام وبطريقة رحلة الصيف.

وكل هذه الأماكن المنطلقة من القلب ومحيطه الشمالي والجنوبي وقعت فيها الدعوة الإسلامية على يد جملة من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، وخلال تلك الفترات الزمنية المتعاقبة شهدت تلك الأماكن نهضات كبرى لحضارات متقدمة فكانت عامرة مزدهرة سادت، ولكن لم تدم سيادتها طويلا فسرعان ما عصف الكفر والعناد والتعالي وتكذيب لرسل الله بأصحابها فنزل العذاب بساحتها فتحولت إلى النقيض فخلت من أهلها وأصبحت أماكن دارسة موحشة وتحقق فيهم قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[3].

إذا هناك علة وسبب للهلاك، هناك دائما علاقة بين عمل الإنسان والمجتمع، والعمل الصالح أو الطالح وبين العقاب والثواب [4].

أما فيما يتعلق بالدراسة الثانية: فقد جاءت مركزة عن الوحدة الجغرافية التوزيع والعلاقات عبر دوائر محددة للكاتب سعيد علي عطية في مؤلفه القيم " الإعجاز القصصي في القرآن " [5].

والظاهر أن هذه الدراسة كانت تسير وفق نمط خط التنقل والارتحال العربي بدواعي التجارة والحج وغيرها، وكل مواطن سجلت بها حوادث للاعتبار والاتعاظ الإنساني.

---

[1]- للسيد عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط.1، 1972 م، ص 191.

[2]- السيد عبد الحافظ عبد ربه، المرجع السابق، ص 278.

[3]- سورة القصص: الآية 58.

[4]- حسن سلمان، النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط.1، 1986 م، ص 160.

[5]- سعيد علي عطية مطاوع، الإعجاز القصصي في القرآن، ص 84.

وإذا أمعن المتلقي في نوع هذه الدراسة فيجد أنها مقسمة انطلاقا من المركز وهي منطقة القلب " مكة " والدوائر المحيط بها " وفي نطاقها وقعت معظم القصص القرآني "[1].

1- من المركز محور جنوبي اليمن وبه قصص عاد وسبا.

2- من المركز يمتد محور شمالي: يذكر فيه: قرى لوط وأصحاب مدين وديار ثمود).

ويتجلى هذا التقسيم العلمي في أن أهداف القرآن لم تكن لتستغرق الأماكن حصرا وتسجيلا، وإنما اكتف بإيراد نمط واضح من الدراسة يتمثل في مركز ودوائر متتابعة في الاتساع، ومحاور تربط بين القلب والأطراف، أي بين قلب الدين وأماكن توسعه وانتشاره، بحيث يعتبر القلب، بيت الله الحرام، وهو مركز البشري الإنساني، وحوله دائرة الغزوات حيث يتمثل في الدفاع عن العقيدة وحمايتها وتليها دائرة التجربة الإنسانية في علاقتها بتطبيقات الدين الإسلامي في الأرض، ومحاولة الاعتبار بالأحداث السابقة من خلال القصص الممتدة على محورين جنوبي وشمالي، ثم دائرة واسعة غير محددة تمثل وجوب السير في الأرض لمزيد من الاعتبار سيرا إلى مطالع الشمس ومغاربها، وعملا في مجال العقيدة والإنشاء والتعمير والحصول على العلم والتواضع الدائم لله... وهي بدورها ممهدة لتطوير المجتمعات وبناء أفضل للتاريخ الإنساني [2].

فقراءة متمعنة لهذه الدراسة من حيث اهتمامها بجغرافية القصص القرآني الرامي إلى الوصول والاستنتاج والوقوف على مشاهد العبرة والعظة دليل واضح على أن " البيئة الجغرافية هي مسرح النشاط البشري " [3].

من هذا المنطلق يقف القارئ على أن " تتم قراءة المكان، كتاريخ وهندسة وجغرافيا وبها يتم الالتحام بالمكان كموضوع " [4]

ثانيا: جغرافية القصص وعلاقته بالأماكن الخاوية في النص القرآني

ويمكن الاستفادة من الدراستين السابقتين في مجال تحديد جغرافية القصص القرآني وعلاقته

---

[1]- المرجع نفسه، ص 84.

[2]- سعيد علي عطية، الإعجاز القصصي في القرآن، ص 88.

[3]- سليمان حزين، أرض العروبة رؤية حضارية في المكان والزمان، الهيئة المصرية، العامة للكتاب، القاهرة، ط.1، 2007 م، ص 357.

[4]- محمد صالح خرفي، سيمياء المكان في شعر عثمان لوصيف، ملتقى السيمياء بسكرة 2002 م،

بمسالة الاعتبار، وربطه مباشرة وبشكل واضح وصريح بمواطن الهدايا والعظة، من زاوية التركيز على الأماكن الخاوية " أي أماكن الغابرين والتي فيها تتجلى صورة المكان المتهدم المتساقط ولكن رغم سقوطه لا زالت بعض بقاياه قائمة إلى اليوم تتملاه العين في ذلك " أن الصورة تعالج المكان معالجة تحرك في المتلقي الرغبة في التأويل والتوصل إلى دلالات المكان ومعطياته "[1]، " فالكلام عن المكان يقتضي العين التي تراه.

ثالثا: التلقي السمعي وآياته عن الأماكن الخاوية في القصص القرآني

يعد الاتصال السمعي من أبرز أنواع الاتصال الإنساني لاعتماده على حاسة السمع [2]. فالسمع وسيلة من وسائل التحصيل المعرفي، كما انه من أهم الوسائل التي تربط الإنسان بالعالم الخارجي، إذ يأتي.

–السمع ثم البصر، نسمع ثم نرى، ثم ينشا من هذه المحسوسات أمور عقلية وأمور وجدانية، وأمور قلبية [3].

والقرآن الكريم حينما تحدث عن مشاهد المعرفة في الإنسان، جعلها بهذا الترتيب ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ ﴾[4].

فإذا تحدث الحق تبارك وتعالى عن [السمع] جعله أولا، ثم [البصر] ثانيا، وذلك لان السمع يؤدي مهمته أولا، والبصر ثانيا، وبعد ذلك تتكون المعلومات بأنواعها.

وماتميز به النص القرآني هو ما ترد فيه من آيات تدعوا الناس إلى الاهتمام بحاسة السمع وتوظيفها كوسيلة فعالة في فهم سنن الله لذلك خاطب القرآن الإنسان رابطا إياه بالكون طالبا منه ضرورة الأخذ بهذه الوسيلة التي تربطه بالعالم الخارجي [5].

---

[1]– الطاهر عبد المسلم، عبقرية الصورة والمكان، الشروق للنشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط.1، 2006 م، ص 100.

[2]– جمال العيفة، تجربة القراءة والمشاهدة بين الخسار المكتوب وانتشار المرئي، مجمع اللغة العربية، الجزائر، العدد 13، 2005 م، ص 191.

[3]– عبد الفتاح لاشين، صفاء الكلمة، دار المريخ للنشر، الرياض ، د.ط.1982 م ، ص 138.

[4]– سورة النحل: الآية: 78.

[5]– شايف عكاشة، في القرآن والإنجيل والتوراة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.د، ط، 1998 م، ص46.

ويمكن فهم الارتباط بالعالم الخارجي عن طريق المسموع والمروي عن الأماكن الماضية، ومساكن الغابرين التي جاءت بها منظومة القصص القرآني، وذلك من خلال مجموعة الآيات المروية عن الأماكن الخاوية والموزعة على مواطن متنوعة من النص القرآني.

ولرصد المتلقي لهذه المجموعة من الآيات ذات الدلالة السمعية في النص القرآني لابد من تتبع الآيات السمعية عن قصص أماكن الغابرين ثم النظر في معانيها وتفاسيرها.

الآيات السمعية عن الأماكن الخاوية

1-جاء في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[1].

2-قال عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾[2].

3-قال تعالى: ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾[3].

رابعا: تلقي الآيات السمعية عن الأماكن الخاوية في مصادر التفاسير القرآنية:

أية التلقي السمعي في سورة الحج:

جاء في تفسير سورة الحج /46 والكلام موجه لعرب الجاهلية لهذا جاء الخطاب القرآني " ليفصح عن نفسه مع إعادة القراءة وإمعان النظر " 4 من طرف المتلقي المفسر على نحو يعطي للدلالة السمعية حظها المناسب في فهم مرامي القرآن من الرواية عن أماكن الغابرين ولفت انتباه السائرين في الدروب المؤدية إلى مساكن الأولين الخاوية بقوله: (أفلم يسيروا في نواحي الأرض ليروا مصارع الهالكين !؟ فتصير لهم قلوب يعقلون بها أو أذان يسمعون بها الوحي بسماع تدبر وتفهم " 5.

---

[1]- سورة الحج: الآية 46.

[2]- سورة السجدة: الآية 26.

[3]- سورة الحاقة: الآية 12.

[4]- السيد إبراهيم، محاور، مجلة النقد الأدبي والدراسات الثقافية، القاهرة، العدد 2، 2005 م، ص 18.

[5]- الموسوعة القرآنية الميسرة، ص 338.

وهذا هو المقصد الأعظم الذي من اجله جاء النص القرآني ليقدم للمتلقي منهجه القائم على الفكر والنظر والتدبر، ووسيلة في تحقيق ذلك، إلباس المعاني المحررة الذهنية لباس المحسوس الذي يدرك بحواس عديدة " حيث يعمل المرء وسائله السمعية والبصرية " 1لفهم تعدد ذكر قصص أماكن الغابرين والغرض من تركها قائمة متهدمة كمنجزات عمرانية خربة خاوية من أهلها، ولفهم بصورة أعمق الهدف الأصلي الذي لأجله حث الله الناس على السفر في نواحي الأرض ليروا تلك المشاهد المكانية المتهاوية ويسمعون ما ذكر بشأنها وما حدث لأصحابها، ونوع العقاب الإلهي الذي نزل بتلك الأقوام السابقة.

2-آية التلقي السمعي في سورة السجدة: في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾[2].

تتجلى آية التلقي السمعي أمام فهم القارئ المتتبع لذكر قصص الأماكن الخاوية في النص القرآني، من خلال إدراك العلاقة بين المساكن الفارغة المهجورة، وحاسة السمع الإنساني وكيفية التجاوب مع المروي والمسموع من حوادثها الماضية، والوقوف الواعي عن سر خرابها وخلائها من أهلها خلاءا تاما.

وتتضح صورة تلك المساكن الخربة بفعل الاستئصال الهي الذي نزل بساحتها في ضوء المعنى التفسيري لآية سورة السجدة (أن في ذلك لآيات) أي عبرا ومواعظ ودلائل متناظرة (أفلا يسمعون) إخبار من تقدم كيف صار أمرهم بسبب تكذيبهم الرسل وبغيهم الفساد في الأرض، فيحملهم ذلك على الإيمان 3.

وفي هذا الخطاب القرآني للعرب دليل على أن العرب كانوا يعرفون ويسمعون بأخبار الأمم السالفة وأماكنها " بالتوارث خلف عن سلف " 4.

3-آية التلقي السمعي عن الأماكن الخاوية في سورة الحاقة: في قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً

---

[1]- محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، أمون للطباعة والنشر القاهرة، ط.1، 1993 م، ص 17.

[2]- الآية: 26.

[3]- مختصر تفسير القاسمي، ص 317.

[4]- برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تخريج: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط.1، 1995 م، ج 5، ص 56.

وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾[1].

يقول صاحب مختصر تفسير القاسمي في تفسيره لمعنى هذه الآية (لنجعلها) أي تلك الفعلة التي هي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين (لكم تذكرة) آية وعبرة تذكرون بها صدق وعده في نصرة رسله، وتدمير أعدائه (وتعيها) تحفظها (أذن واعية) حافظة لما سمعت عن الله، متفكرة فيه [2].

وأمام هذا المعنى التفسيري الوارد في مختصر تفسير القاسمي للمقصود من بيان وتوضيح مفهوم هذه الآية يلاحظ القارئ أن هناك ترابطا عميقا بين مفردات الآية الكريمة، والتي جمعت بين التذكرة والوعي، والحفظ والتفكر عن طريق أنشط الحواس وهي الأذن أداة السمع ووسيلة للحفظ والوعي بالمروي من أخبار الأقوام السابقة والاعتبار بمصيرهم والاتعاظ بقصص الإهلاك الإلهي الواقع بهم.

ليكن " القصد من هذه الأصناف العقابية التي سلطها الله على الأقوام الظالمة نفسها، هو تقديم العبرة للأقوام اللاحقة لعلها تتذكر فتتوب إلى ربها، وتعي وتعقل فتعمل صالحا " [3].

قراءة سمعية عن قصص الأماكن الخاوية في ضوء سورة الحاقة

القراءة الأدبية شكل من أشكال التواصل [4] بين النص والقارئ تفرضها وسائل الاتصال المرئية والمسموعة.

وإذا كانت القراءة عن طريق الملفوظ الكلامي تعتمد على اللغة باعتبارها وسيلة تواصل، فان تلقي المنطوق من جهة التداول الإخباري ونقل الوقائع والحوادث الماضية، يعد أداة فعالة في رسم صورة للمحكي عنه في ذهن القارئ، ويساهم في انتشار المرويات بتناقل الكلام أو الخبر مشافهة، وفي هذه الحالة نجد أن " الشفوية تفترض السماع فالصوت يستدعي الأذن أولا، ولهذا كان للشفوية فن خاص في القول، لا يقوم في المعبر عنه، بل في طريقة التعبير " [5].

---

[1]- الآية: 12.

[2]- مختصر تفسير القاسمي، ص 567.

[3]- شايف عكاشة، الإعجاز والغيب في المنهج الذاكرتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط.1، 1998م، ص 35.

[4]- محمد مريني، سوسيولوجية القراءة، دار النشر الجسور، وجدة ، ط.1، 2007 م، ص 101.

[5]- سعد حسن كموني، الطلل في النص الشعري العربي، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، ط.1، 1999 م، ص 96.

وإذا تفحص القارئ المتتبع لمعنى الملفوظات السمعية الواردة في آية سورة الحاقة كنص لغوي وتعامل معه من منطلق فعل القراءة، وعلاقة القارئ بالمروي عنه في زمن "يعتمد السماع أساسا"[1].

ويمكن التواصل مع المروي من إخبار السابقين من طريق السمع بالنقل الشفاهي المتوارث عن قصص الغابرين، وعن مواقعهم كما جاء ذكرهم في النص القرآني مركزا على الأماكن الخربة التي تركت بعد نزول العذاب بأصحابها ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾[2].

من هذا المنطلق يمكن للمتلقي سماعا عن المكان الخرب، أن يتواصل مع موضوع الهلاك المكاني وفق قراءة فعالة تتغلغل في نسيج النص القرآني لاستخراج مكنونات خطابه في خط المسار الاعتباري الهادف إلى بث الوعي بأهمية التجارب المكانية في حياة الأمم والشعوب.

وضمن نطاق هذه الرؤية الاعتبارية يمكن إعادة قراءة محتوى الآية الثانية عشرة من سورة الحاقة (لنجعلها تذكرة وتعيها أذن واعية)، بمفرداتها تكشف عن قوة البيان القرآني وبراعته في التعبير عن خرائبية وفجائعية المكان بعد حلول العذاب الإلهي به، وتحوله إلى مشهد طللي دارس وتعليلا لإيراد هذه المشاهد الطللية الدارسة، تشكلت الآية الثانية عشرة من فعلين مضارعين يستمران في تعاطيهما مع الماضي من أجل الحاضر والمستقبل[3].

ويحدد حكمها " تذكرة " ويعطف بفعل يسند إلى " أذن واعية " وفي هذا تحريض للعقل كي يعمل حركته في فهم أحداث الماضي ليتزود بعبرها ويستذكر بها مستلزمات الفلاح من حضارات أفعال قوم عاد وثمود وفرعون

ويلاحظ القارئ المتتبع للآية أن المسند إليه " أذن واعية " عضو السماع " وفي ذلك إشارة إلى الطريقة التي تبلغ بها التذكرة مبلغها[4].

وهذا انسجام مع المرحلة الشفوية في تناقل المعارف، كما يفيد هذا الإنسان في ضرورة إشاعة

---

[1]- صاحب خليل إبراهيم، الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط، 2000م، ص 5.

[2]- سورة النمل: الآية 52.

[3]- سعد حسن كموني، الطلل في النص الشعري العربي ، ص 96..

[4]- المرجع نفسه، ص 96.

تلك المعرفة (التذكرة) وعبر الأذن تكون سرعة انتشارها ولا يعني هذا أن التذكرة لا تعيها عين واعية عن طريق القراءة.

أن إيثار الأذن على العين في هذا السياق يسوغه أمر اللبس بين العين التي ترى الحدث، والعين التي تقرأه، والغاية من الإنسان أخيرا تعليل إيراد الأحداث الماضية بان إيرادها ليعيها الإنسان [1].

وفي هذا دلالة واضحة عن علاقة التداخل بين المروى عنه من الأخبار الماضية وحاسة الإدراك التي تعي الكلام وتعقل وتحفظ ما سمعت، لتتعظ وتعتبر بمضمونه.

وفي ضوء هذا الدلالة يتضح للقارئ أهمية ما يحكى ويقص عن إخبار الغابرين ويفهم " أن السمع ما وقر في الأذن مما يسمعه الإنسان، وما وقر في العقل مما يفهمه كذلك، فصار بذلك الوسيلة الرئيسية للتلقي "[2].

وينطبع في ذهن المتلقي بان الأداء السمعي للمروي من أخبار من سبق من الأمم والأقوام إنما من القراءة السمعية هو نوع حين تعد القراءة مهارة وفهم وتفاعل مع المقروء واستجابة له " [3].

رابعا: التلقي البصري للأماكن الخاوية في القصص القرآن الكريم

يعتبر الاتصال البصري من أرقى الاتصالات الإنسانية لاعتماده على حاسة البصر، وذلك لأن " البصر وسيلة هامة من وسائل تحصيل المشاهد "[4]، حيث تلعب العين الدور المركزي في التقاط الصور المرئية لمناظر العالم الخارجي، أين تتبدى الأشياء لمرأى العين، وتبعا لذلك يتاح الإبصار للإنسان.

وعلى هذا الأساس تحتل العين مكانة متميزة لدى الإنسان، وبين الحواس الأخرى، ذلك أن النظر هو الأكثر كمالا بين الحواس " فالعين تتخذ معاني متعددة متداخلة أحيانا ومتعارضة أحيانا أخرى حيث تتنوع تجلياتها و رمزياتها بشكل لا يمكن حصر، لكن نؤكد أنها ارتبطت بالجامد والحي من إنسان ونبات.

---

[1]- المرجع السابق، ص 112.

[2]- من سمات الأداء في ثقافة العرب الأولين، ص 145.

[3]- بشير أبرير، التواصل مع النص من أجل قراءة فعالة محققة للفهم، مجلة اللغة العربية، الجزائر، العدد 4، 2001 م، ص 209.

[4]- جمال العيفة، تجربة القراءة والمشاهد بين انحسار المكتوب وانتشار المرئي، ص 191.

وفي كل العيون نركز بالأساس على عين النظر والرؤية والمشاهدة والإبصار" والعين باعتبارها حاسة البصر لها أهمية كبيرة جدا مقارنة مع باقي الحواس، وفي هذا يقول ابن حزم: "والعين أبلغ الحواس وأصحها دلالة، وأوعاها عملا، وهي رائد النفس الصادق، ودليلها الهادي، ومرآتها المجلوة التي يقف بها على الحقائق، وتمييز الصفات، وتفهم المحسوسات"[1]. وقد قيل: ليس المخبر كالمعاين[2].

وبحسبك من قوة إدراك العين أن جعلت في الخطاب القرآني الوسيلة الأكثر فعالية في مشاهدة، ومعاينة مناظر الكون، وأحد منافذ المعرفة وأداة خصوصا للاماكن ومساكن الغابرين للرؤية والنظر للعالم الخارجي " فالعين وإن كانت منفذا على الداخل، فهي الأكثر صلة بأشياء العالم من خلال الملاحظة البصرية أو فعل النظر [3].

هذا التلقي المباشر يسمح للمتلقي أن يتواصل مع المشهد المكاني بصورة مرئية من طريق الرؤية والنظر والتأمل والتدبر لما حدث للمكان من انهدام وسقوط وتضعضع، وتحوله إلى بقايا مكانية دارسة، أي إدراك صورة المكان الخرب " إدراكا مباشرا لعالمه الخارجي في مظهره المضيء" [4].

وهنا يصبح للدعوة القرآنية في استعمال النظر أمر على غاية من الأهمية في دراسة الأماكن الدارسة واخذ العبرة برؤيتها على تلك الصورة من الفراغ والصمت.

ويمكن فهم هذا الطرح بشكل أوضح وذلك من خلال تتبع آيات التلقي البصري للاماكن الخاوية في النص القرآني، ثم قراءة ما جاء في معناها في تفسير النصوص القرآنية.

أولا:آيات التلقي المرئي للاماكن الخاوية في القرآن الكريم

لفت السرد القرآني نظر المتلقي إلى الأماكن الخاوية من أهلها ببقاء معالمها قائمة إلى يوم الناس هذا شاهدة على عظمة الملك وفخامة البناء وروعة الطراز العمراني في زمنه، وما وصل إليه أصحاب تلك الحضارات العربية سادت ثم أبيدت.

---

[1]- ابن حزم، طوق الحمامة، تقديم: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط.1، 2003 م، ص 75.

[2]- المرجع نفسه، ص 76.

[3]- محمد عزالدين النازي وآخرون، تيمة العين في القصة القصيرة بالمغرب، ص 49.

[4]- الطاهر بن خرف الله، سيبولوجية التلقي البصري ومساءلة الرسالة البصرية، مجلة الوسيط في الدراسات الجامعية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ج11، 2005 م ، ص 113.

وسيلته في ذلك شد انتباه الناظر إلى الجانب المرئي من طريق الصورة والتواصل المباشر باستخدام حاسة الإدراك الفاعلة في التقاط المشاهد المكانية بواسطة العين.

فالخطاب القرآني في حديثه عن الأماكن التي شهدت مصارع الغابرين إنما ركز على المساكن الفارغة المهجورة وتركها " آية " لمن ينظر إليها أو يشاهدها عن قرب أو يتملى صورتها، فتقع برؤيتها العبرة والعظة " ففائدة الاتعاظ والاعتبار من القصص من أعظم الفوائد متعلقة بالتاريخين الماضي والحاضر والمصائب النازلة بالأمم الغابرة مما بينه الله في كتابه عظات وعبر لنا، فإنها لم تنزل بهم إلا لانحرافهم عن سبيل الله تعالى "[1]، وفيما حل بالمكذبين من العقوبة ينبغي أن يكون عبرة لمن بعدهم[2].

ويمكن قراءة المشاهد المكانية التي أشار إليها النص القرآني في أكثر من موضع، مؤكدا على أهميتها بالدعوة إلى التأمل والتبصر بالمكان من خلال الآيات المرئية والتي تتوزع لا للحصر بل للتمثيل على الشكل الآتي:

1-قال تعالى في سورة الحجر: ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾[3].

2-جاء في محكم تنزيله في سورة الحج: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[4].

3-قال عز وجل في سورة الفرقان: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾[5].

4-قال عز وجل في سورة النمل: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً

---

[1]- محمد بشير النيفر، القرآن والقصص، مطبعة الشمال الإفريقي، تونس، ط.1، 1350 هـ، ص 18.

[2]- الإمام القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط.3، المجلد 3، 2000 م، ص 92.

[3]- الآيات: 74، 75 و76.

[4]- الآية: 45.

[5]- الآية: 40.

لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

5-قال عز من قائل في سورة القصص: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾[2].

6-قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾[3].

7-قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[4].

8- قال تعالى في سورة الصافات: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[5].

ثانيا:قراءة في تفسير الآيات المرئية لاماكن الغابرين في القرآن الكريم

لم تختص الأدبية القرآنية المكان الخاوي من حيث كونه كان مسرحا لمصارع الأمم المكذبة، بل " لكونه احد الموضوعات الأساسية التي ارتكز حولها الخطاب القرآني سواء وهو يبني مجاليته الحسبية وصف مظاهر العظمة المادية المتجلية فيه، أو وهو يستدل بآثار ذلك الكون الحسي عن ألوهية الخالق رب العالمين..... وهذا اعتبارا لغائية الخطاب القرآني العامة التي تستهدف الرشاد الإنساني "[6].

ويتجلى هذا المنظور القرآني من خلال سياق الآيات المرئية التي جاءت تصور المشاهد المكانية للغابرين من القرون الماضية، وذلك ضمن إطار تفسير النص القرآني ومراميه الاعتبارية، والتي جسدتها مجموعة الآيات البصرية على شكلها الآتي بحسب ترتيب المصحف الشريف.

---

[1]- الآية: 52.

[2]- الآية: 58.

[3]- الآية: 38.

[4]- الآية: 35.

[5]- الآيات: 137-138.

[6]- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية:الجزائر، ط.1، 1998 م، ص 147.

1-ما جاء في سورة الحجر ⟵ الآيات: 74، 75، 76.

2-ما جاء في سورة الحج ⟵ الآية: 45.

3-ما جاء في سورة الفرقان ⟵ الآية: 40.

4-ما جاء في سورة النمل ⟵ الآية: 52.

5-ما جاء في سورة القصص ⟵ الآية: 58.

6-ما جاء في سورة العنكبوت ⟵ الآية: 35 و38.

7-ما جاء في سورة السجدة ⟵ الآية: 25.

8-ما جاء في سورة الصافات ⟵ الآيات: 137 و138.

قراءة في معنى الآية المرئية لصورة المكان الخاوي للغابرين

في ضوء مجموعة من الآيات

1-قراءة في معنى صورة المكان الخاوي في سورة الحجر:

قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾[1].

القراءة فعل تواصلي بالمقروء، ولا يتكون إلا من خلال التلاحم الشديد بين النص والقارئ، عندئذ تكون عملية القراءة قد أدت دورها لا من حيث أن النص قد استقبل، بل من حيث انه اثر في القارئ وانطلاقا من كون تفسير الآيات القرآنية هو عملية قراءة تسعى جاهدة لتقديم المعنى الذي يجلى غوامض الآيات الكريمة، ويبسط ويوضح المفاهيم المترتبة عن ذلك.

[1]- الآيات: 74-75-و 76-77-78-79.

جاءت قراءة معنى مجموعة آيات سورة الحجر، في دائرة دراسة المكان ورصد معالمه العمرانية، وذلك من خلال تركيز على المعالم الأكثر وضوحا والمشكلة للعالم المكاني والقابلة للرؤية والمشاهدة وهي: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾.

﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾.

جاء في تفسير آية التلقي البصري ﴿لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ما يوضح قوله تعالى في وصفه للهيئة المكانية بعد تغيير معالمها بفعل الهلاك الإلهي الذي نزل بأهلها ليغدو المكان في أثرها خرابا وعلامة مميزة للعبرة والعظة وقوله ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾متعلق بمحذوف على انه صفة لـــ " آيات" وأجود أن يتعلق بنفس "آيات" لأنها تعني العلامات.

فالعلامة في عملية التلقي البصري هي إدراك مباشر لصورة المكان في مظهره المضي، ذلك أن الصورة تعتبر كشف يحمل في نفس الوقت الدلالة والتواصل، فالصورة هي قراءة العلامة كشكل"[1].

التوسم: أصله التثبت، والتفكر مأخوذ من الوسم، قال ثعلب: الواسم: الناظر إليك من قرنك إلى قدميك، وفيه معنى التثبت.

وقال الزجاج: حقيقة المتوسمين في اللغة: المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا بسمة الشيء وصفته وعلامته هو استقصاء وجوه التعرف[2].

واختلف المفسرون، فقال ابن عباس: للناظرين، وقال مجاهد للمتفرسين، وقال قتادة للمعتبرين، وقال مقاتل للمتفكرين.

وكل هذه المدلولات اللغوية تحيل المتلقي على مجال النظر والرؤية بتمعن وتفرس فيقع له بموجب ذلك الاعتبار المرئي للمكان الخاوي.

[1]- قدور عبد الله، سيميولوجية التلقي البصري ومساءلة الرسالة البصرية، مجلة الوسيط في الدراسات الجامعية، العدد 2، ج11، 2005 م، ص 113.

[2]- اللباب في علوم الكتاب، ج 11، ص 480.

فيكون المعنى طبقا لما تقدم بيانه الناظرين من بعدهم فيحذرون مثل عقوبتهم [1].

وعليه يمكن للقارئ أن يستقر في ذهنه معنى التوسم أو المتوسمين أنها النظر المتبصر، لا الناظر الكليل النظر المستعجل، وهو الذي يصيب ما يعجبه من هذا الجمال البهي [2].

ليتضح معنى التوسم في ذهن المتلقي لصورة المكان الخاوي بشكل اقرب إلى الرؤية المباشرة للطلل المكاني الخرب الخاوي من أهله حين يطالع معنى التوسم الحقيقي وعمق دلالته اللغوية وأهمية ذلك لعين الناظر في قول الشاعر العربي زهير بن أبي سلمى:

تبصر خليلي هو ترى من ظعائن تحملن بالعلياء من فوق جرثم [3]

وفيهن ملهى للصـــديق ومنـــظر أنيق لعين الناظر المتـــوسم

تبصر خليلي " ولفعل التبصر " هنا خطره فهو لا يختص بالرؤية البصرية وحدها بل يتسع ليشمل البصيرة، وهو الدعوة إلى التأمل والتفكير والتعقل [4].

﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ [5].

يشير معنى الآية الكريمة إلى حيز مكاني واضح المعالم تشاهده العين في طريق السير المعتاد والمعروف للعامة خصوصا الرحالة وأصحاب السفريات المتكررة وعابري السبيل والمارين بمساكين الغابرين لاسيما وان قصة هذا المكان المحدد الواضح " كان بداية لقصة هلاك قوم في مكانها المعين، وانتهى عند نهايتها المعينة " [6].

قال المفسرون بشان هذه الآية ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾، أي طريق قريش إلى الشام لم تندرس

---

[1]- أبو الحسن مقاتل بن سليمان بشير الأزدي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: احمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 2003 م ، ج2، ص 108.

[2]- وهبة أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 207، 1996 م، ص 258.

[3]- شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، تح: احمد بن الأمين الشنقيطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.2، 2002م، ص 46.

[4]- قصبة احمد رومية، المرجع نفسه، ص 156.

[5]- سورة الحجر 76.

[6]- محمد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر بيروت ، ط.1، 1996 م، ص 28.

فلا يعتبرون بها [1].

من هذا المنطلق المعرفي لثقافة جغرافية الأماكن في الذهنية العربية وجه الخطاب القرآني أنظار العرب إلى الطريق المعروف لديهم وتكلم عنه " فالكلام عن المكان يقتضي الكلام عن العين التي تراه " [2].

ولهذا جاء تأكيد الخطاب القرآني عبر هذه الآية الكريمة إلى تحديد الطريق الذي تسلكه العرب وهي مرتحلة ومسافرة بدواعي التجارة وأغراض أخرى، فترى من خلال رحلتها " المكان مبثوثا معالمه فيه حيث كانوا يجوسون خلال ديارهم "[3]، أي ديار الغابرين.

وتعني قرى لوط التي أهلكت بطريق مستقيم يعني واضح مقيم يمر عليه أهل مكة، وهي بين مكة والشام [4].

والى المعنى نفسه والهدف الاعتباري الذي لأجله ورد ذكر أماكن الغابرين في الخطاب القرآني أشارت آية سورة الحجر في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[5].

أي بطريق ثابت واضح تعرفه العرب وتمر به، وترى معالمه القائمة بصورة تلق بصري مباشر للمشهد المكاني الخرب، " فصفة الإنسان ما رأى يكون لاشك أصوب من صفته ما لم ير، وتشبيه ما عاين أفضل من تشبيه ما أبصر بما لم يبصر " [6].

إن قراءة معنى الآية في ضوء المعطى التفسيري هي "عملية عقلية تشمل تفسير الرموز التي يتلقاها القارئ عن طريق عينه " [7]، فالمكان يرتبط جديا بمستويات الرؤية [8].

---

[1]- تفسير الجلالين، تح: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة رحاب، الجزائر، د.ط.د.ت، ص 219.

[2]- محمد مصباحي، فن الأمكنة، ملتقى ربيع الفلسفة الدولي السادس، مارس 2007 م، منشورات ما بعد الحداثة، فاس، 2007.ص 50.

[3]- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت ، ط.8، 1996 م، ص 19.

[4]- تفسير مقاتل بن سليمان، ج2، ص 108.

[5]- الآية: 79.

[6]- أبو الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج 2، ص 236.

[7]- جمال العيفة، تجربة القراءة والمشاهدة بين انحسار المكتوب وانتشار المرئي، ص 175.

[8]- الطاهر عبد المسلم، عبقرية الصورة والمكان، ص 106.

2-قراءة في الصورة المرئية لاماكن الغابرين في آية سورة الحج:

قال تعالى واصفا هيئة المكان بعد إهلاك أهله، وبقائه خاويا إلا من بعض المعالم العمرانية المبثوثة في أرجائه قائمة دون فعالية ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[1].

وتتجلى الهيئة الخارجية للمكان الخرب الخاوي من خلال قراءة المتلقي بالمعالم المادية الباقية كعلامات للفضاء المكاني القابل للمشاهدة المباشرة والمجسدة في: البئر، والقصور.

وتبرز لعين الرائي صورة المكان الخاوي من كل شيء فحتى المعلمان الرئيسيان اللذان يشكلان جغرافية الهندسية للمشهد المكاني والمتجسدان في البئر موطن الماء الذي هو أساس الحياة ومادته الحيوية، والقصر الذي يعد المسكن والمأوى لأصحاب المقامات الرفيعة والعائلة المترفة، قد تعطلا بدورهما بعدما فقدا فاعليتهما في الحياة الإنسانية.

إن العذاب الذي نزل بالمكان فحوله إلى موطن متهدم، بها بئر معطلة " هي خالية من أهلها لهلاكهم، وقيل معطلة من الدلاء والارشية وبها أيضا قصر مشيد وهو المرفوع من البنيان "[2].

وطبقا لهذا الوصف التفسيري لمعنى آية سورة الحج، والتي لم يبق من المكان المعروف سوى بقايا ممثلة في البئر المعطلة والقصر المرفوع البنيان دون فعالية أو حيوية تذكر، هي كل ما بقي عالقا في ذهن المتلقي للمكان الخاوي " في هيئته الخارجية التي تدرك بواسطة حاسة البصر....إن الرؤية أساس الإقناع "[3].

وعلى هذا الشكل يظل المعلم المكاني الثابت على الأرض حتى وان خلا من سكانه حاضرا في كل اللحظات وفي كل المساحات الخيالية، ويتحول إلى نواة خفية يتواصل مع المتلقي والقارئ عبر المخيلة الفياضة "[4].

---

[1]- الآية: 45.

[2]- محمد سليمان الأشقر، زبدة التفسير، ص 336.

[3]- جمال العيفة، تجربة القراءة والمشاهدة بين انحسارالمكتوب وانتشار المرئي، ص 193.

[4]- حفناوي بعلي، عزالدين مناصرة ، ناقدا أدبيا وثقافيا ومقارنا، مجلة التواصل الأدبي، مخبر الأدب العام والمقارن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة، العدد الأول، 2007 م، ص 117.

3- قراءة بصرية لصورة الانهدام المكاني في سورة تفسير سورة الفرقان الآية40:

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾[1].

جاء في تفسير معنى هذه الآية: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾ والخطاب القرآني في هذه الآية موجهة لمشركي مكة " مبينة لمشاهدتهم لآثار هلاك أهل تلك القرية ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ الاستفهام للتقريع والتوبيخ أي: يرون القرية المذكورة عند سفرهم إلى الشام للتجارة فإنهم يمرون بها، والفاء للعطف على مقدر أي: لم يكونوا ينظرون إليها، فهم يكونوا يرونها [2].

وأمام هذا المعنى التفسيري للمكان الخاوي المعروف بقرية قوم لوط والتي كان العرب يمرون بها عند سفرهم إلى الشام للتجارة يقف المتلقي القارئ والمتتبع لمعنى الآية أن صورة الحيز المكاني في علاقته التواصلية بالمارين به هي صورة سطحية ملتقطة " للمظهر الخارجي للمكان "[3]، بواسطة العين أي رؤية المكان، دون النظر إليه أو تفحص آثاره جراء العذاب الإلهي النازل به، أو الاعتبار بإنهداميته المروعة.

[1]- سورة الفرقان: 40.

[2]- الشوكاني، فتح القدير، ص 1042.

[3]- محمد الصالح خرفي، سيمياء المكان في شعر عثمان لوصيف، ص 282.

الفصل الثاني

التلقي القصصي من الفعالية الإخبارية إلى الفاعلية الاعتبارية

المبحث الأول: تلقي القصص من دلالة الاصطلاح إلى فعاليته الإخبارية

المبحث الثاني: القصص القرآني بين القراءة الاستذكارية والفاعلية الاعتبارية في ضوء أدبية التبليغ القرآني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:

تلقي القصص من دلالة التجلي السردي إلى الفعالية الإخبارية

- مدخل

أولا: القص: المعنى اللغوي والأدبي في الدلالة على استعادة الماضي.

ثانيا: تاريخ القص وفاعليته

ثالثا: القرآن وفعل القص وفاعليته الإخبارية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل:

يكشف تاريخ السرد العربي القديم "أن العرب قد تعاطوا فن القص بمعناه الحكائي منذ القدم"[1].

ويقصد بهذا المصطلح –القص– "دراسة القصص العربي القديم، واكتشاف الأسس التي يقوم عليها، وما يتعلق بذلك من أساليب تحكم إنتاجه وتلقيه، أي تتبع مكونات البنية السردية للموروث القصصي من راوي، ومروي، ومروي له"[2].

وفي هذا دلالة على أن للقص معاني متعددة، تتراوح بين القص بمعناه اللغوي وبتأصيل معجمي مثبت في المعاجم والقواميس العربية، والقص ببعده الأدبي وبصيغته الفنية التي ترد ضمن سياق سردي معين.

ويعد مصطلح " القص " مفهوما جامعا ومتنوعا، بحيث ينفتح حقله الدلالي ويتسع، لتندرج في إطاره الأنماط السردية مثل: الخبر، والحكاية، والحديث، والنبأ، والقصص، والقصة، والرواية.

وكلها مصطلحات ذات وشائج مشتركة ومتداخلة فيما بينها من حيث المعنى، والوظيفة والهدف، والغاية من إنتاجها وتلقيها.

كما أنها مصطلحات تعكس مرحلة التلقي الشفاهي في الموروث السردي العربي القديم وذلك حين " كانت الشفاهية نظاما اتصاليا مهيبا في ميادين الأخبار في العصر الجاهلي "[3]، فعرب الجاهلية الأخيرة كانوا يدركون طرفا من أخبار أسلافهم، ويعرفون شيئا عن تلك الحضارات التليدة التي ورثوا بعض بقاياها ورواسبها [4]، من طريق التلقي السمعي للمرويات العربية ذات المرجعيات المتنوعة لاسيما الدينية المأخوذة من أفواه وكتابات أهل الكتاب بدافع الاحتكاك التجاري والرحلات والتنقلات العربية في جزيرة العرب وغيرها، إلى جانب أسفارهم المتكررة التي ساهمت في اكتسابهم لبعض من المعارف التاريخية.

ويمكن تفسير الشغف العربي بالمرويات القديمة والتي كانت تشهدها مجالس أسمارهم.بالدوافع

---

[1]– سليمان عشراتي، الخطاب القراني، ص 65.

[2]– ضياء الكعبي، السرد العربي القديم، دار فارس للنشر والتوزيع: الأردن، ط.1،2005 م، ص 20.

[3]– عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط.2، 2005 م، ص 105.

[4]– ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص 19.

الآتية:

1- الاستذكار التاريخي الرامي إلى الاعتزاز بالماضي العربي العريق.

2- الرغبة في التسلية بالقص وتزجية أوقات الفراغ.

3- الاحتفاء بالمحكي، وما تستلذه الأذن العربية من تلك المرويات ضمن تقنيات القص وظروف عرضه من طرف القصاص في إضفاء الطابع الخرافي والعجائبي والأسطوري على قصص الأمم الغابرة، وذلك بغية لفت انتباه السامع، واستمالت المتلقي بهدف التأثير فيه وإيصاله إلى تحقيق المتعة السمعية.

وقد ظهر هذا الاهتمام بالقصص والشغف بالرواية والمحكي عن السابقين، ترسخت مفاهيمه وأهدافه في الذهنية العربية بمجيء الإسلام، بحيث اتسعت دائرة تعاطيه في أوساط البيئة الإسلامية من خلال القصص القرآني بصورته العامة، وقصص الأنبياء والأمم الغابرة بصفته الخاصة، أين عقدت لأجله مجالس للقصاص والرواة، وأفسحت له أماكن خاصة وحلق للتذكير والوعظ ورواية الأخبار في المساجد والطرقات العامة.

وفي ضوء هذا الطرح يمكن للمتلقي القارئ فهم طبيعة العلاقة الوطيدة بين القران وفعل القص، كما يمكنه إدراك دور وفاعلية القص في عملية تبليغ القصص القرآني.

على أساس أن القصص القرآني يمثل محورا كبيرا من محاور القرآن الكريم، وفي مقدمته قصص الأنبياء والأمم الماضية، حيث جاء في ثناياها قضية أماكن ومساكن الغابرين على هيئتها الموحشة الخالية من أهلها الراحلون عنها، بترك بقاياها شاهدة على ممالك زالت بعد عز وثراء.

هذا النوع من القصص يحتاج إلى قراءة في كيفية تحقيق آليات الفعالية الإخبارية لدى المتلقي للقص عن أماكن الغابرين وذلك وفق الرؤية الآتي ذكرها عند القصاص:

أ – التفنن في عرض قصص الغابرين بأساليب بلاغية متنوعة.

ب – إضفاء طابع الخرافة لتحقيق التشويق لدى المستمع.

ج – توظيف الأسطورة والغرائبية والعجائبية في هذا النمط من القص للفت انتباه المتلقي وشده إلى تتبع القصة ومواكبة حوادثها بشغف ومتعة كبيرين، وذلك من خلال ايثارة حاسة السمع عن طريق الاعتماد على صور البيان البلاغي،، فالبلاغة كالموسيقى تبقى صورها في النفس وفقا لما

يقرر لها من الذيوع، والقلب أكثر ميلا للصوت الذي يداعب أذنيه[1].

وهذا التصور لتلقي القص في المجالس اعتمادا على أسلوب المشافهة عند القصاص في مرحلة تاريخية للسرد العربي القديم،كان هدفه تحقيق الفعالية الإخبارية عند المتلقي للقصص القرآني بشقيه قصص الأنبياء والأمم الخالية وقصص الأماكن الخاوية للغابرين ومصارع الهالكين.

والظاهر أن فهم المتلقي للفعالية الإخبارية وعلاقتهما بفعل القص لا تسفر عن وجهها الحقيقي إلا بعد الوقوف عند معان القص ومدلولاته اللغوية والأدبية، وتجلياتها السردية الدالة على استعادة الماضي.

أولا: القص:المعنى اللغوي والأدبي ودلالته على استعادة الماضي

1- القص والمعنى اللغوي: القص:هو القطع.القص فعل القاص إذا قص القصص.

و القص: في اللغة هو القطع والتتبع وإيراد الخبر المقصوص، ويقال قصصت الشيئ إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيئ قال الأزهري: القص: إتباع الأثر[2]

و القص: هو البيان ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾[3]، أي نبين لك أحسن البيان، والقصص تتبع الشيء[4].

و جاء في معجم متن اللغة أن قص: قصا وقصصا أثره:تتبعه،و قص الشعر: قطعه[5].

و تدعيما لهذا المعنى اللغوي ما أورده صاحب لسان العرب لشرحه وتفسيره معنى،، قص،، في قوله: وقص أثارهم بقصها قصا وقصصا وتقصصها: تتبعها بالليل.

و القاص يقص القصص لإتباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سوقا[6].

---

[1]- زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، دار الجيل: بيروت،د.ط، 1931 م، ج 1، ص 236.

[2]- لسان العرب لابن منظور، دار المعارف: القاهرة، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، د.ط.د.ت. مادة (قص وقصص) ص 3650.

[3]- سورة يوسف: الآية: 3.

[4]- الشوكاني، فتح القدير، ص 682.

[5]- أحمد رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960 م، ج 4، ص 579.

[6]- ابن منظور، المصدر السابق، ص 3651.

2- القص والمعنى الأدبي:

و القص (في الاستعمال) هو فن مخاطبة العامة، ووعظهم بالاعتماد على القصة [1].

3- القص والحقل الدلالي و التجليات السردية:

القص فعل سردي يندرج ضمن دائرة كبرى لتجليات السردية العربية القديمة ذات دلالات سمعية منفتحة على التلقي الشفاهي في مرحلة التداول الكلامي للسرد وللخبر الرواية والحكاية والقصة،و القصص، والنبأ والحديث .

فكل هذه التجليات السرديات المتنوعة التي حواها حقل دلالي مشترك تحمل في مضامينها وطياتها،، مصطلحات دالة على إستعادة الماضي،، [2].

1 القصص: مصدر فعل قص يقص، ومن معانيه في لسان العرب: الخبر وهو القصص، وقص علي قصصه، يقصه قصا وقصصا أورده. قصصت الرؤيا على فلان إذا أخبرته بها.

و القصص، بالفتح: الاسم، والقاص الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها. والقصص: الخبر المقصوص [3].بمعنى: الأخبار المتتبعة [4].

و يضيف أبو هلال العسكري للقصص صفة أخرى تميزه عن أشكال السرد والنقل، وتنفي عنه القصر الآتية: بقوله:،، الفرق بين القصص والحديث، أن القصص ما كان طويلا من الأحاديث – متحدثا عن سلف [5]، ومنه قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [6]، وقال: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾ [7] ولا يقال لله قاص، لأن الوصف بذلك قد صار علما لمن يتخذ

[1]- ابن الجوزي، كتاب القصاص والمذكرين، تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي: بيروت، ط.2، 1988 م ص 49.

[2]-إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم: الأنواع والوظائف والبنيات، منشورات الاختلاف: الجزائر، ط.1، 2008 م ص 25.

[3]- ابن منظور مادة (قصص)، ص 3651.

[4]- أحمد رضا، معجم متن اللغة، م4، ص 580.

[5]- الفروق في اللغة، ص 47.

[6]- سورة يوسف: الآية: 3.

[7]- سورة هود: الآية: 120.

القصص صناعة. وأصل القصص في العربية إتباع الشيء الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾[1]، ومعنى قصيه: اقتفى أثره وتتبعي خبره حتى نعلمه مصيره [2].

وسمي الخبر الطويل قصصا لأن بعضه يتبع بعضا حتى يطول، وإذا استطال السامع الحديث قال: " هذا قصص "، ويجوز أن يقال: القصص هو الخبر عن الأمور التي يتلو بعضها بعضا [3].

أما القص أو القصص عند ابن الجوزي فيعني في اللغة القطع والتتبع وإيراد الخبر المقصوص [4].

و القص والقصص إذن هو رواية الحديث أو الخبر وبيانه والإعلام به وتتبع أجزائه جزءا جزءا من بدايته حتى نهايته، يغلب عليه أن يكون متعلقا بماضيين سالفين، كما يغلب عليه الامتداد الزمني نسبة إلى غيره من أنواع السرد الأخرى [5].

وإذا رجعنا بالقراءة لمعنى القصص بكسر القاف وجدنا جمع واحدة قصة، والقصة في لغة العرب الأخبار المروية والأنباء المحكية [6].

وأصل القصص عند العرب تتبع الأثر، فالعليم بالآثار يسير وراء مايريد معرفة خبره، ويتبع أثره حتى ينتهي إلى موضعه الذي حل فيه، وسميت الأخبار قصصا، لأن القاص يتبع أحداث القصة كما وقعت [7].

2- القصة: هي الخبر:،،هذه قصة الرجل،،، يعني: الخبر عن مجموع أمره، سميت قصة لأنها يتبع بعضها حتى تحتوي على جميع أمره [8].

والى المعنى نفسه ذهب ابن الجوزي فجعل القصة هي الخبر [9]. وعند ابن منظور جاءت

---

[1]- سورة القصص: الآية: 11.

[2]- وهبة الزحيلي وآخرون، الموسوعة القرآنية الميسرة، ص 387.

[3]- أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص 47.

[4]- ابن الجوزي، كتاب القصاص والمذكرين، ص 48.

[5]- إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم، ص 28.

[6]- سليمان عبد الله الأشقر، صحيح القصص النبوي، دار النفائس للنشر والتوزيع: الاردن،ط.2، 1997 م، ص 11.

[7]- المرجع السابق، ص 11.

[8]- أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص 48.

[9]- ابن الجوزي، المصدر نفسه، ص 48.

القصة بمعنى والخبر وهو القصص [1].

وضمن معنى التتبع والذكر لمفهوم،،القص" و"القصة" يقول صاحب معجم مقاييس اللغة: "قص: القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء والقصة والقصص، كل ذلك يتتبع فيذكر[2].

3- الخبر والحديث:

الخبر: هو القول الذي يصح وصفه بالصدق والكذب، ويكون الإخبارية به عن نفسك وعن غيرك، وأصله أن يكون الإخبارية عن غيرك ومابه [3].

والمعنى أن الخبر يحمل مفهوم العلم بالشئ فتقول العرب: خرج يتخبر الأخبار: أي يتتبعها [4].

[4].

أما **الحديث** في الأصل ماتخبر به نفسك من غير أن تسنده إلى غيرك، وسمي حديثا لأنه لا يتقدم له، وإنما هو شيء حدث لك فحدثت به، ثم كثر استعمال اللفظين حتى سمي كل واحد منهما باسم الآخر، فقيل للحديث خبر وللخبر حديث[5].

وقريب من هذا المعنى ويسير في فلكه جاء التعريف اللغوي لكلمة الحديث بمعنى الخبر قليله أو كثيره وجمعه أحاديث، عند صاحب مختار الصحاح[6].

4- **النبأ**: هو الخبر بما لا يعلمه المخبر، وفي النبأ معنى عظيم الشأن [7].و لكن الخبر لا يقال نبأ إلا إذا كان هاما وعجيبا وعظيما[8].

5- **السرد**: هو الربط المتقن بين أجزاء الشيء.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ص 3650.

[2]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص 363.

[3]- أبو هلال العسكري، المصدر السابق، ص 45.

[4]- جار الله فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، ص 207.

[5]- أبو هلال العسكري، المصدر نفسه، ص 45.

[6]- الرازي، مختار الصحاح، مادة (ح،ث)، ص 53.

[7]- أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص 46.

[8]- الشعرواي.

و في لسان العرب: السرد في اللغة: هو تقديمه شيء إلى شيء، تأتي به متسقا بعضه في إثر بعض متتابعا، وفلان يسرد الحديث سردا، إذا كان جيد السياق له، وسردا إذا تابعه [1].

و السرد: هو رواية الحديث متتابع الأجزاء يشد كل منها الآخر شدا في ترابط وتناسق...أي سوق الحديث سوقا حسنا، وهو شرط السرد الجيد الذي يؤمن فهم السامع له وإدراكه، ويشد انتباه السامع ومتلقيه أيضا.... وهو المؤثر الانفعالي في المتلقي [2].

6- الرواية: هي الوسيلة التي اتخذها العرب القدماء، لأنها كانت الأداة التي اتخذوها وسيلة لنقل الأخبار وكل مايتعلق بأمور حياتهم عن أسلافهم وتوريث لخلفهم.

و على هذا الأساس اعتبر العرب الرواية أداة من أدوات نشر المعلومات وصنع الوعي العربي في أوسطاهم [3]. مما يدل على أن الرواية كجنس أدبي مصدر قياسي يدل على حرفة تعاطها العرب العرب منذ القديم في مجالسهم للسمر والتسلية والمتعة، وأشتهر من بينهم رواة كثيرون اشتغلوا بنقل الأخبار ونشرها بين العامة والخاصة من الناس، بغية تحقيق الفعالية الإخبارية بالتذكير أو الوعظ أو الإمتاع والمؤانسة، وصولا إلى الهدف المعرفي والاعتباري في الاستفادة من ماضي السابقين.

7- الحكاية:

الحكي: يحكي الحديث حكاية بمعنى يقول مثل قوله سواء لم يجاوزه[4]، أي نقله عن فلان.....فالحكاية إذن هي حسب اللسان نقل الحديث وتقليده، أي محاكاته نقل الحديث كما هو دون زيادة فيه أو نقصان[4]، بمعنى النقل بأمانة، أي احتفظ بالمعنى الجاري بالنقل وأغفل المصدر المصدر أو سكت عنه.

وقراءة لهذا المعنى الدال على النقل عن الآخر، وتقليد الحديث كما هو في صورته الأصلية، دون الإشارة إلى مصدره الحقيقي، يعطي انطباعا لدى المتلقي أن وظيفة الحكاية قص قصة، وبالتالي " نقل " وقائع (واقعية أو خيالية) ومن هذا المنظور " فالحكاية يمكنها أن تزود القارئ بما قل أو جل من التفاصيل، وبما قل أو جل من المباشر....ويمكنها أيضا أن تختار تنظيم الخبر الذي

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، (مادة سرد)، ج 7، ص165.

[2]- إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم، ص 32.

[3]- المرجع نفسه، ص 32.

[4]- ابن منظور، لسان العرب مادة (حكي)، ج 1، ص 188.

تبلغه "[1] على اعتبار أنها تنهض على تفاصيل الحياة، فتصوغ سجلات المجتمع وراهن آيامه وتكشف عن حركات الروح واهتزازاتها [2].

والحكاية كغيرها من التجليات السردية العربية القديمة والحديثة منها تتقاطع في معانيها ودلالاتها اللغوية مع القص والقصص، والرواية والسرد والأخبار " وكلها مصطلحات تفيد في مجملها نقل الحديث وإخبار الآخرين به، واستظهاره، وتبيينه وتوضيحه، وما إلى ذلك مما يوسع دائرة انتشاره ويجعله معلوما ومعروفا وشائعا " [3].

ثانيا: تاريخ القص وفاعليته:

القص فعل إنساني تعبيري، يمسح حدثا واقعيا أو متخيلا يجسم من خلاله، وبواسطة القول (الملفوظ أو المكتوب) عينة لواقعة من وقائع الحياة، بأسلوب تصريحي أو تلميحي (رمزي) وبفنية بسيطة خطية، في محيط واقعي، أو بطرح تجنيحي، يخرج عن منطق العلية، ويتمسرح في جدلية مكانية زمانية أسطورية.

ومن هذا المنطلق يغدو القص نشاطا فنيا متجذرا في الثقافة الإنسانية منذ زمن بعيد، وذلك حين " استثمر الإنسان وازع القص فيه، على أوسع نطاق، فرصد معارفه في القصة واخترق بها الأجيال والأعصر، وثبت خطاه على صعيد الزمنية بقصص حكى فيها تاريخه، وملاحمه، ودأب على تطوير فاعلية القص فيه إلى أن باتت من أهم الشروط الفكرية لصنع الواقع، ولتجاوز متاهاته وتأهيل صلاته "[1].

وضمن هذا التأصيل لعراقة القص كفعل إنساني قديم، ومحاولة لبيان انتمائه إلى تراث سردي واضح بتجلياته المختلفة والمتنوعة، يمكن فهم وقراءة الفن القصصي عند العرب، وذلك من خلال تحديد مسارات التتبع السردي في الشكل الآتي:

---

[1]- جيرار جينيت، خطاب الحكاية ــ ترجمة: محمد معتصم وآخرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط.3، 2003 م، ص 117.

[2]- نجوى الرياحي القسنطيني: " وليمة خاصة جدا " لمسعودة أبو بكر من أقاصي الشفاهية إلى أقصى الشعرية، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزوزو.العدد 4، جانفي 2009 م، ص 309.

[3]- إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم، ص 33.

1- فن القص عند العرب

تعاطى العرب القدامى القص بمعناه الحكائي والروائي " وتعد أخبارهم وآيامهم مادة حكائية غنية بالرؤى والتلوينات الفنية " [1].

والظاهر أن العامل البيئي للمنطقة العربية الرعوي والزراعي منه كان مناسبا لشيوع الشكل القصصي الخبري، باعتباره موروثا شفاهيا يقترب من الحياة العربية بكل أطيافها، ووسيلة من وسائل التداول السمعي في مجالس السمر وأحاديث الليل.

ولاشك أن تاريخية التداول السمعي لمرويات القصص العربي تجعل المتلقي يقف أمام حقيقة صياغة قوالب التعبير عن القص عند العرب وذلك من خلال القول المنقول عن محمود تيمور حين اعترف بأسبقية العرب في فن القص فقال " أكاد أزعم أن الأمة العربية لا ينافسها غيرها فيما صاغت من قوالب التعبير عن القص والإشعار به، فنحن الذين قلنا من غابر الدهر: " قال الراوي " و" يحكى أن " و" كان يا ما كان " إلى آخر تلك الفواتح التي يمهد بها القاص العربي في مختلف العصور لما يسرد من أقاصيص [2].

وتبعا لهذه الأسبقية للعرب في فن القص ضمن دائرة التجليات السردية الأخرى التي تكشف عن شغف عميق، وكلف كبير، وبل وولع شديد بما يتعلق بالمروي عند العرب القدامى وخصوصا المحكي عن أخبار السابقين الذي يعد " الانتماء إلى تراث قصصي عربي تمثل الحكاية عصبه وروحه "[3] ليغدو في إثر هذا الاهتمام العربي بالقص وفنونه سردا لا ينضب معينه، ضمن ذاكرة عربية يغذيها الخيال ومنقول الحكايات.

2- القص وألوانه في البيئة العربية

القص فعل حكائي تداوله العرب منذ القدم، وسرى على ألسنة القصاص والحكاة والرواة في شكل قصصي غايته الإبلاغ والأخبار بالأحداث والوقائع السابقة باعتباره موروثا شفاهيا تتداخل فيه الخرافة بالواقع في أحيان كثيرة،فلا غرابة والأمر كذلك أن تكون البيئة العربية بعراقتها البدوية، قد عرفت اللون القصصي الخرافي، بل لقد ربطوا الخوارق بما كان يحذفون من فن القول

[1]- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص 65.

[2]- سعيد عطية على مطاوع، الإعجاز القصصي في القران، ص 19

[3]- نجوى الرياحي القسنطيني " وليمة خاصة " لمسعودة أبو بكر، ص 308.

– وهو الشعر– حين اسندوا بواعثه الإلهامية إلى الرؤى"[1]، لاسيما وأن الرؤى في الذهنية العربية يستطيع أن يحيط صاحبه بالأسرار ويطلعه على الغيب"[2].

وتصور على هذه الشاكلة يطرح عددا لا " يحصى من الصور الأسطورية والمعتقدات الشعبية العربية القديمة المفعمة بالجمال والبراءة، المشحونة بالخيال والطلاوة " [3].

3- القاص ووضعية المتلقي لخطاب القص القديم

أشارت مصادر تاريخ السرد العربي القديم إلى القاص والى الوظيفة المنوطة به، والدور الثقافي الذي كان يؤديه في الوسط الاجتماعي العربي، وذلك في مرحلة المشافهة القصصية التي شهدتها مجالس القص والحكي، وأماكن السمر والإمتاع على فترات زمنية مختلفة من التاريخ العربي الإسلامي العريض.

وقد تجلت الشفاهية السردية لتلك الحقب التاريخية المتنوعة في المتون والمرويات العربية التي ركزت على القاص والقصاص ودورهم في عملية الإبلاغ والإخبار وصولا إلى تحقيق الغاية الاستذكارية والوعظية من الفعل القصصي القائم على الصياغة الحكائية بأساليب متنوعة تهدف إلى استمالة المستمع وذلك، ضمن إستراتيجية النقل الإخباري وإفهام المستمعين، مع مراعاة وضعية المتلقي لخطاب القص العربي، وذلك حين كان القاص أو الراوي أو الحكواتي " يتمتع بمكانة متميزة في قومه، لأنه كان محببا إلى عقولهم ويمتلك خبرة واسعة من الفن والثقافة يسحر بها سامعيه، ويجذبهم إليه" [4].

وفي هذا دلالة على أنه كان هناك سعي حثيث من قبل القصاص في جلب المتلقي بشتى الطرق للاستماع لما يحدثون به، ويرونه للسامعين " فالحكاة يجتهدون من زمن إلى زمن، ومن مجلس إلى مجلس لجعل الحكاية في كل مرة أكثر إدهاشا وإمتاعا، وأوسع انتشارا "[5].

فالكل قصة أو حكاية حلاوتها الخاصة، ولها وقعها الخاص على نفسية المستمع بالنظر إلى

---

[1]- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص 65.

[2]- عبد الملك مرتاض، الميثولوجيا عند العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ط، 1989 م، ص 5.

[3]- المرجع نفسه، ص 5.

[4]- شهلة برهان عبد الله، الدعوة الإسلامية وحياة البداوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 2008 م، ص 40.

[5]- نجوى الرياحي القسنطيني، وليمة خاصة جدا، لمسعودة أبو بكر، من أقصى الشفاهية إلى أقصى الشعرية.

جانبها الإخباري المنقول بالرواية إلى أذن السامع على اعتبار أن " السرد هو بث الصوت والصورة بواسطة اللغة " [1]، وأن الراوي هنا يضطلع بوظيفة الكلام.

ولاشك أن الكلام كخبر له حلاوته إذ " لولا حلاوة الإخبار والاستخبار عن الناس لما انتقلت الإخبار وحلت هذا المحل " [2].

وطالما أن الراوي والقاص يعتمد في الكلام البلاغي وصياغته الفنية بحيث ينسجه على منوال جاعلا الحكاية محورا مهيمنا، وذلك بهدف استمالة المتلقي، وذلك بالتركيز على الوظيفة الانتباهية، وكل مايعزز دورها في الأداء التعبيري " [3].

وعلى هذا الأساس يفهم مجهود القاص أو الحكواتي أو الراوي لمراعاة وضعية المتلقي لخطاب القص العربي القديم وضرورة التأثير فيه، وتدعيم روح التشويق والشغف لديه، وذلك بالاعتماد على زيادة وتمديد اهتمام المستمع بتأجيل سرد الحدث القادم في القصة، أو حدث متلهفا لمعرفته أو سرد حدث يكون قريبا بشكل دائم أو مؤقت، من المساق المتكلم فيه [4].

ثالثا القران وفعل القص والفعالية الإخبارية:

حدد القرآن فضاء دلاليا لفعل " القص" وضمن هذا الفضاء الذي تحول إلى معيار قيمة، نظمت شؤون القص بوصفه فعالية إخبارية [5]، يحيل الفعل " قص " في القرآن الكريم على معنى الخبر وصولا إلى النبأ والإبلاغ من واقعة إخبارية، وذلك في مواطن عديدة وبسياقات متنوعة يحويها حقل دلالي مشترك في المعنى والدلالة ورد ذكره في كل من آيات سورة الأعراف، وسورة يوسف، ثم سورة النمل، سورة القصص، سورة الكهف.

---

[1]- عبد الملك مرتاض، نظرية الرواية،عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب،الكويت، العدد 240،1998 م، ص 256.

[2]- أبو عثمان عمرو بن بحربن محبوب البصري، رسائل الجاحظ، شرح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 2000م، ج 1، ص 100.

[3]- حسين مسكين، الخطاب الشعري الجاهلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.1، 2005 م، ص 26

[4]- شلوميت ريمون كنعان، المتخيل القصصي، ترجمة: لحسن احمامة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق،ط.1 2010 م، ص 183.

[5]- عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية، ص 93.

1- سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾[1]

2- سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾[2]

3- سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾[3]

4- سورة القصص في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾[4]

5- سورة النمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[5]

﴿إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[5]

6- سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[6]

وتتمحور معاني هذه الآيات المذكورة في الخطاب القرآني حول المعنى الإخباري الذي اتفقت بشأنه مصادر التفسير القرآني في شرحها لمعنى الآيات الكريمة. فقد جاء في معنى قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ الآية 101 ما ذكر في الموسوعة القرآنية الميسرة ما نصه: "تلك القرى المذكورة التي أهلكناها وهي قرى الأقوام الخمسة: وهم قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب. نذكر لك شيئا من أخبارها كيف أهلكت "[7]، وقريب من هذا المعنى بدلالته الإخبارية ما تضمنته الآية الثالثة من سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ والتي شرحت عند صاحب ري الخليل من محاسن التأويل على النحو الآتي: "أي أبدعه أسلوبا. وأصدقه أخبارا. وأجمعه حكما وعبرا "[8].

---

[1]- الآية: 101.

[2]- الآية: 3.

[3]- الآية: 5.

[4]- الآية: 11.

[5]- الآية: 76.

[6]- الآية: 64.

[7] - وهبة الزحيلي وآخرون، ص 164.

[8]- القاسمي، إختصار الشيخ صلاح الدين آرقه دان، ص 235.

والمعنى الذي يومي إليه لفظ القصص هنا هو الخبر أو الإخبار وكلها تندرج ضمن سباق الإخبارية عن الحدث الماضي.

و على النهج نفسه في تحديد معنى "القص" فيما جاءت به آيات القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة النمل الآية السادسة وسبعين: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. يبين النسفي مرامي الآية الكريمة والمراد منها في هذا الموطن هو البيان " أي يبين لهم"[1] والمعنى يوضح لهم الأمور التي اختلفوا بشأنها فيما بينهم.

ويبدو في ضوء المعنى اللغوي لشرح آيات "القص" القرآني أنها جاءت بمعان متنوعة بين الإخبارية والإبلاغية تارة، وبين البيان والتوضيح الإلهي تارة أخرى.

أما ما جاء في الآيات الكريمة التي ورد فيها لفظ "القص" بمعاني مختلفة في ظاهرها عن مفهوم الإخبارية وما يدور في فلكها أو هو قريب من حقلها الدلالي فتلمسه في قول المفسرين بمعنى التتبع للأثر وذلك في قوله تعالى: (في سورة القصص) الآية الحادية عشر ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾.

يقول ابن كثير في تفسير كلمة (قصيه) " أي: اتبعي أثره. وخذي خبره. وتطلبي شأنه في نواحي البلد " [2] والمعنى الذي يستفيده المتلقي القارئ للآيه الكريمة في ضوء شروح المفسرين أنها تحمل مفهوم تتبع الأثر بمعنى التتبع الإخباري للحدث والواقعة التي تتعلق بصورة مباشرة بالشخصية المحورية في القصة وهي في هذا الموطن شخصية بني الله موسى عليه السلام وماجرى له مع فرعون لما جاز ذكره في سورة القصص.

فالمضي في تتبع معنى "القص" في النصوص القرآنية من خلال ما ورد في الآيات الكريمة يضع المتلقي القارئ أما مدلولات أخرى مضافة إلى الحقل الدلالي لفعل "القص"، وذلك من خلال الشروح التفسيرية التي وقفت عند مفهوم "القص" و"القصص"و التي جاء ذكرها في كل القرآن لاسيما ما جاء في قوله تعالى في سورة الكهف الآية الرابعة والستين ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا

[1] –مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج3، ص 321.

[2] – تفسير القران العظيم، ج3، ص 2166.

﴿ قَصَصًا ﴾ قال بشأن تفسير كلمة "قصصا " الشعراوي معناه: " عاد على أثر الأقدام كما يفعل قصاصو الأثر" [1]،و شاركه في إثبات المعنى نفسه الشوكاني بقوله أن معنى الآية هو: " أي رجعا على الطريق التي جاءا منها يقصان أثرهما لئلا يخطئا طريقهما " [2].

ويفهم مما سبق شرحه أن لفظ "قصصا " يدل على العودة على الأثر، بمعنى تقصي الأثر وتتبعه.

أما معنى لفظ "القص" "قصص" الوارد ذكرها في الآية الخامسة من سورة يوسف التي يقول فيها سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ ﴾ والمقصود بها في هذا الموطن القرآني:لا تخبر إخوتك [3].

على هذا النحو من الأهمية التي خصصت للقضاء الدلالي لفعل "قص" من منظور الفعالية الإخبارية وجاء القرآن مادحا القصص جاعلا إياه نموذجا أخلاقيا رفيعا للعبرة. حاثا على روايته. مما يدل أن القرآن ألحق الدقة والصواب والتقصي بالفعالية الإخبارية للقص، وقيدها أيضا بالاعتبار والتدبر والموعظة ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [4] ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [5].

و أخيرا قيد تلك الفعالية بدلالة الحسن، وكل ما هو مضاد للقبح والإساءة في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [6].

وبما سبق توضيحه يتقدم فعل "قص" مترسما معنى " الخبر المقيد بالدقة والصواب والحق واليقين والتدبر والحسن هو القصص الذي أعلى من شأنه القرآن، والذي جاء ليؤدي وظيفة خدمة الرسالة وينهض بمهمة اعتبارية [7].

---

[1] – زبدة التفاسير، ص 346.

[2] – فتح القدير، ص 867.

[3] – وهبة الزحيلي وآخرون، الموسوعة القرانية الميسرة، ص 236.

[4] – سورة الأعراف: الآية: 176.

[5] – سورة يوسف: الآية: 111.

[6] – سورة يوسف: الآية: 3.

[7] – عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية، ص 94.

-القصة وفاعلية التبليغ القصص القرآني:

القصة إحدى البنيات المشكلة للنص القرآني، " بوصفها واسطة بيانية تبليغية لناموس سماوي غايته تحذير العقيدة، وتوطيد نظام حياة متكاملة للإنسانية." [1]

لقد كانت القصة أسلوبا من الأساليب الرسالية، وطريقا من الطرق التي سلكها القرآن في مجال عرض قضايا التوحيد، والحياة والكون في قالب متكامل قائم على أسلوب تصويري معجز ووحدة فنية رائعة [2]، تتميز بشدة تكثيفها للحدث، إذ أنها لا تحلل حياة الفرد تفصيلا في علاقته بالغير [3]، وإنما تعتمد الإيجاز.

وعلى هذا الأساس كانت القصة القرآنية الدرس الأول الذي ألقاه الإسلام على المبدعين المسلمين في هذا المجال، فلم تكن هذه القصة اندفاعة خيال، أو إلهام فنان، " وإنما كانت أحداثا حقيقية منتزعة من التاريخ، بثها القرآن الكريم مرة واحدة أو على دفعات، في مكان واحدة أو في عدة أمكنة، باختصار شديد، أو منفصلة، عظة منه للبشر، وتذكيرا لهم بآيات الله، ومجريات حكمه في خلقه، وكانت هذه القصص، وتلك الطرائق في عرضها خير ما قدم للبشر على الإطلاق "[4]، وهذا يفسح المجال أمام المتلقي في الوقوف على حقيقة واضحة " أن القرآن فيما قصه من قصص رصين التعبير، متماسك الديباجة محكم البناء، رفيع اللفظ، متطاول العبارات متصل الأجزاء " [5].

سَمَى القرآن الأحداث والوقائع قصصا،" والقصص والأخبار من علوم القرآن الكريم، وقد نبه على هذا النوع منه سورة الفاتحة التي جمعت بديع عامة موضوعات الكتاب العزيز التي لا تعد وموضوعات آياته العالية خمسا:

1- توحيد الله -2- عبادته

---

[1] – سليمان عشراني، الخطاب القرآني، ص 67.

[2] – سعيد عطية علي مطاوع، الإعجاز القصصي في القران، ص 35.

[3] – الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن أصوله وتطويره ومناهجه، دار المعارف، القاهرة، ط.1، 1987 م، ص 547.

[4] – بسام ساعي، الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، دار المنارة للنشر، جدة، السعودية، ط.1، 1985 م، ص 154.

[5] – المرجع نفسه، ص 154.

-3- الوعد والوعيد -4- توضيح سبيل السعادتين -5- القصص والأخبار "[1].

وهذا ما يبين للمتلقي القارئ " أن سورة الفاتحة جاءت منبهة على القصص والأخبار بصراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين " [2].كما سمَى القرآن الأحداث والوقائع قصصا:

وبالنظر في المعنى اللغوي للقصة نرى أن أصل اشتقاقها يتلاقى مع المفهوم الذي قام عليه أصل التسمية للقصص القرآني، فالقصة مشتقة من القص وهو تتبع الأثر، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾[3]، أي تتبع أثره، على ما انتهى إليه أمره، ومن هذا قولهم قص الأثر أي نظر فيه، واقتفى آثاره وشواهده....وخرجت في أثر فلانا قصصا.

وفي القران ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[4]، وقص عليه الرؤيا والحديث قال تعالى ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ ﴾[5]، فالقص للأثر مثل رفع البصمات ليستدل منها على ما وراءها من أحداث أحداث مضت[6]، وفي هذا المعنى دلالة على أن القصة في القرآن إنما هي تتبع أحداثا ماضية واقعة. واقعة.

وقد استعمل القرآن الخبر والنبأ، بمعنى التحدث عن الماضي وفرق بينهما في المجال الذي استخدمت فيه، جريا على ما قام عليه نظمه من دقة، وإحكام وإعجاز، فاستعمل النبأ والأنباء في الإخبار عن الأحداث التي مضى الزمن بعيدا بها، ولفها في أطوائه على حين أنه استعمل الخبر والإخبار في الكشف عن وقائع قريبة العهد بالوقوع [7].

وعموما فإن مصطلحات حديث ونبأ وخبر وقصص مصطلحات ذات وشائج لاشك فيها ألا

---

[1] – محمد البشير النيفر، القرآن والقصص، مطبعة الشمال الإفريقي منتدى جامعة الزيتونة، تونس، ط.1،د.ت، ص 3.

[2] – المرجع نفسه، ص 3.

[3] – سورة القصص: الآية: 11.

[4] – سورة الكهف: الآية: 64.

[5] – سورة يوسف: الآية: 5.

[6] – فؤاد علي رضا، علوم القرآن، دار اقرأ، بيروت، ط.1، 1982 م ــ ص 187.

[7] – سعيد عطية علي مطاوع، الإعجاز القصصي في القرآن، ص 37.

وهي اشتراكها في نواة معنوية جامعة تحيلنا على مرجع بعينه هو الكلام المخبر بشؤون الماضين وأخبارهم في زمن ولى وانقضى إلا أن بينها فويرقات معنوية ودلالات خاصة تتصل بظروف القول والتلفظ (مقتضى الحال أو السياق والغاية التي يقصد إليها المتكلم أو ينصرف إليها السامع والمتلقي [1].

وسمَى القرآن الكريم ما أتى به من أخبار الأنباء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والأمم السابقة بالقصص لطول هذه الأخبار وتغطيتها مراحل مهمة من مسارات من تعلقت بهم [2].

لقد اشتمل القرآن الكريم على وفرة عزيزة من القصص القرآني، وقدم نماذج رفيعة من القصص الديني الذي وقعت أحداثه حقا فيما مضى من أمم سلفت [3].

فالقرآن الكريم ينطوي على عديد من القصص، " وترد القصة في النص القرآني كجزء من نسيجه الديني، بمعنى أن القصة في القرآن ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه بغرض ديني.....وترد أساسا للدعوة وللدعاية لهذا الغرض الديني"[4].

في القرآن الكريم جملة من القصص المتعلقة بالتاريخ الماضي، وما وقع فيه من أحدث للأفراد والجماعات ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية، وما ينتج عنها من قضايا تمس النسيج الاجتماعي بشكل مباشر في خطه التاريخي الصاعد نحو النهضة والتقدم الحضاري، أو خطه النازل باتجاه التقهقر والتردي والانحلال ثم الزوال والاندثار النهائي من على خريطة المجتمع الإنساني في إطار سيرورته التاريخية المحكومة بسنن الله في الأرض..

وفق هذه الرؤية الموضوعية التي تندرج ضمن سياق المنظومة القصصية الإخبارية والإبلاغية المبثوثة في ثنايا النص القرآني، يتشكل وعي المتلقي والقارئ لطبيعة القصة القرآنية وأنواعها في شكلها الداخلي والخارجي وتلازمهما الهادف إلى تحقيق الفعالية الإخبارية، الرامية إلى الغاية الاعتبارية من وجوب الأمر الإلهي بالقص ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ

1 – محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب في الجاهلية ودلالتها،دار الفارابي،بيروت،ط.1،2005 م، ص 23.

2 – إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم: الأنواع والوظائف والبنيات،ص 28.

3 – أحمد بسام ساعي، الواقعية الإسلامية، ص 33.

4 – أحمد بهجت، أنبياء الله،دار الشروق، بيروت، ط.2، 1993 م، ص 31.

﴿ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، وصولا إلى الفهم والتدبر الإنساني لمعنى العبرة من القص ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[2].

فالقصص القرآني إذا تبعا لهذا التصور الموضوعي ينقسم من حيث النوع القصصي إلى:

1- قصص الأنبياء.

2- قصص الأمم الغابرة.

3- قصص الأماكن الخاوية (البائدة).

4- قصص عامة: ويندرج تحت القصص كل من:

أ-الوعظ.

ب-التذكير.

قراءة في منظومة القصص القرآني:النوع والوظيفة والهدف وعلاقتها بالملتقي

في القرآن جملة من القصص المتعلقة بالتاريخ الماضي وردت ضمن منظومة قصصية، بسياقات أدبية متنوعة، وفق صياغات بلاغية سردية متجددة، تنهض على محطات حياتية، وتفاصيل هامة لسيرورة النهج العقدي عبر تاريخ الدين في علاقته بنهضة المجتمعات وتطور الحضارات الكبرى في العالم إما بالقبول والممارسة والتطور من خلال شريعة الله، أو الرفض والتقهقر والتردي نحو الاضمحلال والزوال وهي النتيجة الحتمية للإعراض عن تطبيق المنهج الرباني في الواقع الإنساني.

و طبقا لهذا الطرح كانت المنظومة القصصية محورا مهيمنا في النص القرآني، " صدرت في الأغلب عن مرجعيات تاريخية، ارتبطت بسيرة الأنبياء والرسل في أزمان غابرة، وبأخبارهم وصراعهم من أجل رسالات الله "[3].

---

[1] - سورة الأعراف: الآية: 176.

[2] - سورة يوسف: الآية: 111.

[3] - سليمان عشراتي، الخطاب القرآني ص 67.

ولفهم طبيعة القصص القرآني وهو يندرج في سياق الإبلاغية والإخبارية، يتطلب شحن ذهن المتلقي وقدرته على بناء المعنى من خلال عملية تحليل الأفكار وهنا يمارس القراء فعاليتهم التفسيرية والتأويلية.

فمن خلال (استقبال) القارئ للنصوص القصصية وقراءتها لها، يتضح أن " مصير هذه النصوص مرهون بالأدوات التي يستعملها في أثناء مقاربته لها [1].

إن هذه القصص، وهي تساق ضمن نصوص القرآن الكريم، حفلت بمادة قصصية عزيزة عن الماضين، وعن أماكنهم ومساكنهم واصطبغت بخصائص أدبية تابعة عن السرد الديني المرشح لوظائف عليا في حياة الإنسان، صوب هدف اعتباري واضح في مساره العادي المحكوم بواجب الاستخلاف وتعمير الأرض وفق المنهج الرباني المنشود الذي بشَر به أنبياء الله وجاءوا لنشر الدعوة وتبليغ الرسالات الإلهية.

فالأجل هذه الاعتبارات وغيرها، يتوجب على المتلقي والقارئ الوقوف عند معرفة القصص القرآني من حيث النوع والوظائف والأهداف.

1- القصص القرآني: الأنواع:

لهذا الفن (القصص) من حيث تقسيم الخارجي والداخلي إلى قصص، وتذكير ووعظ، فيقال: قاص، ومذكر، وواعظ.

فالقاص هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها، والشرح لها وذلك القصص وهذا عمن يروي أخبار الماضيين 2.

يكاد القصص في الكثير من المصادر الإسلامية يتمحض للدلالة على الوعظ والتذكير إذ يقال: قاص ومذكر وواعظ بمعنى واحد.

القاص: يعظ ويذكر بحكاية أخبار الماضيين.

الواعظ والمذكر يعظان دون اللجوء إلى قصص السابقين.

---

[1] – محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، تقديم: محمد بن موسى بابا عمي، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط. 1، 2008، ص 50.

[2] – ابن الجوزي، كتاب القصاص والمذكرين، ص109.

التذكير ترغيب وحث على الطاعة. الوعظ: ترهيب وتخويف.

وربما يكون ذكر ما يسوغ إطلاق لفظ القصص عليهما جميعا لأن في حكايات الماضيين ترغيبا وترهيبا[1].

هذا ما انطبع في أذهان المتلقين للتراث القصصي، والباحثين في مجال الدراسات للقصص القرآني.

أما النظر إلى تقسيم القصص القرآني من حيث الدراسة الموضوعية فيخضع عند التلقي والقراءة الفعالة إلى ثلاثة أنواع في عمومه:.

النوع الأول: قصص الأنبياء (عليهم صلوات الله وسلامه).

النوع الثاني: قصص الأمم الغابرة.

النوع الثالث: قصص أماكن الغابرين الخاوية.

فهذه الأنواع المذكورة وفقا لهذا التصنيف الموضوعي متداخلة ومترابطة فيما بينها، إذ هي في الأصل مندرجة ضمن منظومة قصصية واحدة، فالأنبياء والرسل إنما بعثوا إلى أممهم حاملين دعوة التوحيد القائمة على الإيمان بالله الواحد وإفراده بالعبودية: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[2]. وأولئك الأنبياء أرسلوا إلى أمم استوطنت أماكن جغرافية متنوعة في أرض الله الواسعة، ولكنها رفضت دعوة التوحيد وردتها، وناصبت الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم العداء، وكذبتهم: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴾[3].

و نتيجة لهذا التكذيب والإعراض عن دين الله أهلكوا، وسلط الله عليهم عذابه الأليم:

---

[1] – محمد ولد أحمد ولاتنا، القصاص والمذكرون: إسهام في تفسير منزلة فنون السرد والتمثيل في الثقافة العربية والإسلامية، دبلوم الدارسات العليا، إشراف احمد شوقي بنين ومحمد الظريف، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط 1998-1999 م ص50.

[2] – سورة الأنبياء: الآية: 25.

[3] – سورة آل عمران: الآية: 184.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِيَ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

و في إثر العذاب الإلهي الذي نزل بساحتهم أهلكوا،فلم تبق إلا مساكنهم قائمة ولكنها خاوية على عروشها:﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾[2].

و في هذا دلالة أن العذاب الإلهي لتلك الأمم الظالمة كما وصفتها منظومة القصص القرآني قد مسها كأفراد جماعات، أما المنجزات المعمارية للمساكن فبقيت قائمة بأجزائها المتهدمة خاوية من الداخل كما وصفتها صورة المشهد القصصي في النص القرآني لقوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾[3]، كتب لها البقاء كشواهد تاريخية اعتبارية بمصير ممالك وحضارات سادت ثم أبيدت.

ووفقا لهذا التصور والطرح للقصص القرآني بأنواعه يمكن دراسة الموضوع وفهمه في ضوء علاقة الترابط العضوي، والانسجام التعبيري بين الأقسام والأنواع الثلاثة على النحو الآتي:

أولا: قصص الأنبياء وأدبية الإعجاز في الخطاب القرآني:

حفل النص القرآني بمادة قصصية وافرة عن قصص الأنبياء[4] والرسل والتي جاءت موزعة بشكل متناغم ومتناسق في إطار موقع منظومة القصص المنسجمة مع السياق العام للخطاب القرآني ومنهجه الرباني التكاملي في الدعوة الإلهية التي لأجلها بعثوا الأنبياء والرسل ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[5] والمعنى أنه: " وما أرسلنا من قبلك أيها الرسول من رسول سابق إلا أوحينا إليه أنه لا اله

---

[1] – سورة محمد: الآية: 13.

[2] – سورة هود: الآية: 100.

[3] – سورة النمل: الآية: 52.

[4] – بدليل وجود سورة بكاملها سميت بسورة الأنبياء وهي سورة مكية، وتحمل رقم 21 بحسب ترتيب المصحف الشريف، وفي هذا دلالة قرآنية عظمى لدور أنبياء الله عليهم السلام وهم الصفوة الأخيار من عباد الرحمان – في الدعوة إلى الله وإصلاح الأمم والمجتمعات والجماعات والأفراد.

[5] – سورة الأنبياء: الآية: 25.

معبود بحق إلا أن الله، فاعبدوني وحدي دون غيري، وهذا تقدير التوحيد "[1].

وفي هذا بيان لأسس الهداية، ومنطلقات الإصلاح للشأن الديني والدنيوي للإنسان في مسيرته، والتي أكد عليها أنبياء الله على فترات زمنية متفاوتة، وفي مواقع جغرافية متنوعة ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾[2] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾[3].

من هذا المنطلق الموضوعي لرؤية وتلقي القارئ لنص قصص الأنبياء والتواصل مع أبعاده الفنية كجزء هام من النسيج القصصي العام لمنظومة القصص القرآني، يمكن تحديد هذه الرؤية وفق معايير الشكل السردي وأساليبه من حيث: التنوع والبنى القصصية في علاقتها بأدبية الإعجاز في الخطاب القرآني المحصورة بين الوظيفة الإبلاغية وآليات تحقيق الفعالية الإخبارية، والتي تتجلى للمتلقي على من خلال:

أنواع البنى القصصي في القرآن وأدبية الإعجاز في الخطاب القرآني:

اتَسمت قصص الأنبياء ببنية شكلية وبمميزات أضفت عليها خصوصية فنية عززت أدبية الإعجاز، وعمقت وظيفته التأثيرية وهذا بفضل الخصوصية السردية والأدبية التي نسجت بها تلك القصص [4].

إنَ هذه القصص المتعلقة بسيرة الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، انطبعت بطابع التنوع والتواجد في مواضع متفرقة وهي تساق ضمن نصوص القران بتوزيع محكم فمرة يأتي ذكر الأنبياء في سلسلة واحدة كلهم في إثر بعض كما هو الشأن في سورة الأنبياء التي حوت أسماء مجموعة كبيرة من الأنبياء والرسل ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[5]، ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ

[1]- وهبة الزحيلي وآخرون، الموسوعة القرآنية الميسرة، ص 325.

[2]- سورة الأنعام: الآية: 42.

[3]- سورة يوسف: الآية 109.

[4]- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص 68.

[5]- سورة الأنبياء: الآية: 48.

﴿[1]، ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾[2]، ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴾[3]، ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[4]، ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[5]، ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾[6]، ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[7]، ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[8]، ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[9]، ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[10]، ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[11].

فهذه هي الوحدة الكبرى بين الرسالات جميعها وبين الأنبياء والرسل كلهم ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[12].

---

[1]- سورة الأنبياء: الآية: 51.

[2]- سورة الأنبياء: الآية: 72.

[3]- سورة الأنبياء: الآية: 74.

[4]- سورة الأنبياء: الآية 75.

[5]- سورة الأنبياء: الآية: 76.

[6]- سورة الأنبياء: الآية: 78.

[7]- سورة الأنبياء: الآية: 83.

[8]- سورة الأنبياء: الآية: 85.

[9]- سورة الأنبياء: الآية: 87.

[10]- سورة الأنبياء: الآية: 89.

[11]- سورة الأنبياء: الآية: 91.

[12]- سورة البقرة: الآية: 136.

وعلى المنوال نفسه من ذكر الأنبياء والرسل في مجموعة قصصية واحدة درج النظم القرآني متهدهدا بخطى ثابتة لتأصيل عقيدة التوحيد ومنهج الهداية الرباني في الكون والحياة والإنسان، ما ورد ذكره في سورة مريم[1] ذات البنية القصصية الموحدة في قالب أدبي مناسب مناسب للمواقف والأحداث التي يحمل أبعادها الخطاب القرآني.

وكما جاء ذكر لقصص الأنبياء في شكلها الموحد ضمن منظومة قصصية واحدة اتخذت في مواضع أخرى طابع الانفراد بذكر قصة نبي من أنبياء الله مشكلة بذلك محور السورة القرآنية التي يدور حولها الحدث الرئيسي للشخصية القصصية ويتجلى هذا في أسماء السور فهناك سورة يوسف، وسورة مريم، وسورة إبراهيم، وسورة نوح، وسورة يونس وسورة محمد.

ويمكن للمتلقي والقارئ، تمييز شكلين للبنية القصصية كما صاغتها أدبية الخطاب القرآني:

1- الشكل الأول: ونطلق عليه اسم القصة المغلقة أو المكتملة، ويقصد بها القصة التي استقل بها موطن قراني واحد في سورة، وقد وردت على هذا الشكل القصصي كل من قصة يوسف، وقصة أصحاب الكهف، وقصة سليمان والملكة بلقيس.

2- الشكل الثاني: يمكن أن نسميه القصة المفتوحة، ونقصد بها ذلك السياق السردي المتعلق بسيرة نبي أو رسول، والمتواتر في أكثر من سورة بتنويعات إخبارية، وسردية تتجدد كثيرا أو قليلا من سياق لآخر، سواء على مستوى الشكل الخطابي أو من حيث الإفادات التي يحملها[2].

فقصص الأنبياء تدخل في دائرة المنظومة القصصية الهادفة للتذكير والوعظ والاعتبار والتي جاء بها الخطاب القرآني وبثها في نفوس المتلقين بإيقاعات متنوعة وبأساليب سردية مختلفة، بغية الانتقال من العملية الإخبارية إلى تحقيق الفاعلية الاعتبارية بتجربة الأنبياء كنماذج إنسانية صالحة.

---

[1]- يمكن مراجعة الآيات المتعلقة بذكر مجموعة من الأنبياء في شكلها القصصي في سورة مريم.

[2]- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص 69.

كما أن قصص الأنبياء تدخل في إطار الثقافة العربية الإسلامية بوصفها نصوصا مقبولة شغلت حيزا واضحا، واندمجت في البناء الثقافي [1].

ثانيا: قصص الأمم الغابرة وأدبية الإعجاز في التبليغ القرآني:

شغلت قصص الأمم الغابرة حيزا كبيرا في منظومة القصص القرآني وذلك " في إطار التبليغ بعرض أحداث الماضي المتتالية، انه في ذاته سجل يحفل بصفحات من حياة الأولين ومعايشهم، وما يجلون وما يحتقرون، وما يظنون فيه القداسة وما يحسبونه مجلبة للمعرة " [2].

إن هذه القصص –قصص الأمم السابقة، وهي تساق ضمن نصوص القرآن، تميزت بأساليب سردية متنوعة، " وبخصائص نابعة من أدبية التبليغ القرآني، من حيث القوة البيانية، والانسجام التعبيري، والملائمة الموضوعية ضمن الأغراض العامة للسياق الذي وردت فيه "[3].إذ في تضاعيف السرد التاريخي لأخبار الأولين يزداد عرض الدعوة وضوحا ويستبين منهجا الذي تحد والبشرية إليه، لا يختلف وان اختلفت العصور[4].

من المؤكد أن قصص الغابرين التي تشكل محورا كبيرا في القرآن الكريم من المواضيع المهمة التي ينبغي أن يتأملها المتلقي والقارئ للنظم القرآني وآيات الذكر الحكيم يتمعن ويفكر فيها،فيجد أن أولئك الغابرون كذبوا الرسل الذين جاءوهم بالرسالة، وبسبب صدهم وعنادهم وكفرهم استحقوا العذاب الإلهي ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [5] .

أخبر القرآن أن حالات التدمير، إن هي إلّا عبرة للأمم التالية والأجيال القابلة [6] مصداقا لتصوير السرد القرآني في قوله تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ

---

[1]- محمد كريم الكواز، مملكة الباري السرد في قصص الأنبياء،دار الانتشار العربي،بيروت، ط.2008،1 م ص 49.

[2]- محمد طول، البنية السردية في القصص القرآني، ص 2.

[3]- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص 67.

[4]- محمد السيد حسن مصطفى،الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،ط1، 1981م، ص145.

[5]- سورة الكهف: الآية: 59.

[6]- هارون يحي، الأمم البائدة، ص 10.

حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[1]،وفي قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[2].

من خلال استقبال القارئ لنصوص قصص القرى الظالمة وقراءته لها يتضح " أن مصير تلك النصوص مرهونة بالأدوات التي يستعملها في أثناء مقاربته لها "[3].

وهذه المقاربة تقوم على أساس فهم طبيعة موقع قصص القرى والأمم السالفة من منظومة القصص القرآني إزاء وضعية المتلقي لخطاب القران الكريم وما جاء بشأنهم من حيث البنية السردية، وأساليب العرض والتصوير، وأدبية القص في ضوء التصنيف القصصي لفصص الأمم الغابرة، من الإبلاغية إلى الاعتبارية، وآليات تحقيق الفعالية الإخبارية.

1-قصص الأمم الماضية في ضوء السرد القرآني:

ورد ذكر الأمم الماضية أو الخالية في تضاعيف السرد القرآني على نوعين:

أ- قصص الأقوام السابقة.

ب- قصص الأقوام الظالمة (البائدة).

أ – قصص الأقوام والأمم السابقة وأدبية الإعجاز القرآني

تضمنت منظومة القصص القرآني أخبارا عن الأقوام والأمم الماضية حيث تكفل السرد بالدور الفعال في عرض أنباء الأمم الغابرة، مرتكزا على القصة كواسطة بيانية أسعفت تبيين الأحداث التاريخية، ومعرفة البيئة التي دارت فيها، بل إن أساليب التصوير القصصي بدلالاتها وإيحاءاتها كانت من أصدق الوسائل وأنفعها في التعرف على حقيقة الأمم

[1]- سورة العنكبوت: الآية: 40.

[2]- سورة هود، الآيات من:100 إلى 102.

[3]- محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، ص 51.

ووجودها، وهي حقيقة تبرز سمات المجتمعات وتعكس سبل معاشها وطرق تفكيرها وضوابط قيمها، ومعالم إبداعها ونمط حضارتها.

وقصص الأمم والأقوام السالفة " بأنواعه المتعددة، وحلقاته المترابط به، ماسيق إلا ليعضد الدعوة الإسلامية، ويركز عقيدة التوحيد " [1] من خلال عرضه لحياة تلك الأقوام وتغطيتها مراحل مهمة من مسارات من تعلقت بهم، " ولعل هذا ما يدعو إلى ربط قصص القرون الخالية بالموعظة والتدبر، وذلك بالنظر في مسارات ماضية لاجتناب العثرات وإتباع الحسنات والإيجابيات [2] مصداقا لقوله تعالى ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [3].

ركز السرد الإخباري القرآني في منظومة قصص الأمم الغابرة على عدد كبير من الأقوام، وعلى مجموعة من الأمم السالفة بتخريجات سياقية قرآنية متنوعة طبقا لمقتضى الحال ومراعاة مقام الاستذكار، متبعا في ذلك أسلوب التفصيل تارة، والاختزال تارة أخرى.

وفي إثر هذا النهج القرآني في العرض والتصوير يصادف المتلقي والقارئ للذكر الحكيم في نظمه البلاغي الإعجازي ذكر للقرون الخالية على صورتين، الأولى، مجيئ ذكر القوم والأمة منسوبة إلى النبي المبعوث إليها برسالة التوحيد كقوم صالح، وقوم هود، وقوم لوط وقوم نوح، وقوم موسى.....الخ

والثانية: ورد اسم القوم أو الأمة مصرح به في تضاعيف السرد القصصي في الخطاب القرآني، كعاد، وثمود، وأصحاب الأيكة، وقوم تبع ...الخ،

وعلى هذا النمط من التنوع والثراء " لن يعرف تاريخ أمة في قصة واحدة بل من جملة الوحي المفرق على سور كثيرة " [4] ويمكن توضيح وفهم الصورة الأولى لذكر القوم أو الأمة مقرونة باسم نبيها عليه السلام في مترل التحكيم في سياق الاستعراض القرآني لسلسلة الأقوام والأمم جملة واحدة وعلى نفس النهج العقدي التوحيدي كما هو الشأن في سورة الأعراف: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ

[1]- محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ص 79.

[2]- إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم، ص 28.

[3]- سورة الأعراف: الآية: 176.

[4]- محمد الغزالي، نحو نفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط.7، 2005 م، ص 119.

عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[1] ، ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [2] ، ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾[3]، ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4]، ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾[5]، ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾[6].

وفي موطن آخر من النص القرآني بخلاف ما جاء في سورة الأعراف المبنية على الحوارية للشخصيات القصصية على لسان الأنبياء في صراعهم مع أقوامهم يلمس المتلقي والقارئ نمطا مغايرا حيث يقوم التشكيل القصصي لقصص الأمم الغابرة على الوصف والسرد في عرض وتصوير الأحداث كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾[7]، ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[8] ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[9]، ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾[10].

و على هذا الأساس جاءت أدبية النظم القرآني بصيغ متفاوتة في العرض لأحداث قصص ماضية " مسترسلة أو موقعة مشهدية، أو روائية، مفردة أو مدرجة ضمن سلسلة مسوقة لاستعراض أحداث رسل ومصائر غابرة، أو مؤجلة لغاية اعتبارية تنسجم مع أدبية التبليغ القرآني [11].

---

[1]- الآية: 59.

[2]- سورة الأعراف: الآية: 65.

[3]- سورة الأعراف: الآية: 73.

[4]- سورة الأعراف: الآية: 80.

[5]- سورة الأعراف: الآية: 85.

[6]- سورة الأعراف: الآية: 128.

[7]- سورة مريم: الآية: 41.

[8]- سورة مريم: الآية: 51.

[9]- سورة مريم: الآية: 54.

[10]- سورة مريم: الآية: 74.

[11]- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص 69.

ثالثا – قصص الأمم البائدة (القرى الظالمة) وفنية التبليغ القرآني:

ذكر القرآن الكريم قصص الأمم الهالكة، أخبار القرى الظالمة في سياق نصوص الخطاب القرآني ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾[1] فالقرآن حيث تحدث عن أخبار الأمم البائدة 2، بصيغ متنوعة وفي مواضع متفرقة وبأساليب فنية متفاوتة تعكس جماليات الإعجاز البلاغي القرآني في القصص من حيث العرض والتصوير.

فمن حيث العرض سلك القرآن طرق شتى لعرض أخبار حوادث وأيام الأمم السابقة البائدة مركزا في كل مرة على جانب من جوانب حياتهم سواء على مستوى الدين أو على مستوى الدنيا.

ويمكن للمتلقي القارئ للنصوص قصص الأمم البائدة في القرآن الكريم أن يرصد أساليب العرض القرآني من خلال:

1- ذكر الأمم البائدة باسمها صراحة (أي تسميت الأمم)، فقد ورد اسم عاد وثمود ومدين، والمؤتفكات، وسبأ....الخ مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾[3]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[4]، ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ

---

[1]- سورة الكهف: الآية: 59.

[2]- ونشير في هذا الموضع من الرسالة، أن المقصود بالأمم البائدة هي الأمم التي أهلكت بفعل إلهي، وأن إبادها كانت إلهية نتيجة حتمية لتمردها وكفرها وإعراضها عن التوحيد، وهي خمس أمم (أمة نوح، أمة صالح، أمة هود، أمة شعيب، وأمة لوط)، انظر التفصيل في الموضوع في رسالتي للماجستير " قصص الأمم البائدة في القرآن الكريم، دراسة موضوعية وفنية –إشراف الأستاذ الدكتور عمر بوقرورة، سنة 2001 م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة قسم اللغة العربية.

[3]- سورة هود: الآية: 50.

[4]- سورة هود: الآية: 61.

وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴾ [1]

2- التركيز على مرحلة الرسالة الإلهية الموجهة للأمم السابقة، وذلك بهدف إقامة الحجة عليهم ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾[2].

3- كشف الخطاب القرآني في سردياته القصصية لأخبار الأمم أو القرى الظالمة عن صراعها مع أنبيائها نتيجة لرفض الدعوة وتكذيب والكفر بما جاءوا به من عند الله

﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴾[3].

4- التصوير القرآني في قصصه لمصارع الغابرين، مبينا أنواع العذاب الذي نزل بساحتهم، في مواضع متفرقة مصورا مشاهد إهلاك الظالمين، وإذاقتهم ألوان شتى من العذاب الإلهي وأخذهم بقوة، وتدميرهم وإبادتهم من على الأرض وذلك تبعا للذنب المرتكب في حق الرسل، وتناسبا مع نوع الصد والإعراض لدعوة الحق بعدما جاءتهم على لسان كل نبي إلى قومه مصداقا لقوله: ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[4].

5- الإشارات القرآنية الخاصة بأماكن ومساكن الغابرين التي خوت بعدما وقع العذاب الإلهي بأهلها، والتي تحدث بشأنها النظم القرآني في عدة مواضع مشيرا إلى الهدف من تركها خالية كآية وعلامة بصرية يتوجب على الناظر إليها حدوث العبرة والعظة والتذكير بمصير

---

[1]- سورة هود: الآية: 84.

[2]- سورة القصص: الآية: 59.

[3]- سورة إبراهيم: الآية: 9.

[4]- سورة العنكبوت: الآية: 40

الظالمين وهي سنن إلهية ثابتة في قيام الأقوام والأمم والمجتمعات والحضارات التي سادت في وقت ما ثم أبيدت عند مخالفتها للأمر الإلهي، وإفسادها في الأرض، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾[1].

وفي ضوء فهم المتلقي والقارئ للنص القصصي القرآني، يتضح أن أساليب العرض والتصوير تابعة لسياق إخباري أدبي ملائم ومنسجم مع أهداف التبليغ القرآني.

وعلى هذا الأساس " فالقرآن لا يحدد خطاطات جامدة لفن القصة، ولكنه يؤصل تخريجات سردية، تتبلور فيها القصة، في صور تجعل من القص القرآني فنا مفتوحا على التنويع، يراوح بين القصة الموقف، حيث الحوار يبني الحدث، ويجلي الوقائع، وبين القصة الممشهدة، حيث يقوم السرد بالرصد والعرض من خلال المنظر والملامسة، وبين الإجمال والتفصيل....تحقيقا للمغزى القرآني وترسيخا في ذهن المتلقي بكيفية تأثيرية تحرك الخيال والعقل معا "[2].

[1]- سورة السجدة: الآية: 26.

[2]- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص 69.

المبحث الثاني

القصص القرآني من القراءة الاستذكارية لأخبار الغابرين إلى الفاعلية الاعتبارية

أولا: القصص القرآني الوظائف والأهداف.

ثانيا: قصص مساكن الغابرين.

ثالثا: قراءة استذكارية لمشهد الانهدام الحضاري لصورة مساكن الغابرين.

رابعا: أساليب تحقيق الفعالية الإخبارية للقصص في ضوء المنهج الفني القرآني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القصص القرآني الوظائف والأهداف:

اتّسم الخطاب القرآني في مساره القصصي بنوعيه: قصص الأنبياء وقصص الأمم الغابرة، بخط واضح من حيث تحديده لأشكال الوظائف وأنواع الأهداف، والتي من أجلها سيقت القصة القرآنية ضمن سياق إخباري افترض أصالة سياقا أدبيا ملائما، فسرديات قصص الأنبياء، وقصص الأمم الغابرة والبائدة هي مرويات.... ما هي سوى عودات متكررة إلى الأصول وقراءة استذكارية لها تسهم في ضمان استمرار الهوية وترسيخ قيمها ومكوناتها ضمن إطارها الثقافي الحضاري، ووسيلة من وسائل استشراف لأخطار محتملة وإمكانات دفاع وحماية من كوارث مادية أو معنوية ممكنة [1]، مما يشكل إطارا إضافيا لفهم قوله تعالى في الآية 176 من سورة الأعراف﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

لقد تعرض القرآن الكريم لطائفة من الأخبار الماضية لقصص الأنبياء في علاقتهم بأممهم الغابرة، وأقوامهم البائدة حول مسألة الإيمان باعتباره جوهر العقيدة الإسلامية، وما ترتب عن ذلك من مآلات نحو أفق الصلاح والفلاح، أو أفق الإفساد والانحراف والضلال.

ولأجل الوصول إلى فهم الغاية الكبرى التي سيقت في إطارها منظومة القصص القرآني بأنواعه، يحتاج الأمر إلى يقظة في القراءة والتلقي وفقه الأهداف والوظائف التي يرمي إليها الخطاب القرآني، وذلك ضمن " قراءة فعالة، قراءة تستخدم آليات خاصة للحفر والتنقيب في القواعد والأسس، قراءة تدقق في الجزئيات وتبحث عن مسببات الأسباب وعللها وأسس بنائها"[2].

أولا: القصص القرآني وعلاقتها بالفعالية الإخبارية:

حفل الخطاب القرآني في منظومته القصصية بأنواعها بأهداف وغايات وفوائد متعددة تدخل في إطار فوائد الأخبار بالحوادث الماضية للأمم السالفة والبائدة، وقصص أنبيائها.

وعلى هذا الأساس تعرض النظم القرآني بأسلوبه البلاغي المعجز إلى جملة من الأهداف والفوائد ذات المغزى الديني الاعتباري، مبينا وموضحا الغاية التي من أجلها تشكلت بنية القصص

[1] – إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم، ص 100.

[2] – محمد أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، ص 50.

في القرآن الكريم الهادف للعظة والعبرة والتذكير وتصحيح للجانب الخاطئ من التصور العربي والذهنية القديمة في نظرتها لماضي الأولين وما كان عالقا بها من الأساطير والخرافات والأعاجيب عن قصص الأمم والأقوام الغابرة.

وفي ضوء هذه الرؤية الموضوعية يتجلى للمتلقي والقارئ فهم منهج القرآن في تعامله مع قصص الأمم السالفة وأنبيائها بكيفية تتلاءم وتحقيق الفعالية الإخبارية من طريق البناء السردي وطرق العرض والتصوير لحياة ومصارع الغابرين ومن هذا المنطلق تبرز فوائد وأهداف القصص القرآني في شكل نقاط هي:

- بيان أن أساس الدين واحد، وأن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة [1].
- إثبات الوحي والرسالة.
- إنها وسيلة الإرشاد والإيمان والعظة وشرح الأوامر والنواهي الشرعية وشرح فكرة الحق والخير والتعاون بين الناس كمنهاج قويم في حياتهم [2].
- وتختص أخبار الماضين قيام حجة صدق الرسول صلى الله عليه وسلم.
- الاتعاظ والاعتبار، وهي من أعظم الفوائد المتعلقة بالتاريخين الماضي والحاضر [3].
- نصر الأنبياء في النهاية وإهلاك المكذبين، وذلك تثبيتا للعقيدة.
- بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفيائه، كقصص سليمان وداود وأيوب.....[4]

ثانيا: القصص القرآنية: الوظائف في ظل الفعالية الإخبارية:

لعب القصص القرآني عن طريق أهدافه الدينية دورا فعالا في إبراز مبرامية السامية عن طريق العرض والتصوير لجانب من حياة الغابرين والإخبار عن مصارعهم بغرض العظة، ولأجل تحقيق هذا الهدف وإيصاله إلى العقول والقلوب لتتشرب معانيه وتفقه غاياته الاعتبارية كان لزاما أن تتحدد وظائفه وتفهم ضمن منظوره الإخباري الرامي إلى تحقيق التبليغ القرآني في ظل أدبية

[1]- محمد السيد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، ص145.
[2]- المرجع السابق، ص 145.
[3]- محمد البشير النيفر، القرآن والقصص، ص 15-18.
[4]- محمد السيد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، ص 145.

الإعجاز الرباني.

ويمكن التوصل إلى إدراك تلك المرامي من طريق فهم الوظائف التي تكفلت السردية القصصية بإبرازها في طابعها المميزة على النحو الآتي:

1- الوظيفة الدينية:

ظل القص عن أخبار الأنبياء والأقوام البائدة، والأمم الغابرة ومساكنها المتهدمة، من وسائل التحسيس الديني، وظل القصاص في طليعة الرموز المرتبطة بالماضي، المنوهة بمثله، الداعية إلى وجوب الاحتماء به من مستحدثات الواقع، ومن يدعه [1].

2-الوظيفة الإخبارية:

قص السرد القرآني في مشهده القصصي المندرج ضمن سياق منظومة قصص الأنبياء، والأمم الغابرة من أخبار السابقين حوادث كثيرة ومتنوعة، كشفت من خلالها قراءة الذات لمخبوء ها الغيبي المنظمر في أغوارها وتفتحها على الاحتمال الممتد أمامها " [2].

فقراءة متفحصة للمتن القصصي القرآني في إطار علاقة المتلقي بنصوص قصص الأمم الغابرة، تكشف بوضوح عناية السردية في الخطاب القرآني بالأخبار المتعلقة بحوادث الماضين في صراعهم وطريقة مصرعهم، ومشاهد إبادتهم، كما جاء في التصوير الفني في القرآن الكريم.

وبهذا يمكن للقارئ " السرد كله إلى الوظيفة الإخبارية الصرفة، التي يناط بها تحضير المتلقي لاستقبال القصة " [3] إيصاله إلى القناعة بأهمية الإخبار عن حوادث الأمم الغابرة باعتبارها تاريخ، وأن هذا " التاريخ ليس شيئا أخر غير إعادة تنشيط الماضي " [4] من أجل الاستفادة منه مستقبلا.

3-الوظيفة الإبلاغية:

اعتمد السرد القرآني في إعجاز وظيفته الإبلاغية، على قصص الأمم الغابرة للتواصل مع المتلقي والقارئ لنصوص الخطاب القرآني، ومما يحمل من دلالات تتجاوز الإخبارية عن الحوادث

[1]- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص 66.

[2]- حبيب موسي، شعرية المشهد في الإبداع الأدبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط،2011 م، ص 80.

[3]- حبيب موسى، فلسفة المكان في الشعر العربي،ديوان المطبوعات الجامعية،د.ط،2010 م، ص 25.

[4]- عبد الكريم شرقي، من فلسفة التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط.2007،1 م، ص 169.

الماضية إلى مرحلة الإبلاغية وما يترتب عنها من تصوير لمشاهد حية من حياة الأولين في علاقتهم بالنبوة والتوحيد، مرورا بصراعهم وعنادهم، ووصولا إلى مصارعهم وفقا لنوع العذاب الإلهي المسلط عليهم، والنازل بساحتهم.

كل ذلك ليضع المتلقي من خلال الحكي عن قصص الأمم الغابرة والبائدة ومساكنها الخالية " أمام ثنائية مفادها أن الموت هو سيد المكان وأقوى من الحياة "[1] بعد رحيلهم، وتركه مهجورا موحشا يفضي بالناظر إليه إلى الاتعاظ والاعتبار بمصير القرون الماضية ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[2].

إنها القصة القرآنية التي تهدف إلى الإبلاغ كوسيلة فعالة ومسؤولة عن نقل جزء هام من حياة وأخبار السابقين إلى الأجيال اللاحقة حتى تعي وتتعلم من تاريخ الأمم والحضارات الغابرة.

4-الوظيفة الاعتبارية:

قص القرآن الكريم عن أخبار السابقين، وما حدث لهم بهدف إحداث العبرة في النفوس وتحريك العقول للاتعاظ من أخطاء الماضين، وتجنب الوقوع في العثرات والزلات والإنزلاقات التاريخية [3].

ثالثا: قصص مساكن الغابرين (قصص الأماكن الخاوية)

تحدث النص القرآني القصصي عن مساكن الأمم الغابرة مشيرا إلى خلو أماكن إقامتهم بشكل نهائي وفي هذا دلالة على الاندثار الكلي للعنصر البشري تماشيا مع وصف النظم القرآني في قوله تعالى لمشهد الخلو التام: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾[4]

---

[1]- مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط.1، 2005 م، ص134.

[2]- سورة الأنعام: الآية:11.

[3]- نكتفي في هذا المقام من الدراسة بالإشارة إلى وظيفة القصص القرآني في شقة الإعتباري، دون الدخول على التفاصيل، وذلك لأن هناك مبحث مخصص للاتجاه الاعتباري وفاعليته على الخطاب القرآني للقصص والهدف منه في المبحث الثاني من هذا الفصل والذي سيأتي لاحقا إن شاء الله.

[4]- سورة مريم: الآية: 98.

والمعنى:أنهم بادوا وهلكوا وخلت منهم دورهم وأوحشت منهم منازلهم [1]، وحول معنى خلو المساكن من أهلها في أزمنة غابرة، دارت مفاهيم ودلالات آيات القرآن الكريم وجاءت معبأة بإيحات الفراغ، والصمت الجنائزي المحيط بفضاء مساكن أصحاب القرى الظالمة والأمم الهالكة، في مواضع متعددة من النص القرآني القصصي منها قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [2].

والمقصد أو المراد الإلهي الذي يهدف النص القرآني إلى بيانه وتوضيحه للمتلقي والقارئ يرتكز معناه في: "ولنسكننكم ديار هؤلاء الكفار الذين توعدوكم، من بعد إهلاكهم، وذلك الموحي به، وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين." [3]

وفي الإهلاك وإسكان المؤمنين بدل الظالمين أو في مكان ومساكن الغابرين دلالة على الخلو والفراغ المكاني.

ويمكن تفسير وتوضيح مسألة قصص الأماكن الخاوية، والمساكن الفارغة من أهلها الغابرين في النص القرآني من خلال نقطتين هما:

أولا:قراءة استذكارية لمشهد الانهدام الحضاري لصورة المساكن الخاوية للغابرين في القصص القرآني.

ثانيا: منهج آليات تحقيق الفعالية الإخبارية للقص عن مساكن الغابرين في النص القرآني.

أولا: قراءة استذكارية لمشهد الانهدام الحضاري لصورة المساكن الخاوية للغابرين في القصص القرآني:

أبرز السياق السردي القرآني في خطابه القصصي، مشاهد تعبيرية وتصويرية حية ناطقة لمساكن وأماكن التواجد الجغرافي للقرى الظالمة وأهلها الهالكون والبائدون الذين ذكرتهم الآيات القرآنية الكريمة بأسمائهم صراحة حتى أن بعض السور سميت باسم الأماكن: سورة الحجر، والأحقاف، وسبأ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا

[1]- ري الغليل من مجالس التأويل، للقاسمي، ص 312.

[2]- سورة إبراهيم: الآية: 13-14.

[3]- الموسوعة القرآنية الموسعة، ص 258.

فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[1]، وقوله عز وجل ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[2]، ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[3]، ثم قوله تعالى واصفا الموطن السبئي: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾[4].

وتتجلى للمتلقي والقارئ لهذه الآيات القرآنية الكريمة مشاهد لمواطن الأمم البائدة المذكورة في سياق السور على صورتها الإهدامية، ضمن معطيات التلقي البصري والرؤية العينية المستنتجة من تفاسير النصوص القرآنية المتعلقة بالأماكن الخاوية للغابرين في سياقها القصصي المقدم في شكله ووفق موقعه الجغرافي المحدد.

1-مساكن ثمود الخاوية بالحجر: ذكر السياق السردي للقصص القرآني، موطن ثمود قوم صالح عليه السلام بأن مساكنهم كانت بالحجر (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين)، وبأن بيوتهم كانت منحوتة من الجبال (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين)، ثم ذكر القرآن الكريم في موضع آخر بأن بيوت الثموديين أصبحت خاوية بعد نزول العذاب الإلهي بهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[5]، والمعنى أن بيوتهم أصبحت " خاوية من أهلها خرابا ليس بها ساكن "[6].

وهكذا استطاع السرد القصصي القرآني من تصويره لموطن إقامة الثموديين أصحاب الحجر

---

[1]- سورة الحجر: الآية: 80 إلى 84.

[2]- سورة الأحقاف: الآية 21.

[3]- سورة الأحقاف: الآية 25.

[4]- سورة سبأ: الآية: من 15 غالى 17.

[5]- سورة النمل: الآية 52.

[6]- محمد سليمان عبد الله الأشقر، زبدة التفسير، ص 381.

"أن يوغر في نواة الأمكنة من خلال ملامح الطلل"[1] العمراني الشاخص للناظر إليه عن طريق التلقي السمعي والبصري لأخبار مصارع الغابرين وأماكنهم الخاوية، بالإشارة إلى البيوت تحديدا ووصفها بالخواء والفراغ (فتلك بيوتهم خاوية).

وفي هذا دلالة واضحة أن طريقة التصوير القرآني للمشهد الطللي أو البقايا الأثرية للمعمار المكاني المتهدم، هي طريقة حية تعتمد على " جذب انتباه المشاهد وتستحوذ عليه وتجعله يركز على الصورة المرئية، ذلك "أن الصورة البصرية أكثر رسوخا وفرضا لنفسها من الصور الأخرى "[2].

وعلى هذا الأساس تظهر تجليات المكان الثمودي في ذهنية المتلقي لمشهد الانهدام الحضاري للبيوت الصخرية كمعالم عمرانية لمنطقة الحجر، وقد خلت من أهلها، قفراء موحشة، تبعث عن الأسى والحزن والاتعاظ، وهي الغاية والهدف الاعتباري الذي يسعى السرد القرآني إلى تحقيقه من خلال تقديم صورة الأماكن الخاوية لمصارع الغابرين في القرآن الكريم.

2- المساكن الخاوية لقوم عاد بالأحقاف: وصف السياق القرآني قصة المساكن الخاوية لعاد بالأحقاف بعدما جاءهم الوعيد الإلهي بالإبادة والمحو من على وجه موطن إقامتهم الأصلي باليمن، وشهدت آيات سورة الأحقاف بخلو أماكنهم وفراغها التام من أصحابها مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾.

وفي هذا دلالة على الفناء الإنساني لأصحاب المكان، " فأصبحوا لا يرى من أموالهم وأجسامهم شيئ، لكن ترى مساكنهم المتهدمة "[3].

فلقد أبيدوا ولم تبق إلا مساكنهم كأطلال دارسة شاهدة على وجودهم التاريخي الذي سيظل عالقا بالذهنية العربية من خلال تداول قصصهم وأخبارهم التي ترويها الذاكرة الجماعية " بأن عادا هلكوا بريح الصرصر وأعاصيرها، وأهوالها، فبقيت من جملتهم عجوز ترثيهم وتنوح عليهم وأخبارها مشهودة، قالوا فلذلك سميت آيام العجوز، وذكروا أن الريح التي أهلكتهم كانت دبورا "[4].

---

[1]- باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، الأردن،ط.1،2008 م،ص 207.

[2]- جمال العيفة، تجربة القراءة والمشاهدة بين انحسار المكتوب وانتشار المرئي، ص 194.

[3]- محمد سليمان عبد الله الأشقر، زبدة التفسير، ص 505.

[4]- أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، الآثار الباقية عن القرون الخالية، مكتبة المتنبي، القاهرة،ط.1، 1923 م، ص 255.

3- صورة الانهدام الحضاري للمساكن الخاوية لسبأ في القرآن الكريم:

ذكرت مساكن سبأ في النص القرآني في السياق السردي لعدد آيات [1] القرآن التي تكفلت بتصوير مشاهد الطلل السبئي المتهدم، وبقاياه المبعثرة التي بقيت صامدة تقف شاهدة على عظمة حضارة عربية كبرى عرفها التاريخ العربي القديم في سالف عهده.

وهذا التصوير لخلو المكاني السبئي جاء به القرآن الكريم من باب تقديم صورة المشهد الطللي حيا يعكس صورة المساكن الفارغة من أصحابها وقد مزقوا.

فإعادة ذكر أو قص أخبارهم ورواية ماضيهم، والاغتراف من مرويات تاريخهم، إنما جاء من باب التذكير والوعظ والإرشاد عن طريق المشهد المصور في القرآن للمعمار المكاني المتقادم الذي يحي شاخصا في ذاكرة العرب "لاسيما وأن صروحهم الباقية قد أدامت الصلة بينهم وبين عرب الجاهلية "[2].

ومن هذا المنطلق يتسنى للمتلقي والقارئ فهم سعي السياق السردي القرآني في خطابه القصصي اعتماده على طريقة التعبير بالصورة الحية الناطقة لمشهد مساكن وأماكن التواجد الجغرافي للقرى الظالمة والأمم الغابرة في حالة خلوها من ساكنيها، مركزا على عرض بقايا طللية لتلك المباني في هيئتها المنهدمة كالآبار الجافة من مياهها، والسدود المتساقطة، والإشارة إلى البيوت المنحوتة في الصخور، وبقايا القصور والصروح المتشبثة بالأرض تطابقا مع قوله تعالى في وصفه: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[3] .

وفي إثر المعنى الذي تفصح عنه الآية الكريمة يستقيم التفسير المعرفي لمفهوم الانهدام الحضاري للأماكن الخاوية، في هذا الموضع، فتكون القراءة الفعالة للنص القرآني محصورة في دلالة مفادها:

---

[1]- ذكرت قصة أماكن والمواطن السبئية في القرآن في موضعين: في سورة النمل وفيها تم تصوير المعالم المكانية البارزة في الحضارة لمملكة سبأ ـــ تم حديث السرد القرآني عن المساكن الخاوية التي تركت كآية لغاية اعتبارية في سورة سبأ، وفي هذا المبحث نشير فقط إشارة عابرة لمساكن سبأ دون الدخول في التفصيل، لأن للتفصيل مكانه المناسب من هذه الدراسة في الفصل المخصص لذلك.

[2]- أحمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، سينا للنشر، القاهرة، ط.1، 1995 م، ص 216.

[3]- سورة الحج: الآية: 45.

أن الأماكن أصبحت " خربة ليس فيها أحد، (وبئر معطلة) عطلها أهلها وتركوها، (وقصر مشيد)، شيدوه وحصنوه فهلكوا وتركوه " [1].

وفي ضوء هذا التوضيح وردت المشاهد المكانية بتنويعات سردية، وبتوزيع محكم، وفي مواضع متعددة، تأخذ طابع التجدد والإيضاح عبر كل قراءة استذكارية فعالة تهدف إلى التأسي والاحتذاء بمشهد صور الانهدام الحضاري لمختلف التشكيلات العمرانية القائمة والباقية على الأرض العربية.

إنها مشاهد عمرانية متهدمة مبعثرة تتراءى للمتلقي الناظر والسائر والمتأمل لآيات الله العظمى المساكن والمواطن التي شهدت مصارع الغابرين في أحقاب زمنية متباعدة، تبدو وكأنها ميتة، ولكن تبعث فيها الحياة من جديد بمجرد الرؤية البصرية لتلك الأطلال الشاخصة أثناء المرور بها والسفر إليها والمشي في مساكن الراحلين الماضيين لغاية اعتبارية محضة.

إنه أسلوب السرد القرآني الذي،، يحول لغة الأحداث الماضية في جميع أحوالها التعبيرية نقلا للمشاهد مادية كانت أو معنوية حاضرة أمام العين تتملاها، أو غائبة عن البصر، تتولاها البصيرة بالتدبر والإنشاء،، [2].

ثانيا:أساليب تحقيق الفعالية الإخبارية للقصص في ضوء المنهج الفني القرآني:

يسلك القرآن الكريم في عرضه لقصص الأماكن الخاوية التي كانت يوما ما مسرحا لمصارع الهالكين من الأمم الماضية والأقوام البائدة، طريقا واضحا معتمدا على أساليب وصفية وسردية متنوعة، موجزة تارة ومطولة بعض الشيئ تارة أخرى، تتناوب في تقديم قصة المكان الواحد بين المشهد المكاني المرئي المصور، الذي يتطلب التلقي البصري، وبين الموقف الحواري المسموع الذي يحرك حاسة السمع ويتطلب التلقي السمعي وبين هذا وذاك يجد القارئ والمتلقي للقصص القرآني المتعة الفنية وتتحقق له الإفادة المعرفية من خلال القراءة الفعالة.

ويمكن الوقوف على تلك الأساليب المعرفية والفنية التي سطرت وفق النهج القرآني في الوصول بالمخاطب المتلقي سمعا وبصرا إلى تحقيق الفعالية الإخبارية بفعل القص عن قصص الأمم

[1]- الشوكاني: فتح القدير، ص 969.

[2]- حبيب مونسي: شعرية المشهد في الإبداع الأدبي، ص 4.

البائدة والأقوام الغابرة لاسيما في مرحلة الإهلاك والإبادة وترك المساكن خاوية على عروشها وهو الموضوع الجوهري في هذه الدراسة، وذلك ضمن فهم وتتبع الخطوات الآتية:

1 اعتماد القرآن على أسلوب الإيجاز(أسلوب القصة القصيرة) في عرض الحدث القصصي:

اعتمد القرآن في عرض الحدث في قصص أماكن الغابرين على أسلوب الإيجاز، وذلك بهدف بث الحركة والحياة في القصة وتكسير الرتابة والتأثير بها على المتلقين لغاية وعظية اعتبارية.

وعلى هذا الأساس اكتفى السرد القرآني في عرضه لقصص الأمم البائدة في مشهد الاستئصال، وتصوير خراب المساكن، وخلو الديار من أهلها، بذكر ماله علاقة مباشرة بالحدث وقصده، كتصوير لمشاهد العذاب الإلهي النازل بساحة المكان العادي والثمودي والسبئي، فأوجز في عرضه وعدل عن التفصيل بقصد تركيز ذهن المتلقي والقارئ على قضية واحدة " فالمدار القصة القصيرة على وحدة الموقف ووحدة العرض،، [1]، دون تشتيته بين أنواع منها، بحيث جعل السرد همه مقصورا على إبراز الفكرة الأساسية وهي،،العظة والعبرة إذا صفت النفوس، وهبت عليها سمات الفطرة فتدفع إلى الاتعاظ والاعتبار" [2]، متجنبا جهد الطاقة أن يتطرق إلى جوانب أخرى من حياة تلك الأمم الغابرة الهالكة، وذلك هو الجوهر الجدير بالعناية والإشارة وعمق التأثير والظاهر أن توظيف السرد القرآني لأسلوب الإيجاز في الإخبار عن الغابرين وقصص أماكنهم الخاوية من ساكنيها، كان الهدف منه مراعاة الجانب النفسي للمتلقي العربي زمن نزول القرآن ومدى تجاوبه وميله لاختصار الكلام، وإعجاب العرب بالحديث الموجز، والجمل القصيرة[3] وبلغ من كلفهم بهذه الظاهرة أن جعلوا البلاغة معادلة للإيجاز، فقالو:،،الإيجاز بلاغة،، [4].

ولهذا اختصروا كلامهم وأخرجوه في صورة مكثفة مبرقة وموحية، تتعاقب على الذهن

---

[1]- عباس خضر: القصة القصيرة في مصر: الدار القومية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، د، ط 1966م ص 76.

[2]- أحمد حسن الباقوري: أثر القران الكريم في اللغة العربية، دار المعارف: القاهرة، ط 1978 م ص 110.

[3]- وقد أشار إلى هذه القضية وأهميتها علماء البلاغة وعلى رأسهم الجاحظ في كتابه "الحيوان "،تحقيق: عبد السلام هارون،دار الجيل،بيروت د.ط 1992م، ج 1 ص 94 وكذا المبرد في " الكامل " قال أبو العباس: " من كلام العرب الاختصار المفهوم، والأطناب المفخم، وقد يقع الإيماء إلى الشيئ فيغني ذوي الألباب "، تعليق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته، مكتبة نهضة، مصدر، القاهرة، د،ط 1956 م، ج 1 ص27

[4]- الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: أحمد خلف الله، وزغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط، 4. 1991 م ص 78.

بسرعة كومضات البرق، وهذا اللون من الكلام يتطلب من المتلقي أن يكون سريع البداهة، لبيبا بالإشارة يفهم.

ولهذا جاء أسلوب السور والآيات التي نزلت بمكة متماشيا مع العادة الأسلوبية المتفشية فيهم، فتقوى عليهم، وهذا ما يعضده قول الرسول صلى الله عليه وسلم:،، إني قد أوتيت جوامع الكلم، واختصر لي الحديث اختصارا" [1].

و بهذا الاختصار في عرض الحدث في القصص القرآني، استطاع السرد الشفاهي، اختراق آذان المستمع العربي والتأثير فيه،و الاستحواذ عليه بتركيز المعلومة،و تثبيتها في الأذهان، وترسيخ أبعادها ومفاهيمها في الذهنية العربية في المرحلة المكية، بغية تحقيق الفعالية الإخبارية من القص عن الأمم الهالكة، وبيان حدث الاستئصال ووصف المساكن الخاوية لغاية تحذيرية محضة.

و لا شك أن لهذه الطريقة في العرض البليغ الموجز للحدث في القصة القرآنية واعتماد " أسلوب القصة القصيرة التي من خصائصها الفنية الوحدة والتركيز " [2]. لأن في هذا دعوة للعقل إلى النظر والتفكير فيما عرض عليه من أمر حادثة إهلاك الأمم البائدة، والإشارة إلى مساكنها الخاوية كطلل دارس قائم شاهد على ملك كان ثم زال.

و لفهم هذا الكلام وتفسيره للمتلقي والقارئ للنص القصصي القرآني المتعلق بصورة الاهدام الحضاري لمساكن الأمم الهالكة يمكن الوقوف على نقطتين:

أولا: الفعالية الإخبارية وآلية تحقيقها من حادثة الاستئصال.

ثانيا: الفعالية الإخبارية وآلية تحقيقها من حادثة ترك المساكن خاوية.

كل هذا من خلال السور الآيات القرآنية الآتية: سورة القمر، سورة الحاقة، سورة الفجر نهاية سورة مريم، سورة النمل وسورة سبأ وغيرها.

السردية القرآنية وحادثة الاستئصال للأمم البائدة في آيات سورة الحاقة وفاعليتها الإخبارية قصة عاد وثمود نموذجا-

[1]- علي بن عمر الدار قطني، كتاب المكاتب باب النوادر والأحاديث المتفرقة عن ابن عباس، عالم الكتب، بيروت ط، 1986، ج 4 ص 145.

[2]- عباس خضر: القصة القصيرة في مصر، ص 76.

اقتصر السرد القرآني على عرض الأحداث في قصتي عاد وثمود،و تقديم خبرهما بصورة موجزة مختصرة وسريعة،و ذلك في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾[1].

يتواصل المتلقي والقارئ لهذه الآيات في إثر المعنى القرآني ومراميه التي ينكشف أمام قراءة فعالة تغوص في الدلالة التفسيرية لفكرة الاستئصال التي حملتها آيات سورة الحاقة حين أخبرت عن كيفية هلاك قبيلة ثمود بالواقعة التي جاوزت الحد في الشدة والقوة، وهي الصيحة أو الرجفة (الصاعقة)، وأما قبيلة عاد فأهلكوا بريح شديدة الصوت والبرد والسرعة، شديدة القوة في التدمير، سلطها الله عليهم بقدرته طوال مدة سبع ليال وثمانية أيام متتابعة تحسمهم أي تفنيهم، فترى القوم فيها هلكى موتى مطروحين، كأنهم أصول نخل ساقطة فارغة. فهل ترى لهم من باقية؟ ! لقد ماتوا جميعا "[2].

و هذا ما يعطي فرصة للمتلقي ويضعه أمام حقيقة القراءة الفعالة ودورها في عملية الفهم التي تقر أن "النص لا يحيا إلا بقراءته، وإذا وجب فحصه، وجبت دراسته من خلال عين القارئ"[3].

وعلى منوال القراءة الفعالة لآيات الحاقة، ينتقل المتلقي إلى القصة القصيرة الرائعة المركزة لقصة عاد.

لقد ذكرها الله تعالى في إحدى وعشرين كلمة فقط، وعلى الرغم من ذلك فقد احتوت هذه الكلمات الكريمة على كل مقومات وعناصر القصة الهادفة والمؤثرة في سورة القمر: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ

[1]- سورة الحاقة: الآيات: من 4 إلى 8.

[2]- وهبة الزحيلي، الموسوعة القرآنية الميسرة، ص 567.

[3]- شلوميت ريمون كنعان، التخيل القصصي، ص 117.

﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾[1]، في هذه الكلمات القليلة الموجزة تتوفر كل شروط ومقومات القصة القوية الكاملة[2]، التي بتركيزها " منحت عطاءها صافي لحظات "[3]، دون امتداد في الزمان والمكان، وكأنها قطعة صغيرة من حياة قوم عاد،اختصرها السرد القرآني أثناء العرض " في صورة سريعة قوية، في تعبيرات مركزة ومشيعة مهمتها الإيحاء السريع والتأثير القوي، وذلك من أجل تبلغ غايتها الوعظية في أقصر وقت ومن أقرب طريق " [4].

وبهذا الأسلوب المركز استطاع السرد أن يتجه بالمتلقي والقارئ صوب الاستفادة من القص في شكله الموجز ساعيا إلى الوصول بالقراءة الفعالة لتحقيق الإخبارية القصصي القرآني إلى مرحلة " تفاعل النص الزماني مع الواقع المتغير، وهذا مع التفاعل يجب مراعاته حين القراءة والتفسير " [5].

2-التناسب بين الإيقاع الصوتي والصورة في رسم مشهد المساكن الخاوية:

عبر القرآن عن النهاية بكلمات قليلة هي في غاية الوضوح والإبانة، إذ يتعرف المتلقي فيها على أن الأقوام البائدة قد عذبوا واستؤصلوا بسبب طغيانهم، وذلك بأسلوب شحنت به كلماته من توقيع موسيقي موجز، وبكثافة في الدلالة، في مرحلة التعبير بالصورة عن مشهد المساكن الخاوية من ساكنيها،و قد خلت وأقفرت، وأصبحت مرتعا للحيوانات،إذ لا أنيس بها مصدقا للتصوير القرآني: (**هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا**) [6].

ومن خلال المعنى الذي تومئ إليه الآية الكريمة وإشارتها إلى الخلو التام لمكان الحدث في القصة "يلاحظ أنه في القصص الذي نزل أولا بمكة كان يعتمد على الرنين الصوتي للألفاظ يعاونه في ذلك الفقرات القصيرة المسجوعة "[7]، تماشيا مع عادة العرب الأوائل في الاحتفاء " بالعنصر الإيقاعي إذ عدوه وسيلة فعالة من وسائل الاتصال والتبليغ لما فيه من قوة ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم

---

[1]- سورة القمر: الآيات: 18 إلى 20.

[2]- كمال حسن المحامي، القرآن والقصة الحديثة، دار البحوث العلمية: بيروت ط، 1، 1970 ص 13.

[3]- ماهر حسن فهمي، قضايا في الأدب والنقد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدوحة، د ط، 1986، ص 340.

[4]- محمد شديد، منهج القصة في القرآن، شركة مكتبية عكاظ للنشر والتوزيع السعودية ط، 1، 1984 ص 35.

[5]- محمد بن احمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني ص 94.

[6]- سورة مريم الآية: 98.

[7]- مصطفى الصاوي تاجوني: التفسير الأدبي للنص القرآني، شركة جلال للطباعة الإسكندرية، د،ط 2002ص 158.

مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾التأثير في الملتقى السامع وتحريك مكنوناته، فينصاع لذلك العمل الفني وينجذب إليه[1].

و خير شاهد على فعالية الإيقاع الموسيقي والرنين الصوتي في تأثيره على المتلقي ما جاء به أسلوب آيات سورة الحاقة في مرحلة التعبير والتصوير لمشهد الاستئصال الإلهي – على سبيل المثال –لا للحصر – لعاد قوم هود عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾[2].

إن التركيب الصوتي داخل هذا الأسلوب التعبيري عن حادثة إبادة عاد قد تمكن من نقل صورة صوتية للمتلقي معبرا عن جلال الحدث وعظمته، دون أن يفقد شحنته الانفعالية، محافظا على تماسك البنية، ومراعيا التناسب بين إيقاع الصوت وإيقاع الصورة.

لقد كان هذا الإيقاع الصاخب ذو حركة سريعة معبرة عن الحسم والعزم[3]، في تحقيق البطش، يتم في وحدة موسيقية متنوعة، حيث قوة الجرس وعنف الحركة هما اللذان يصنعان صورة المشهد القصصي بظلالها وإيحاءاتها إن النفس لتهتز وتخرس أمام هذا الإيقاع المشبع بالهول والقوة، والذي كان عند نزوله ينقض على أسماع قريش ويصم آذانهم فتشتد مخاوفهم من أن يحدث لهم ما حدث لقوم عاد.

هذا الإيقاع القوي أفسح للصورة الصوتية أن تلامس أذن السامع، وتمده بصورة غنية بمشاهد الدمار الإنساني متجاوزا بذلك المجال الصوتي الضيق إلى عوالم أوسع، حيث يلتقي السمع بالبصر، فتتطابق الصورة مع معناها.

و في هذا التطابق يجد المتمعن في الأسلوب التصويري للحدث، فرصة اهتمامه بالتركيز على مشهد الإبادة في قصة عاد المنذر بالغضب والبطش من خلال توظيف الألفاظ التي لها جرس وصورة وصوت (صرعى، صرصر، حسوما، أعجاز نخل خاوية، عاتية....).

إنما معزوفة صوتية تشد الأسماع إليها قبل الأذهان، وتستدعي وقفة تأملية طويلة دقيقة

---

[1]- بلقاسم بلعرج / من سمات الأداء في ثقافة العرب الأولين، الإيقاع، ص 143.

[2]- سورة الأحقاف: الآيات: من 6 إلى 8.

[3]- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط، 2، 1986، ص 176.

وعميقة "فالألفاظ منسجمة تماما مع خصائص اللغة البنيوية الصوتية والدلالية " [1].

إن أدوات الصفير كلها جندت في هاته الآيات على مختلف صنوفها من الصاد،و السين والزاي، والخاء،و العين،و الجيم، ساهمت في رسم الصورة لمشهد الهلاك على وقع صوت الريح وما أوقعته بالقوم.

لقد تساندت هذه الأصوات وتآزرت، فأصبح المعمار الفني للآيات يجلجل بصوت الطاغية والريح وينذر بعقاب شديد " ويرسم صورة صوتية معبرة عن وقائع الهلاك والخراب "[2] التي ألمت بعاد،حتى كأن السامع يبصر ذلك المشهد التصويري الحي ويتحسس الريح بحركتها القوية وهي تقتلع تلك الأجسام الضخمة وترفعها لتلقي بها، جثثا هامدة خاوية من الروح كخواء جذوع النخل من اللباب بل ويسمع صرير الرياح [3]. فتتابع الريح عليهم بقوة، وتمكنها منهم تمكن القهر والغلبة، كما يدل على ذلك الحرف "على" قد أتى عليهم جميعا، واستأصلهم استئصالا، فناسب ذلك أن يشبهوا بأعجاز النخل الخاوية ثم جاء هذا الاستفهام الإنكاري ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ [4] ليفيد خلوهم خلوا تاما، ولبحث النفس على التأمل وأخذ العظة والعبرة [5].

و لعل هذا السبب الذي جعل "أصحاب اللغة " كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعد لونها بها ويحتذونها عليها [6].

3-السرد والتناسب الفني بين المتسع الزمني والحدث في قصص استئصال الغابرين ووصف مساكنهم الخاوية:

اعتنى السرد القرآني بإبراز ملامح الزمن الداخلي الذي وقع في حيزه الحدث في بنية قصتي

---

[1]- نشأة محمد رضا ضبيان، علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1 1997م ص 153.

[2]- محمد طول، البنية السردية في القصص القرآني، ص 198.

[3]- مصطفى محمود،القران محاولة لفهم عصري، دار الشروق، بيروت د، ط، 1970م ص 19.

[4]- سورة الحاقة: الآية 8

[5]- بسيوني عبد الفتاح فيود، روافد من نهر الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة ط، 1، 2010، ص 222.

[6]- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ت ح محمد علي النجار، دار الكتب المصرية: القاهرة، بيروت، ط،1952. ج2، ص157.

عاد وثمود، بطريقة فنية توحي بوجود تناسب بين الحدث والمتسع الزمني المخصص لاستيعاب القصة في صورتها الطبيعية المنسجمة مع حركة السرد لحظة إمساكه بجزيئات الحدث من كل جوانب،و لملمته لأطراف المشاهد القصصية على إيقاع زمني متفاوت،يراوح بين السرعة والبطء والتراخي والنشاط، والاستجماع والوثوب: وعلى هذا المستوى كان الحدث يسير على وتيرة زمنية تلاءم كل هذه التشكيلات الإيقاعية المتنوعة التي تتماشى مع طبيعة البناء السردي للمعمار القصصي،ذلك أن "العمل القصصي ميدان للأزمات.و العقد والمشكلات،و لذلك كان من الطبيعي أن تختلف سرعة السير باختلاف المواقف،و باختلاف السرعة يترجح اهتمام القارئ، بين التأجج والجهود،و الازدهار والذبول [1].

و هذا ما حدث في قصتي عاد وثمود وهي الصورة القصصية التي تمثل صورة الحياة الإنسانية في كل زمان ومكان.

فالتتبع لتقنيات السرد في قصتي عاد وثمود يضع المتلقي أمام طريقة القرآن في التعامل مع العنصر الزمني تعاملا رائعا،و ذلك عن طريق معالجة المقاسم الزمنية وتوظيفها توظيفا غائيا.

إن السرد يتباطأ عند المشهد القصصي الذي يستغرق حدثا هاما يتصل بالغاية المحدد للقصة أي نلمس الإلحاح على المقسم الزمني الذي يستغرقه الحدث لتمامه، أو لتمام أجزائه بشكل متناسب مع الوقت الذي يستغرقه المتلقي لاستيعاب مشهد الحدث في القصة، وكأن " الزمن اللازم لاستهلاك هذا الحدث القصصي هو زمن عبور الذهن واجتيازه وكأنه طريق أو حقل "[2].

و هنا تغدو المقاسم الزمنية المخصصة لتمام الحدث وتمام أجزائه متناسبة مع الزمن الذي يحتاجه القارئ للوقوف على أبعاد المشهد.

و نمضي مع السرد القصصي القرآني لنلمس حركة الزمن داخل نسيج القصة، بحسب المتسع الزمني المخصص لاستيعاب مشاهد الحدث التصويرية،حيث السكون والحركة يصنعان محورا للصورة الفنية الحافلة بالإثارة والمتعة الهادفة.

وعلى هذا النحو عمل السرد القرآني على مبدأ الإنتقاء واختيار المادة المسرودة، إذ الغاية

[1]- محمد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر، بيروت، ط1، 1996 م، ص 71.

[2]- يمني العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، د.ظ، 1990 م، ص73.

تذكيرية تقتضي أن يكون الحدث مركزا على عرض مكونات الحدث بصورة مكثفة، دون الانسياق في تتبع الجزئيات والتفاصيل الثانوية.

وتبعا لهذا التركيز في العرض القصصي للحدث، كان السرد يستند إلى فاعلية إسقاط المراحل السكونية [1]، في المسافات السردية، تلك التي تقتضي بنية الموقف القصصي أن نضمرها [2].

وكان في جملة ما استخدم القرآن لتخطي المراحل الزمنية على مستوى السرد الأدوات اللغة الظرفية " إلى " و" لقد ".

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[3] الفاعلية الزمنية متمحورة حول بعثة نبي الله هود عليه السلام إلى قومه عاد.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[4] السرد الزمني يرتد إلى الوراء إلى عمق زمنية إرسال صالح عليه السلام ليدعو قومه ثمود إلى عبادة الله الواحد.

ويلاحظ أن الوتيرة الزمنية للحدث في الآيتين المذكورتين تسير ببطء وتمهل وتراخ ليتناسب مع جو الدعوة ومع نفسية النبي الحريص على هداية قومه إلى إفراد الله تعالى بالعبودية، وذلك أن مجيء الزمنية على هذا الشكل استدعاها المقام التذكيري الدعوي، الذي يتطلب التروي والتمعن في بيان عقيدة التوحيد، ومقتضيات التبليغ.

أما في مقام آخر فنرصد لحركة الزمن داخل النسيج القصصي وتيرة مختلفة من حيث سيره في خط تنازلي سريع باتجاه المصب الأخير، لحظة الاستقرار بالحدث في مشهد تصويري لنهاية واقعة الاستئصال والإبادة الجماعية للأقوام الظالمة، وذلك فيما نصه ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ ﴾[5]

---

[1]- المراحل السكونية: هي الفجوات الزمنية أو الفراغات، انظر سيد قطب في كتابه: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق بيروت،ط.8،1983،ص. 187. أو ما يسمى أيضا بالثغرات الحكائية، انظر بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.1،1990 م، ص 146.

[2]- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ص 110.

[3]- سورة الأعراف: الآية: 65.

[4]- سورة النمل: الآية: 45.

[5]- سورة الشعراء: الآيات: من 138 إلى 140.

السرد يسير بالحدث وفق نظام زمني تعاقبي بواسطة الأداة الظرفية " الفاء " التي تواصل الراهن " التكذيب " بلاحق " الهلاك " دون مهلة زمنية، وهذا الإيقاع السريع يتفق مع فكرة أن العذاب الإلهي هو النتيجة الحتمية للكافرين بدين الله.

4-اعتماد الأسلوب التكراري (التنوع في أساليب عرض وتصوير القصة)

الوحدة الفنية في القصة القرآنية تقدم على فن البناء والتركيب، والأساس الذي تستند إليه سائر عناصرها هو الهدف أو الغاية الاعتبارية، وليس الشخوص أو الأحداث أو الأزمنة أو الأماكن مقصودة لذاتها، وإنما الفنية والجمالية في العبرة حيث تكون.

وعلى هذا الأساس للغاية الاعتبارية، كانت العناصر المشكلة للبنية السردية للقصة القرآنية تتضافر عناصرها في تسلسل محكم، وتناسق بديع لتجسيد الهدف الإتعاظي.

وفي ضوء هذا الهدف العظيم تعددت المواقف، وتنوعت الحلقات في معظم الحالات هذا التعدد، والتنوع لا يأخذ سمة التكرار للقصة، وإنما طابع التنوع حين عرض الحلقات، كل حلقة من هذه الحلقات القصصية تشير إشارات سريعة قريبة أو بعيدة لفكرة جديدة، أو تنمية لفكرة سابقة، أو توضيح لهدف عام أو خاص، أو أسلوك معين، أو نموذج إنساني في جانبه النفسي أو الخلقي أو الاجتماعي، أو تحبيب في قدوة حسنة، أو تجنب لعادة سيئة [1].

5-التكرار القصصي في القرآن:

" وأما تكرار الأنباء والقصص، فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجوما في ثلاث وعشرين سنة، بعرض بعد عرض، تيسيرا منه على العباد، وتدرجا لهم على كمال دينه ووعظ بعد وعظ تنبيها لهم من سنة الغفلة، وشحذا لقلوبهم بمتجدد الموعظة، وناسخ بعد منسوخ، استبعادا لهم واختبارا لبصائرهم " [2].

وقراءة متفحصة لنص ابن قتيبة تكشف بوضوح وجلاء، على ما تنضوي عليه عبارته من إشارات في غاية الأهمية من بيان فوائد الأسلوب التكراري للقصص في القرآن الكريم، لاسيما

[1]- محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ص 121.

[2]- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرح: السيد أحمد صيقر، دار التراث، القاهرة، ط.2، 1973م، ص 232.

فيما يتعلق بقصص الغابرين وأخبارهم المبثوثة في ثنايا الخطاب القرآني من حيث البناء والتركيب والدلالة القصصية بشكلها المتنوع.

و لاشك أن قراءة كهذه لنص كهذا تومئ عن بعد إلى الوظائف التي لأجلها أعيد عرض القصة في أكثر من موضع، وبقوالب متنوعة في أكثر من مشهد وموقف استدعاه السياق القصصي القرآني الهادف إلى العظة والعبرة، " وهو الغرض المقدم وهذا يتوافر دائما، ولا يخل بالسمة الفنية مطلقا "[1].

وفي ضوء قراء نص ابن قتيبة يمكن للمتلقي والقارئ أن يقف على وظائف التكرار في القصص القرآني عامة، وقصص الأمم البائدة وأماكنهم الخاوية خاصة، وذلك من خلال مفردات هذا النص: " وأما تكرار الأنباء والقصص وعظ بعد وعظ، تنبيها لهم من سنة الغفلة، وشحذا لقلوبهم بمتجدد الموعظة....اختبارا لبصائرهم ".

ويمكن إجمال المفردات الواردة في نص ابن قتيبة ذات الصلة المباشرة بقصص الغابرين في: تكرار أنباء القصص –الوعظ، تنبيه عن سنة الغفلة، شحذ القلوب، اختبار البصائر.

فهذه المفردات إذا هي بمثابة المفاتيح النصية التي تسمح للمتلقي والقارئ بالولوج إلى العوالم القصصية للغابرين، وتفتح مغاليق ما استشكل من معاني أخبارهم، لتتضح في خلالها دلالات ووظائف الأسلوب التكراري وإشاراته الوعظية، إلى جانب الكشف والوقوف على جمالياته الفنية والبلاغية في النص القرآني، والتي يؤكدها ابن قتيبة في موضع آخر من كتابه بقوله: " فقد أعلمتك أن القرآن نزل بلسان القوم وعلى مذاهبهم، ومن مذاهبهم التكرار، إرادة التوكيد والإفهام "[2] ويراد به هنا التأكيد للمعنى الذي كرر به اللفظ.

وانطلاقا من هذا، يمكن توضيح التكرار من حيث وظائفه وأنواعه من خلال معرفة:

التكرار القصصي في القرآن بين الوظيفة والفعالية الإخبارية (قصص الغابرين –نموذجا–)

يخضع النسق القصصي في القرآن الكريم للغرض الديني وأول أثر لهذا الخضوع " أن ترد القصة الواحدة مكررة في مواضع شتى، في شكل حلقات، ومعظمة إشارات سريعة لموضع العبرة

[1] – سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار،ص 156.

[2] – تأويل مشكل القرآن، ص 235.

فيها، أما الجسم القصة كله فلا يكرر " [1].

وطبقا لهذا الكلام فليس في القصص القرآني تكرار، وإنما هو تنوع في عرض بعض الحلقات على مراحل وفترات ومناسبات استدعاها الهدف الاعتباري، وذلك بغرض:

1- الإفهام والتأكيد.

2- الإيضاح (زيادة وضوح المعنى).

3- التذكير بالحدث القصصي.

4- التنبيه ولفت الانتباه إلى أهمية الحدث القصصي.

5- تثبيت الخبر في ذهن المتلقي للقصة.

6- تحقيق الغاية الاعتبارية.

7- بيان معنى القصة.

من هنا كان تكرار حلقات القصة الواحدة إطنابا بالإيضاح بعد الإبهام، لتوكيد المعنى، فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفوس السامعين إلى معرفته على سبيل التفصيل والتوضيح [2].

وفي هذا المنحى تدرج وتيسير على المتلقي والقارئ للقصص القرآني أن يتفاعل نفسيا مع جو القصة في كل مرحلة من مراحل العرض والتصوير للمشاهد والمواقف، " إلى ما يرد بعد ذلك، وتتلقاه في شغف وشوق، فإذا حدث ذلك تمكن في الوجدان، وأثر وهيمن على المشاعر وسيطر على الحواس، وتحدث المتعة والفائدة " [3]، وهنا تتجلى الفاعلية الإخبارية لتلقي السمعي للقصص القرآني.

ولمزيد من الوقوف على أهمية وفوائد الأسلوب التكراري وجماليته البلاغية في القصة القرآنية، يستحسن التوقف بتمعن عند كلام السيوطي الذي جاء فيه مجموعة الإشارات الهادفة الموضحة لوظائف التكرار وهي على قدر كبير من الأهمية والفائدة العلمية، وقد أدرجه في باب

[1]- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص 156.

[2]- محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ص 121.

[3]- المرجع نفسه، ص 122.

الإيجاز والإطناب وأنواعه: " يقول (النوع الرابع) التكرير وهو أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة، وله فوائد منها التقرير، وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر[1].

ونظرا لطول النص المخصص للتكرار في القرآن، نجتزئ منه الوظائف التي جاءت التنبيه إليها في كلام السيوطي في شكل نقاط، نذكر منها ماله صلة وثيقة بموضوع دراستنا وهي على النحو الآتي، وبالتالي فتكرار القصص يفيد في بيان الفوائد التالية:

1- تقرير. 2- التأكيد وزيادة التنبيه.3- التهويل.

4- تجديد سماع كل نبأ منها اتعاظا وتنبيها، وأن كلا من تلك الأنباء يستحق الاعتبار يختص به وأن يتنبهوا كي لا يغلبهم السرور والغفلة [2].

5- أن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله، أو إبدال كلمة بأخرى وهذه عادة البلغاء. 6- أن القصة الواحدة لما تكررت كان في ألفاظها في كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير وأتت على أسلوب غير أسلوب آخر فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صورة متباينة النظم وجذب النفوس إلى سماعها لما جبلت عليه من حب التنقل في الأشياء المتجددة واستلذاذها بها.

7- إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة [3]

. وفي ضوء هذه الفوائد وبيان الوظائف التي يؤديها الأسلوب التكراري داخل النسيج القصصي في القرآن، يتضح للمتلقي والقارئ في اجتماعها وتناسقها وتلاحمها، لها وقع وتأثير واضح بموجب التقرير في الذهن وتثبيت الفكرة والتأكيد عليها أكثر من مرة، وميل النفوس إلى تجدد طرق عرض القصة من عدة زوايا في كل مرة ففي هذا جذب سامعين للقصة واستلذاذهم بأخبارها، ووقوعها من قلوبهم وأفكارهم موقعا يدفع لتحقيق هدف الفعالية الإخبارية وصولا إلى مرحلة الاتعاظ والغاية الاعتبارية.

من هنا ورد الأسلوب التكراري في سياق قصص الغابرين ليهدف إلى زيادة تأكيدة وتبصرة

[1]- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، 2008 م، ص 391.

[2]- المصدر نفسه، ص 292.

[3]- المصدر نفسه، ص 292.

الآخرين، "إنما كررت قصص الأنبياء لأن المقصود بها إفادة إهلاك من كذبوا رسلهم، والحاجة داعية إلى ذلك التكرار، فكلما كذبوا نزلت قصة منذرة بحلول العذاب كما حلى على المكذبين[1].

وفي هذا تأكيد على وظيفة الأسلوب التكراري في ذكر أخبار الغابرين والأمم الهالكة تكمن في الإنذار والردع، إلى أن تنتهي إلى نتيجة حاسمة [2].

وهكذا جاء التكرار في سورة القمر، لأنه لم يوضح مجملا و لم يفصل مبهما، بل أدى دوره الأدبي في التأثير الوجداني، فبقيت السورة الكريمة معه مثالا للإيجاز القوي الواضح بألفاظه، الجازم بما يثبت من تقرير وتوكيد[3].

التكرار السردي ودلالته في النص القصصي:

يسهم التكرار في توليد نواحي أخرى وإضافات أخرى للقصة كلما ذكرت اللفظة الواحدة، أو الجملة الواحدة مرة أو عدة مرات، مما يعطي للنص القصصي إيقاعا رائعا ودلالة عميقة، مما يدل على أن التكرار في قصص الغابرين في القرآن الكريم جاء على نوعين: تكرار لفظي، وتكرار تركيبي، ففي مواضع من النص القرآني يصادف المتلقي والقارئ التكرار بنوعيه وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[4]، وفي قوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾[5].

فهذا لتبيان التوحيد باعتباره جوهر العقيدة الإسلامية ومحور الدائرة في مركزية القضية الدينية في حياة الإنسانية، يعطي لوظيفة التكرار حافزا مهما في تبيان صورة الدين الحق، ويزيدها وضوحا في المعنى والمقصد ويعطي للإيقاعية التكرارية بعدا جماليا وبذلك يساهم في خدمة البناء الداخلي للنص، فكلمة ﴿ يَٰقَوۡمِ ﴾أو﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾تضع بين أيدينا مفتاح دلالة النص، وتمثل عنصر ربط وانتباه، وتعمل على تكثيف الدلالات الإيحائية، ويضفي على النص القصصي تمييزا ويكسبه صبغة جمالية،وفي هذا إيثاره واجتذاب المتلقي أو القارئ، ولفت انتباهه وتركيزه باتجاه

[1]- محمود السيد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، ص 128.

[2]- المرجع نفسه، ص 128.

[3]- يمكن للقارئ مراجعة آيات سورة القمر (فهل من مذكر) التي كررت للوقوف على دلالة التكرار وفوائده الأدبية والفنية وتأثيره الوجداني على السامع.

[4]- سورة الأعراف: الآية: 65.

[5]- سورة الأعراف: الآية: 65.

الصورة المستبصرة التي تخلق ما يسمى بالتكثيف الشعوري أو لحظة التواصل شعوريا بين المبدع والقارئ.

ومن هنا عدَ التكرار أبنية منتظمة من القصة والخطاب وهو الذي يشير بجلاء إلى الحركة الدائرية للزمان، كما يدل وقوع العبارة الواحدة ذاتها في مكان آخر داخل النص على الطابع الزمني المحتوم للقص [1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- يوسف ناجي، أبجدية الخروج، قراءة في روايتي مها الفيصل، (سفينة أمير الظلال) و(توبة وسلي)، مجلة فصول، العدد 70، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، 2000م، ص 141.

الفصل الثالث:

تلقي المكان السبئي في مصادر المعرفة

تمهيد

المبحث الأول: تلقي المكان السبئي في المصادر الدينية (نصوص الكتب المقدسة)

المبحث الثاني: تلقي المكان السبئي في المصادر التاريخية (النص السردي التاريخي)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

سبأ الأمة والشعب والحضارة لها وجود تاريخي عريق، أثبتته المصادر المعرفية على اختلاف أزمنتها وأمكنتها، وتحدثت بشأن عظمة المملكة السبئية نصوص تراثية قديمة ومحدثة عربية وغربية وجاءت دراسات وبحوث علمية متنوعة خصت الحضارة والآثار السبئية بكثير من العناية والاهتمام، ونظرا للزخم المعرفي والكم العلمي الوافر بخصوص موضوع دراسة المكان السبئي يتوجب على المتلقي والقارئ لقصة المكان السبئي أن يتوغل برفق وبروية وبتفحص معتمدا على نوعين من التلقي هما: التلقي السمعي الخاصة بالمرويات والسرديات التاريخية والدينية، والتلقي البصري لصورة الآثار والبقايا المكانية القائمة على الأرض اليمنية إلى يوم الناس هذا شاهدة على عظمة ملك سبأ.

وللنظر في موضوع دراسة المكان السبئي وطرق تلقي القارئ له تقسم هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: تلقي المكان السبئي في المصادر الدينية.

والمبحث الثاني: تلقي المكان السبئي في المصادر التاريخية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:

تلقي المكان السبئي في المصادر الدينية

تمهيد

أولا: سبأ في التوراة.

ثانيا: سبأ في الإنجيل.

ثالثا: سبأ في القرآن الكريم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

ورد ذكر سبأ كأمة وكشعب في المصادر الدينية وفي مقدمتها الكتب المقدسة: التوراة والانجيل والقران الكريم[1]، الى جانب ماذكرته الدراسات المستوحاة من تفسير نصوص الكتب المقدسة، والمنبثقة عنها، والتي حظي فيها المكان السبئي بحضور مميز، سواء على مستوى الإشارة الى موطنه الحضاري، أو من حيث بعده الجغرافي الممتد على محور جنوب جزيرة العرب كخط سير للرحلات والتنقلات،أو من جهة أهميته كموقع استراتيجي على طريق القوافل التجارية القادمة او الذاهب من اليمن والشام والعراق ومصر أو العكس، أو على مستوى آخر فيه تركيز على غنى المملكة السبئية الاقتصادي وما تتمتع به من خيرات زراعية، بالإضافة إلى ما عرف عن المنطقة من تفوق في طرازها المعماري حيث تجلت براعة فن هندسة المعابد والقصور والصروح والسدود..الخ.

وتبعا لهذا الذكر والاهتمام المسجلين عن سبأ في المرويات الدينية، فإن المتلقي يتسنى له تتبع قصة المكان السبئي وجمالياته، وذلك من خلال التسلسل التاريخي في رؤية تنطلق من رصد سبأ في الكتب المقدسة على الشكل الآتي:

أولا: سبأ في التوراة:

ذكرت سبأ في التوراة في مواطن عديدة.

1- في سفر الملوك.

2- في نبوءة أرميا.

---

[1]- يخضع هذا الترتيب إلى التسلسل التاريخي لا إلى صحة السند، وذلك بالنظر إلى أسبقية نزول التوراة ثم الإنجيل عن القرآن الكريم، وماورد فيهما من إشارات مقتضبة جدا عن مصير بعض الأمم الغابرة في سياق تذكيري يهدف إلى شد انتباه المتلقي إلى ضرورة الاعتبار بحوادث الماضي ومانزل بساحة السابقين من عذاب نتيجة كفرهم وعنادهم لرسلهم، وهي الرؤية التي جاء القرآن الكريم لتوضيحها وتأكيد أحداثها للناس وذلك بالدعوة إلى السير في الأرض ثم النظر في عاقبة الأولين، فالقرآن هو الكتاب المقدس الأخير نزولا، وفيه تتجلى حكمة الله تعالى في جعله خاتمة الكتب السماوية، ليكون بذلك هو المهيمن على ماسبقه من الكتب المقدسة مصداقا لقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ الآية 48.

3- في نبوءة حزقيال.

4- في سفر أيوب.

ثانيا: سبأ في الإنجيل:

ورد ذكر سبأ مرة واحدة في:

- سفر متَى.

ثالثا: سبأ في القرآن الكريم:

جاء ذكر سبأ مصرحا باسمها في القرآن الكريم في موضعين اثنين هما:

1- سورة سبأ.

2- سورة النمل.

كما ذكر السبئيون ضمن سلسلة قصص الأمم الغابرة التي أهلكها الله وأنزل بساحتها عذابه نتيجة لكفرها وعصيانها لرسله عليهم السلام، في مواضع متفرقة من النص القرآني.

والظاهر أن قراءة متأنية في تتبع ذكر سبأ في المرويات الدينية المقدسة، يكشف عن وجود حقيقي لسبأ باتفاق وبإجماع بين هذه السرديات الدينية، التي تحيل ذهن القارئ إلى ما كان يتمتع به المكان السبئي من نعيم ورخاء مقيم، ويساعد المتلقي على رسم صورة لذلك الترف والخصب والنماء في غابر زمنه.

وإذا رجع المتلقي بقراءة واعية لنصوص الكتب المقدسة لمعرفة سبأ وتشكيل رؤية عن المكان السبئي بجمالياته ومعالمه الحضارية، وما كان يزخر به من خيرات وعطاءات فإن قراءته المكانية ستتمركز في نقاط عبور توحي بخط سير منطلقه المعرفي هو:

أولا: المكان السبئي في النص التوراتي:

ورد ذكر سبأ في أسفار العهد القديم – مالله أعلم بصحته- في مقامات عديدة، بالنظر الى موقعه الجغرافي في بلاد العرب و"بلاد العرب المقصودة في التوراة هي جزيرة العرب، بما فيها اليمن، حيث تذكر سبأ والسبئيون "[1].

[1]- فراح السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدني القديم، دار علاء الدين للنشر، دمشق، ط4،2000 م، ص 294.

كما وردت كلمة "سبأ" و"شبأ" في التوراة، وبأنها كانت تصدر اللبان [1] وأن تجارها كانت لهم مبادلات تجارية مع التجار العبرانيين، انظر في ذلك ما جاء في نبوءة أرميا:" لماذا يأتيني اللبان من شبأ وقصب الذزيرة من أرض بعيدة "[2].

وما جاء في آيات نبوءة حزقيال:" تجار شبأ ورعمه هم تجارك بأفخر كل أنواع الطيب وبكل حجر كريم وبالذهب أقاموا أسواقك، حاران وكنه وعدن، تجار شبا وأشور وكلمد تجارك، هؤلاء تجارك بنفائس أردية أسما نجونية ومطرزة، وأصونة مبرمة معكوفة بحبال مصنوعة من الأرز بين بضائعك "[3].

ولا شك أن القارئ لهذه النصوص يقف على حقيقة ما كان يتمتع به المكان السبئي من خيرات الذهب ونعمة الطيوب والأحجار الكريمة، كما يقف على طبيعة العلاقة التي كانت بين السبئين والعبرانيين والمتمثلة في تلك الصلات التجارية القائمة على تبادل السلع والبضائع على خط القوافل التجارية الرابطة بين اليمن والشام في عهودها الغابرة في القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد.

وطبيعي أن تكون العودة لقراءة النصين السابقين من سفر أرميا وسفر حزقيال عونا للمتلقي على تمثل صورة المكان السبئي وماتعبق به أجواءه بروائح الطيوب الزكية، وما تزخر به أرض سبأ من أحجار كريمة، وذهب خالص، وأقمشة فاخرة....وكلها عطاءات مكانية ورموز للتباهي التجاري في أسواق الشرق في تلك الحقبة الزمنية المزدهرة من تاريخ اليمن القديم.

جاء ذكر سبأ في التوراة مرة أخرى في قصة زيارة بلقيس ملكتها لسليمان في القرن 10 ق م [4]، وذلك في الاصحاح العاشر من الملوك الأول مانصه:" سمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب فأتت لتمتحنه بمسائل، فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جدا، وبجمال حاملة أطيابا وذهبا كثيرا جدا، وحجارة كريمة... فلما رأت ملكة سبأ كل حكمة سليمان...وأعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهب وأطيابا كثيرة جدا وحجارة كريمة، لم يأت بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة الذي

[1]- محمد إبراهيم مرسي، أضواء على ملكة سبأ، حوليات كلية الآداب، القاهرة، حولية رقم 9 عام، 1988 م، ص 15.

[2]- الآية 27 من الإصحاح:6،الكتاب المقدس، العهد القديم، دار الكتاب المقدس، الشرق الأوسط: القاهرة،ط2006،5 م.

[3]- الآيات 22-24 الاصحاح 27.

[4]- ياسين صلاواتي، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط.2001،1م،ص1978.

أعطته ملكة سبأ للملك سليمان...فانصرفت وذهبت إلى أرضها هي وعبيدها "[1].

أما النص المترجم عن الكتاب المقدس العهد القديم إلى القراء باللغة الفرنسية فجاء على الشكل الآتي موافقا تماما للنص المكتوب باللغة العربية، إذ يسرد الحادثة بقوله:

"La reine de saba ayant appris la renommée de salomon au nom de yahwek ,vin pour ……Elle vint à jerusalem avec un équipage trés considérables des chameaux »
« Portant des aromates,de l'or en trés grandes quantités ,et des pièrres priseuses …..elle donna au roi cent vingt talent d'or,une grande quantité d'aromates et des piérres prisieuses,il ne vint plus jamais autant d'aromates que la reine de saba en donna au roi salomon »[2].

وفي ضوء ما جاء به النص المذكور في الكتاب المقدس للعهد القديم، يمكن للمتلقي أن يتواصل بشكل ايجابي مع الإشارات المضيئة والمشكلة للمعلم المكاني في شكل مملكة عظمى على رأس إدارتها ملكة ترحل باحثة عن الحكمة إلى مكان بعيد.

والظاهر أن نص الكتاب المقدس ركز في اصحاحه العاشر على خبر زيارة الملكة السبئية لمملكة سليمان واهتم كثيرا بهذه الحادثة، موجها عنايته لمجيئها محملة بهدايا عظيمة، جلبت خصيصا من عطاءات الأراضي السبئية.

وعلى هذا الأساس فإن المتتبع لخبر هذه الزيارة يلاحظ أنها كانت زيارة مكانية، وأن انتقال ملكة سبأ بكم هائل من الهدايا والعطايا إنما هو من خيرات المكان السبئي في زمن غناه وازدهاره.

وعن فحوى زيارة ملكة سبأ إلى مملكة سليمان تذهب الدراسات التوراتية أن " الهدف من وراء زيارتها إلى سليمان هو البحث عن حكمته....وحينما تأكدت من حكمته وعظمة ملكه...ولتوثيق العلاقات التجارية وتسهيل التعاون التجاري بينهما...ولهذا أتت ملكة سبأ إلى أورشليم بموكب عظيم جدا، وبجمال حاملة أطيابا وذهبا كثيرا جدا، وحجارة كريمة.." [3].

---

[1]- الكتاب المقدس: كتب العهد القديم والعهد الجديد، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، دار النشر، د.ط،1966 م.

[2]- la sainte ،chap+1-10.visite de la reine de saba،la sainte bible ،1ier livre des rois rome ،paris tournal ،societé de saint jean lévangéliste éditeurs pentificaux ،bible 1938.p378.379

[3]- محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط.1،2008م، ص696-697.وصابر طعمة، التاريخ اليهودي العام،دار الجيل، بيروت، ط.2،1991 م.ص231.

والناظر في ما كتب بشأن هذه الزيارة والهدف منها كما أفصحت عنها نصوص التوراة والدراسات المنبثقة منها يفهم أن " من المحتمل أن يكون قد قام بين مملكة إسرائيل ومملكة سبأ المشرفة على سواحل البحر الجنوبية صلات تجارية عن طريق هذا البحر، فكان من بواعث أو ممهدات هذه الزيارة " [1].

وتبعا لما نقلته الأطروحات المتعلقة بالطرح التوراتي، والتي حشرت بواعث الزيارة الملكية بين ملكة سبأ وسليمان في نقطتين هما: الأولى الرغبة في سماع حكمة سليمان، والثانية: هي توثيق الصلات التجارية بين المملكتين، خصوصا عندما أدرك سليمان مبكرا أن مملكته الصغيرة لن تدوم إلا بتدعيم علاقاته الودية مع الدول العظمى التي تحيط به " [2].

ويمكن للمتلقي لنصوص التوراة العهد القديم فهم طبيعة تلك الصلة بين المملكة السبئية ومملكة سليمان حيث يقف بالقراءة المتأنية لنوع التبادل التجاري بينهما حيث " كانت أورشليم تستورد البخور والعاج والذهب والأحجار الكريمة وكانت القوافل القادمة من الجزيرة العربية المحملة بالتوابل من تلك البلاد خاضعة لدفع الرسوم عندما كانت تمر بأراضي مملكة سليمان " [3].

كل هذا كان على مستوى حركة النقل التجاري من طريق البر على خط سير القوافل التي كانت تجوب الصحراء العربية جنوبا، أما على مستوى حركة النقل التجاري من طريق البحر فتقرأ نصا دينيا في الملوك الأول الاصحاح العاشر يوضح نوع السلع المتبادلة في ذلك الزمن جاء فيه: " وكذا سفن حيرام التي حملت ذهبا من أوفير أتت من أوفير بخشب الصندل كثيرا جدا، وحجارة كريمة..... لم يأت ولم ير مثل خشب الصندل ذلك الى هذا اليوم " [4].

وفي ضوء ما سبق ذكره تكشف القراءات المتعددة أن جل الكتابات السردية وفق رؤيتها الدينية للنصوص التوراتية في عهدها القديم، قد تحدثت عن العلاقة بين مملكتي سبأ وأورشليم في عهد سليمان، وأنها وصفت المكان السبئي بالخصب والوفرة والرخاء والعز بإجماع الباحثين في مجال دراسة الحضارات القديمة.

---

[1]- محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط2،1969 م،ص168.

[2]- مصطفى كمال عبد المنعم وسيد فرح راشد، اليهود في العالم القديم، دار القلم، دمشق، ط.1،1995 م، ص.

[3]- مجموعة من الباحثين، موسوعة عالم الأديان، دار النشر والتوزيع، نوبليس، بيروت، ط.2،2005 م،ص107.

[4]- الكتاب المقدس، العهد القديم ص 279 طبعة الشرق الأوسط مصر.

ثانيا: المكان السبئي في نص الإنجيل:

لم يرد ذكر سبأ – كمكان – في الإنجيل في الكتاب المقدس، العهد الجديد صراحة، ولكن قراءة متمعنة مستضيئة بنصوص التاريخ القديم في النص الإنجيلي تضع المتلقي عند خبر الزيارة التي قامت بها ملكة اليمن إلى سليمان خصوصا أن الجميع يعرف بل متأكد أن الملكة العربية الوحيدة التي كانت على رأس المملكة اليمنية هي ملكة سبأ التي جاء ذكرها في القرآن في سورة النمل ليكن النص الديني الذي يعثر عليه القارئ في الإنجيل في ظل هذه المعرفة مفهوما على الشكل الآتي: " ملكة التيمن ستقوم في الدين مع هذا الجيل وتدينه، لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان "[1].

وتبعا لما تضمنه هذا النص يمكن للمتلقي أن يقف على أمور هي:

1-ليس هناك ذكر صريح للمكان باسمه، بمعنى أن سبأ لم تذكر في الإنجيل صراحة.

2-أن ما ذكر هو التيمن- وتعني اليمن – مقرونة بملكتها ولكن دون تصريح باسمها.

3-أن زيارة ملكة التيمن كان هدفها ديني وهو الاستماع إلى حكمة سليمان.

4-أن الملكة اليمنية جاءت قادمة من مكان بعيد غير محدد جغرافيا.

ولا شك أن النصوص الواردة في التوراة والإنجيل تقود المتلقي عبر قراءاته بمرجعتها الدينية والثقافية إلى حقيقة مفادها أن اليهود والنصارى – بشهادة النصوص – كانوا على معرفة بالمكان السبئي وأهله: وعلى علم بالمملكة السبئية العظمى وقوتها وموقعها ضمن دائرة الحضارات الكبرى في التاريخ الإنساني القديم في العصور الغابرة، وأنهم كانوا على صلات تجارية وثيقة.

وعلى أساس هذه المعرفة يمكن أن يسلم المتلقي بتحفظ انه طالما " ليس لدينا معلومات دقيقة عن أكثر القوافل القادمة من سبأ والقوافل القادمة من الشام إلى بلاد اليمن، ولا يوجد أي أدلة سوى ما ذكر بالكتب التوراتية والإنجيل "[2].

---

[1]- إنجيل متّى،الآية:12،الإصحاح 42.

[2]- سالم سمران سالم الضوي العتزي، طرق القوافل وأثارها في شمال جزيرة العرب، خطوات للنشر والتوزيع: دمشق،ط.1،2007 م،ص 57. ونشير في هذا الموضع أن المقصود:"ليس لدينا معلومات دقيقة....."من هذا النص التركيز على القوافل، ولكن القرآن أشار إلى الأسفار بين القرى في سورة سبا في قوله تعالى على لسان أهل سبأ:(قالوا ربنا بعد بين أسفارنا) الآية 16 ومما لا شك فيه أنه كان من دواعي السفر العربي هو سفره وارتحاله للتجارة.

ليتضح في ختام هذه الفكرة في ذهن المتلقي أنه بالرغم من أن نصوص التراث القصصي الغربي بشقيه المسيحي واليهودي ركزت على الشخصية المكانية والمتمثلة في ملكة سبأ وتحديدا زيارتها لسليمان لتسمع حكمته، مع الإشارة إلى عطاءات المكان السبئي وخيراته ونوع تجارته، إلا أن قراءة واعية في المسرودات التوراتية والإنجيلية كفيلة برسم صورة للمكان السبئي بجمالياته وعطاءاته الحضارية في فنون الزراعة والتجارة والعمارة.

قصة المكان السبئي في القرآن الكريم

ورد ذكر سبأ في القرآن الكريم، واصفا قصة المكان السبئي وما يتمتع به ثراء وخصب وأمن وعيش رغيد، كما وصف مملكة سبأ وما كانت عليه من العظمة القوة، وأشار السياق القرآني إلى ملكة سبأ وعن خبر زيارتها إلى نبي الله سليمان عليه السلام، بعد دعوته لهم بالإسلام لله رب العالمين وترك عبادة الأوثان، كل هذا في موضعين هما سورتا النمل وسبأ.[1]

أولا:المكان السبئي في سورة النمل:

جاء وصف وتصوير المكان السبئي في سورة النمل في قوله تعالى ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى

[1] – في ترتيب المصحف الشريف تأتي سورة النمل متقدمة على سورة سبأ، فالأولى أي سورة النمل ترتيبها رقم 27، أما سورة سبا فتأخذ ترتيب رقم 34، وهما سورتان مكيتان.

مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾.[1]

ثانيا: المكان السبئي في سورة سبأ:

خصت سورة سبأ المكان السبئي بالوصف والتعبير عن جمال جنانه وخصب أراضيه ووفرة مياهه وبهاء زروعه وطيب ثماره في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾.[2]

[1]- سورة النمل: الآية من 22 إلى 44.

[2]- سورة سبأ: الآية من 15 إلى 21.

إن الناظر في مجموع الآيات في سورة سبأ التي خصت المكان السبئي بالذكر يلاحظ أن القرآن الكريم ركز على مسكن السبئين ومحل إقامتهم حيث توفر لهم الماء والزرع والأمن الغذائي والأمن على الأموال والأنفس، وبالرغم من هذه العطاءات الإلهية للبيئة المكانية إلا أن أهل المكان من السبئين كفروا وقابلوا ذلك بالجحود والإعراض عن الحق، فما كان جزاؤهم إلا تغيير حالهم من الرغد إلى الجدب، وقد انعكس هذا التحول على المكان السبئي وأفرز انعكاسات سلبية على ساكنيه فعرفوا تمزقا كبيرا وتشتتا رهيبا فاندفعوا إلى هجرة المكان وتركوه خلفهم خاليا موحشا ليقع بمشاهدته العبرة والعظة.

ولكي تتضح هذه العبرة والعظة بالنظر في انهدام المنجز المعماري السبئي المتهاوي في مشهده الجنائزي الحزين، والمسموع من قصته وتحوله من العمارة إلى الخراب، ويفهم المتلقي أبعاد الحدث المكاني بتناقضاته المختلفة، لا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى المصادر التي عنيت بتوضيح مغزاه ومراميه للقارئ بتفسير النص القرآني [1].

المكان السبئي وجمالياته في نصوص التفاسير القرآنية

جاء ذكر سبأ في مصادر التفاسير القرآنية في ضوء المفاهيم والتأويلات التي تضمنتها النصوص التفسيرية بحسب توجهاتها المعرفية، ووفق رؤية أصحابها، وطرق تلقيهم لقصة المكان السبئي في إطاره التاريخي والديني، ومن خلال قراءات متنوعة بمرجعيات ثقافية مختلفة لسياق النص القرآني الذي وردت فيه آيات سورة النمل بتلك المساحة العريضة التي شغلتها قصة سبأ بمجموع آياتها الممتدة من الآية 22 إلى الآية 44، ثم سورة سبأ بمجموع آياتها المحصورة بين الآية 15 إلى الآية 21.

ولا شك أن المساحة التي أفردها السياق القرآني لقصة المكان السبئي بجمالياته وعطاءاته تمنح لمتلقيها فرصة التأمل والتدبر في سنن الله في حركة المجتمعات والأمم في نهضتها وتطورها،وفي قيامها وسقوطها.

[1] – في هذه الدراسة كان التركيز على المكان السبئي، من حيث رصد المعالم العمرانية التي تشكل وحدات المكان، ثم علاقة ذلك بسلوك شخصياته المكانية، وذلك على اعتبار أن هذه الدراسة دراسة مكانية ينظر فيها المتلقي للمكان من زواية كونه عنصرا أساسيا في بنية السرد القصصي لقصة سبأ في القرآن الكريم، وانطلاقا من هذا الطرح فإننا سنرصد المكان بجمالياته من مصادر التفاسير القرآنية وما جاء فيها من وصف وتعبير عن المكان السبئي تحديدا.

كما تمنح ذهن القارئ وتساعده على رسم المعالم المشكلة للمكان السبئي بأبعاده الأساسية والتي تؤثث بوحداتها المكانية عوالم قصة سبأ بمملكتها العظمى وجناتها الوافرة، وأراضيها الخصبة ذات البهجة والترف والغنى في تلك الحقبة الزمنية في عصورها الغابرة.

والتي ازدادت توضيحا في ظل البيان القرآني وروعته ودقته في اصطفاء وتوظيف لمفردات تحمل في طياتها معاني ودلالات مكانية لقصة المكان السبئي، كالعرش والصرح، والسد، وهي مفردات لها وقعها اللغوي الموحي في ذهن المتلقي المفسر، وفتح الباب واسعا على شروحات وتفسيرات لمعاني قصة سبأ، وما يتعلق بالمملكة السبئية الممتدة على " المحور الجنوبي في خريطة جغرافية القصص القرآني" [1].

وبناء لما سبق توضيحه يتقدم نص التفسير القرآني في رسم صورة المكان السبئي مترسما آثار البيان القرآني في رصد المعالم المكانية لقصة سبأ وذلك بتتبع مفرداتها المشحونة بدلالات مكانية:

المفردات المكانية في قصة المكان السبئي في ضوء آيات سورتي النمل وسبا

حملت نصوص التفاسير القرآنية لقصة المكان السبئي حين يتم تلقيها للمشهد البصري لصورة المكان دلالات معبرة عن وحدات مكانية شكلت مجتمعة مع بعضها جمالية المكان السبئي، والتي اعتبرها المفسرون إشارات مضيئة لفهم المقصد من إبراز عظمة المكان في سياق قصة سبأ في القرآن حين يتأتى للقارئ فهمها وتذوقها وإدراك معانيها من خلال تفسير سورتي النمل وسبأ وماجاء فيهما: في قوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [2].

جاء في تفسير القاسمي لهذه الآيات من سورة النمل ما نصه: " ولها عرش عظيم: أي سرير تجلس عليه، هائل مزخرف بأنواع الجواهر." [3].

والعرش العظيم معناه سرير عظيم " ووصفه بالعظم، لأنه كما قيل كان من ذهب طوله ثمانون ذراعا، وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه في السماء ثلاثون ذراعا مكلل بالدر والياقوت

[1]- عبد الحافظ عبدربه، بحوث في قصص القرآن، ص 283.

[2]- سورة النمل: الآية من 22 إلى 23.

[3]- القاسمي، ري الغليل من مجالس التأويل،ص 379.

الأحمر والزبرجد الأخضر"[1].

وقراءة لهذا النص التفسيري تضع القارئ أمام جانب من جوانب المكان وهو العرش وفي هذا دلالة على عظمة الملك السبئي، هذه العظمة التي أكدها القاسمي في تفسيره، وشاطره الرأي فيها الشوكاني الذي يلاحظ المتلقي لنصه حين تحدث عن جانب العظمة في عرش سبأ باعتباره أحد الجوانب المعمارية الرائعة المشكلة لجماليات المكان في حضارة سبأ لو لم يشب وصفه كثير من المبالغات التي أخرجته حد الاعتدال، وعلى النهج نفسه درج النسفي في وصفه للمكان السبئي بقوله: " ولها عرش عظيم، سرير عظيم في ضوء فهمه لكلمة العرش الواردة في آية سورة النمل (عظيم) كبير قيل كان ثمانون ذراعا في ثمانين ذراعا، وطوله في الهواء ثمانون ذراعا وكان ذهبا وفضة، وكان مرصعا بأنواع الجواهر، وقوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودروزمرد" [2].

والنص بهذا الوصف يكشف أنَ العرش المرصع بأنواع الجواهر كان آيه في الجمال والروعة والبهاء، ودلالة واضحة على عظمة المكان السبئي في زمانه.

فرغم ماجاء في النصين التفسيريين السابقين للشوكاني والنسفي من مبالغتهما في تصوير وحدات المكان الأساسية المشكلة للمملكة السبئية إلى أنه بدون شك قد كشفا عن جانب مهم من الحضارة المكانية للسبئيين.

هذه العظمة المكانية في قصة سبأ لم تتجل فقط في قراءات المفسرين القدامى، وإنما أكدها المفسرون المعاصرون، فهذا المراغي في تفسيره لقصة سبأ في سورة النمل يصف العرش السبئي بقوله " إن لها سريرا عظيما كانت تجلس عليه مرصعا بالذهب وأنواع اللآلىء، والجواهر في قصر كبير رفيع الشأن" [3].

وفي هذا " أكبر دلالة على عظمة الملك وسعة رقعته ورفعة شأنه بين الممالك "[4].

وإلى هذا الإقرار التاريخي يتلقى القارئ للمكان ما ذهب إليه ابن باديس في تفسيره للعرش

---

[1]- محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير، ص 1076.

[2]- عبدالله بن أحمد النسفي، مدراك التنزيل وحقائق التأويل،ج2،ص 304.

[3]- أحمد مصطفى المراغي،تفسير المراغي، دار الفكر، بيروت،ط.3،1974 م، ج 8، ص 132.

[4]- تفسير المراغي، المصدر نفسها،ج8،ص 132.

حيث قال: " أن عظمة العرش عنوان على عظمة الملك "[1].

وهي الحقيقة عينها التي ذهب إلى إثباتها للمكان السبئي سيد قطب في تفسيره لكلمة العرش الواردة في قصة سبأ في آية سورة النمل بقوله:" ولها عرش عظيم، أي سرير ملك فخم ضخم "[2] ولا شك أن في هذا الوصف ما "يدل على الغنى والترف وارتقاء الصناعة "[3].

وإذا عاد المتلقي لقراءة النص القرآني في ضوء المفاهيم التفسيرية فتقع عينه وسمعه على ألفاظ أخرى في دلالتها صفات مكانية وتفصح بذاتها عن معان تدل على عظمة الملك السبئي، وهي الألفاظ التي ركز عن مدلولاتها اللغوية والمعجمية المفسرون في فهم معنى الآية الوارد في سياق القصص القرآني.

ويمكن للمتلقي لقصة المكان السبئي سمعا ومشاهدة أن يقف عند إيحاءاتها في تصوير عظمة المكان، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[4].

أوتيت من كل شيء: كل شيء: لفظ عام أريد به كل ما تحتاج إليه من أشياء الملك والسلطان والقوة والعمران"[5].

كني به في مقام قصة سبأ ضمنيا والمعنى: "كناية عن عظمة المملكة السبئية وثرائها،وتوافر أسباب الحضارة والقوة والمتاع"[6].

وعلى هذا الأساس وصف المكان السبئي في النص القرآني في سياقه القصصي بأنه كان على قدر "من الثراء وأبهة الملك، وما يلزم ذلك من عتاد الحرب والسلاح وآلات الحرب والقتال الشيء الكثير الذي لا يوجد إلا في الممالك العظمى"[7].

---

[1]- عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير في كلام الحكيم الخبير، إخراج أبو عبد الرحمان محمود، دار الرشد للكتاب والقران الكريم، الجزائر، ط،1، 2009 م،ج2،ص238.

[2]- في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط،م5،ج 12،ص 2638.

[3]- المصدر نفسه، ص 2638.

[4]- الآية 23 من سورة النمل.

[5]- عبد الحميد بن باديس، المصدر نفسه، ج2،ص 237.

[6]- سيد قطب، المصدر السابق.

[7]- تفسير المراغي، م 8، ج 19، ص 132.

وعودة أخرى للنص القرآني في حديثه عن قصة المكان السبئي بمعالمه البارزة والمشكلة لجمالية المكان فيه كما صورتها سورة النمل في مجموع آياتها الكريمة، وعلى الوجه الذي ارتآه المفسرون لمدلول مفرداتها المكانية بعد العرش هي السد، والذي يقول في وصفه صاحب التفسير الكبير: " وكان من أمر السد أن الماء كان يأتيهم من بين جبلين وتجتمع إليه سيول أمطارهم، وأوديتهم فعمد ملوكهم الأقاوم فبنوا بينهما سدا عظيما محكما حتى ارتفع الماء وحكم على حافات ذنيك الجبلين.....وكان هذا السد بمأرب "[1].

فسد مأرب طبقا لما جاء في تفسير نصوص القرآن هو المعلم المكاني الهام الذي قامت عليه الحضارة الزراعية في دولة سبأ العظمى، وهو الوحدة المكانية التي تجلت فيها بحق براعة الهندسة وروعة البناء العمراني السبئي في عصوره المزدهرة.

قراءة في الجهود التفسيرية لآيات المكان السبئي في القرآن:

إن تلقي النصوص المتعلقة بقصة المكان السبئي في ضوء فهم المفسرين لمعنى آيات سورتي النمل وسبأ، يسجل القارئ في اثر فهمها ملاحظة هامه مفادها: أن جهود المفسرين للمكان السبئي كانت منصبة على فهم النص القرآني في سياقه الإجمالي للسرد، وما يتعلق بموضوعاته بعيدا عن النظر أو التركيز على المكان السبئي كبيئة جغرافية حاضنة للحدث الإنساني، ولا بالنظر إلى المكان باعتبار وحداته المكانية الأساسية المشكلة لمعالم الجمال فيه ومن هذا المنظور بدت تلك الجهود التفسيرية لمعنى آيات القرآن المتعلقة بقصة المكان السبئي عارضة في جل التفاسير وغير مقصودة لذاتها بالدراسة، بقدر ما كان الحديث عنها يندرج ضمن التفسير العام والشرح الموجه لمعنى الآيات الخاصة بقصة سبأ.

وعلى كل وحتى وإن كان المكان كعنصرا أساسيا في حياة الإنسان لم يلق ذلك الرواج المطلوب في كتابات المفسرين إلى أن بإمكان القارئ أن يستفيد من تلك الجهود التفسيرية لقصة المكان السبئي، باستثمار مفاهيم الوحدات المكانية الواردة في القصة: كالعرش، والصرح، والسد،.....الخ. لأنها مؤشرات مكانية هامه ومساعدة على رسم معالم حضارة المكان السبئي وما حباه الله به من خيرات وعطاءات تستحق الشكر كما تستحق الدراسة.

[1]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص 2361.

تلقي المكان السبئي في دراسات القصص القرآني

وردت قصة سبأ ضمن منظومة القصص القرآني في سياق تذكيري يرمز إلى الاعتبار بعاقبة الأمم الغابرة.

ووفقا لهذا الهدف جاءت الدراسات والأبحاث في مجال القصص القرآني والمنبثقة عنه مركزة على جانب العبرة من إيراد قصص الأمم السابقة وبيان مآلها، وما حل بساحتها من عذاب نتيجة لكفرها وطغيانها، وإعراضها عن الدين القويم الذي جاء به الرسل والأنبياء من عند ربهم.

وتبعا لهذا التصور سجلت قصة سبأ حضورا مميزا في منظومة القصص القرآني بدليل وجود سورة بأكملها تحمل اسم "سبأ"، كما كان لها حضور مميز آخر وبشكل مكثف في سورة النمل.

ويمكن فهم هذا الحضور القصصي في السياق القرآني من خلال التركيز على ملامح المكان السبئي لكونه كان حقيقة معاشة، ترمز إلى "جدلية الارتباط بين الذات والمكان"[1] من جهة ولكونه يقف شاهدا على تفاعل هذه الذات مع وسطها المكاني في حالة اتصال ايجابي مع منظومة القيم الدينية والأخلاقية، أو في حالة انفصال سلبي لا فعال عنها، وفي كلا الحالتين فالبيئة مؤثرة في ارتباطها بالمكان بشكل أو بآخر.

هذا الارتباط الوثيق بين المكان السبئي وشخصياته السبئية رصدته كتب القصص القرآني من خلال وصف المعالم البارزة والمشكلة للواجهة المكانية.

وضمن هذه المعطيات تلقى دارسوا القصص القرآني المكان السبئي وما تميز به من جمال وفن لعمارته وعمرانه، وما عرف عن نشاط وهمة سكانه في تلك العصور الغابرة، ثم علاقتهم بالدين وبالملك.

فهذا صاحب كتاب قصص الأنبياء يصف المملكة السبئية وعظمتها عرشها بكونه:" كان مزخرفا بأنواع الجواهر واللآلىء، والذهب والحلي الباهر" [2]، هذا الوصف الرائع لعظمة المملكة السبئية وما تتمتع به من رفاه وغنى كما تحدث عنه ابن كثير يؤكد حقيقته صاحب مؤلف "قصص الأنبياء" بقوله: (كان في بلاد سبأ من بلاد اليمن ملك عظيم، وملكة تملك على تلك

[1] – محمد عبيد صالح المسهاني، المكان في الشعر الأندلسي،دار الآفاق العربية، القاهرة،ط،1،2007 م،ص 21.

[2] – ابن كثير، قصص الأنبياء، مراجعة وتحقيق، عبد القادر يعرب، دار الكتاب الحديث: القاهرة،د،ط،د،ت،ص 383.

الأمة...وأن لملكتهم عرشا عظيما فيه أنواع الزينة والجواهر " [1].

والظاهر أن الذين اشتغلوا بدراسة القصص القرآني يتفقون جميعا على أن ما يميز حضارة المكان السبئي هي المملكة العظمى، وأن ما يميز المملكة هو عرش ملكتها بلقيس الذي كان تحفة زمانه، فقد بلغ من كلف الدارسين لقصة سبأ في وصفهم لعرش المملكة أنه " كان قاعدة من الفضة المطعمة بالذهب، وكان كرسيا من الذهب المطعم بالفضة، وكان حائطا عليه رسم الشمس، صنع كله من الذهب والفضة، كان الغطاء النقدي من الذهب والفضة لمملكة سبأ موضوعا كله في العرش" [2].

هذا العرش الذي كثر الحديث حوله، وتعددت أوصافه عند أكثر من دارس جعل ابن جرير الطبري يقر بعظمته وانبهاره في ما نصه: " سرير ملكها الذي كانت تجلس عليه وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ " [3] وتعليقا على هذا النص والنص السابقة له يكشف بدون شك عن جانب المعلم المعماري الهائل الذي شكل واجهة المكان السبئي، فذكر العرش بهذا الوصف دليل على عظمة الملك السبئي في ذلك الزمن الغابر وإذا أفدنا من نص الطبري في تلقيه بصريا لجماليات المكان السبئي من خلال معلمه البارز وهو العرش، فإننا نصادف نصوصا أخرى تكشف عن ما بداخل القصر الملكي في قول صاحب قصص الأنبياء والمرسلين: " وكان في قصر بلقيس كوة أو طاقة تدخل منها الشمس وهي مبنية بشكل هندسي بحيث تدخل منها الشمس كل يوم بعد شروقها، فتتنبه بلقيس وتستقبلها بالسجود " [4].

فمن خلال النص يتضح للمتلقي أن مصادر القصص القرآني استطاعت أن ترسم معطيات البيئة المكانية لسبأ والسبئيين.

---

[1]- عبد الوهاب النجار، مكتبة رحاب: الجزائر،ط.1987،2 م،ص 333.

[2]- أحمد بهجت،قصص الحيوان في القرآن،دار الشروق، بيروت،ط.1995،3 م،ص 134.

[3]- قصص الأنبياء، تحقيق: جمال بدران، الدار المصرية اللبنانية،ط.1994،1 م، ص 370.

[4]- محمد متولي الشعراوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د،ط،د،ت،ص 459.

المبحث الثاني:

المكان السبئي في المصادر التاريخية.

(التلقي البصري لسبأ في السرديات التاريخية).

أولا: المكان السبئي في النصوص التاريخية.

ثانيا: قراءة في حضارية المكان السبئي في المرويات التاريخية.

ثالثا: التلقي البصري لصورة المنجز المعماري السبئي – قراءة في معمارية المكان-.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التلقي البصري لسبأ في السرديات التاريخية

توافرت لدولة سبأ بين المؤرخين القدامى والمحدثين شهرة كبيرة، فقد تحدثت عنها المصادر التاريخية – أكثر من غيرها من دول العربية الجنوبية –، مشيدة بعظمة المملكة السبئية وقوتها، وتواجدها ضمن كبرى الحضارات القديمة، ومشيرة إلى النفوذ السبئي الواسع، وتأثيره في اقتصاديات الشرق حيث " كان السبئيون القدامى يتحكمون في الدرب التجاري الهام الذي لعب دورا من أكبر الأدوار في تاريخ العالم القديم " [1].

لهذا اهتمت المصادر التاريخية بالتاريخ السبئي، وسلطت الأضواء على الحضارة السبئية، وما كان يتمتع به المكان السبئي من ثراء ورخاء اقتصادي، وما كانت تدره التجارة التي كانوا يسيطرون عليها من أموال.

وإلى حقيقة نفسها أشارت المصادر والنصوص الأثرية والنقوش العربية والغربية مركزة على المنجز المعماري السبئي من خلال الحفريات والرسوم والبقايا التي كشفت عن تطور السبئيين في فن بناء وتشييد معابد والقصور للآلهة والحصون والصروح، والأبراج، والسدود، والمقابر التي تعد بحق تحفة زمانهم، في فن العمارة وهندسة البناء.

والتي لازالت تقاوم الزمن شاهدة على التاريخي السبئي، ببقاء بعض " معابدها ومنشآتها الكبرى ظاهرة فوق سطح الأرض خلال العصور الإسلامية نفسها وحتى الآن " [2].

وتبعا لهذا فقد وصف المكان السبئي في نصوص الرحالة بأنه كان أكثر الأماكن العربية تحضرا وذلك لجمال منظره وغناه كما وصفت النصوص الرحلية السبئيين بأنهم " كانوا محاربين وزراع وتجار يسافرون على وجوه البحار في السفن أو الزوارق " [3].

1–أولا: المكان السبئي في النصوص التاريخية

ذكرت النصوص التاريخية سبأ " كشعب كون له مملكة وكان له حكامه ونظامه السياسي والإداري والاقتصادي، وعلاقته الخارجية " [4].

---

[1]– محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية،د.ط،1995 م،ص 339.

[2]– عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، د،ط،1992 م،ص 44.

[3]– السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،د،ط،1971 م،ص 33.

[4]– أحمد أمين سليم، جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية:الإسكندرية،ص 119.

ووصف السبئيون بأنهم كانوا متفوقين على جميع العرب المجاورين، وغيرهم من الشعوب بثرواتهم وبذخهم بنوع خاص.

كما وصفت المصادر التاريخية أن السبئيين جمعوا ثروات هائلة من التجارة في الطيوب وقد انعكس ذلك في صناعاتهم وفنونهم كما انعكس في حياتهم الاجتماعية والتحف الرائعة التي تزخر بها قصورهم "[1].

وقد أكدوا على حقيقة البيئة الحضارية للمكان السبئي في تاريخ العرب القديم على شكل ممالك زاهرة جملة من النصوص التاريخية السردية منها والوصفية التي أجمعت على أن المملكة السبئية كانت مزدهرة بسبب وجودها ضمن نطاق بلاد العرب الميمونة، والتي سماها العرب " الخضراء " لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها المختلفة، كما عرفها اليونان والرومان بنفس الاسم فسموها بلاد العرب السعيدة "Arabia Felix" [2].

ويعزى رقي تلك الربوع السعيدة إلى عوامل عديدة منها نصيبها الوافر من الأمطار، وقربها من البحر ومركزها الجغرافي الخطير على خط الاتصال بالهند [3].

ليغدو المكان السبئي في إثر هذا الرقي في غاية من النضارة والاخضرار والخصب بوجود " جنتين عن يمين مساكنهم وشمالها ملتفتين بأنواع الشجر، وهي من أطيب أرض الله وأزكاها " [4].

وتزداد نضارة وروعة المكان السبئي وتنوع خيراته وعطاءاته في ظل التلقي السمعي للنص التاريخي لصاحب التاريخ العرب المطول حين روى عن بلينوس الذي روى بدوره سماعا عن المؤرخ القديم ايلبوس غالوس قوله:" فاقت "سبأي" الجميع ثروة بما يتوافر في أرضها من أدغال ذات عطور ومناجم ذهب ومياه للري وهي تنتج العسل والشمع بكثرة.....إنها أغنى بلدان الأرض قاطبة " [5].

---

[1]- فيليب حتى وآخرون، تاريخ العرب المطول، دار الكشاف للنشر والطباعة والنشر والتوزيع، مصر،ط4،1965 م،ج1 ص 63.

[2]- عبد اللطيف عبد الهادي السيد، جزيرة العرب قبل الإسلام، عصر الجاهلية، المكتب الجامعي الحديث:الإسكندرية 3،د،ط،2008 م، ص 20.

[3]- فيليب حتى وآخرون، تاريخ العرب المطول،،ج1،ص 61.

[4]- البلخي، البدء والتاريخ،ج3،ص 132.

[5]- فيليب حتى وآخرون، ج1،ص 61.

ولاشك أن هذا الرقي والثراء والخصب قد أثر على أهل المملكة السبئية وظهرت آثاره حيث غدت سبأي من " أشهر قبائل الجزيرة لغناهم باللبان" [1].

ونتيجة لهذه الشهرة والغنى اضطر السبئيون إلى الاتجار بهذه المواد في الأسواق العالمية " فأسست القبائل العربية قوانين السير أو المرافق أو رفيق الحملة ولأدائهم دور في الأسفار، ووضعوا العلامات على الطرق والعلامات الدالة على الموارد والغيران " [2].

ثانيا: قراءة في حضارية المكان السبئي في المرويات التاريخية

كشفت سرديات التاريخ الحضاري للمكان السبئي عن ما كان يزخر به من الخصب والعمارة، وصفاء الفضاء، وتدفق المياه، وكثرة الشوكة، وعظم المملكة، إلى جانب حسن السياسة والتنظيم العسكري الإداري المحكم، والذي عكس بحق درجة التطور والرقى للمكان في سالف دهره، ذلك أنه تكامل لهذه البيئة الجغرافية طراز من الحياة مكن أصحابه من بناء أقدم الحضارات التي عرفها العالم القديم، وتزويدها بأسباب البقاء والازدهار، ولتتبع الجوانب المتنوعة لتلك الحضارة السامقة في التاريخ السبئي القديم، مما أهلها لاحتلال مكان الصدارة في موكب الحضارات العربية الأولى، والوقوف على خلفيات تلك الصدارة الحضارية وهي تتراء للمتلقي سمعا وبصرا صورة المكان السبئي وهو يرفل في ذلك النعيم الإلهي والعطاء الرباني الواسع، لابد من النظر في جوانبها الآتية الذكر:

1- الزراعة السبئية للمكان في النص الإخباري:

ذكر أصحاب التاريخ القديم أن المكان السبئي عرف في عهده الذهبي الخصب والنمو، وكثرة الجنان، وتنوع المحاصيل، والتي تتجلى بصورة أوضح في وصف سبأ عند صاحب مروج الذهب بقوله:" إن أرض سبأ كانت من أخصب أرض اليمن، وأثراها، وأغدقها، وأكثرها جنانا وغيطانا، وأفسحها مروجا مع بنيان حسن، وشجر مصفوف، ومساكب للماء متكاثفة، وأنهار وأزهار متفرقة "[3].

---

[1]- المصدر نفسه، ص 59.

[2]- سالم بن سالم الضوي العتزي، طرق القوافل وآثارها في شمال جزيرة العرب، ص67.

[3]- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، محمد محي الدين عبد الجميد، المكتبة التجارية الكبرى: مصدر،ط.3،1958م،ج2، ص 180.

هذا الوصف الذي جاء في كتاب المسعودي للمكان السبئي وماحباه الله من الجنان والمياه والثمار والوجه الحسن، هو الوصف التاريخي الذي أقره صاحب تاج العروس حيث خص البيئة المكانية السبئية بقوله: " كانت أخصب بلاد الله.....يسير الماشي في الجنان من أولها إلى آخرها لا يفارقه الظل مع تدفق الماء وصفاء الأنهار، واتساع الفضاء " [1].

إنه التلقي السمعي لصورة المكان السبئي بجماله وجنانه الذي انبهر به الرحالة حين وقعت عليه أعينهم فكتبوا مأخوذين بتلك المشاهد الحية حين انطبعت ذاكرتهم، حيث يظل " الاعتزاز بالمشاهدة هو نواة وعي الكائن الإنساني وهو في حالة تأمل " [2]، وذلك باستغلال المكان بوصفه نقطة أو علامة إشارية في عملية الاسترجاع ".

إنها الذاكرة البصرية التي تعتمد في استرجاع صورة المكان السبئي على حاسة البصر بوصفها وسيلة من وسائل التوصيل للمادة المراد تخزينها في الذاكرة " [3].

هذه الذاكرة التي حفظت صورة المكان السبئي بجماله وروعته هي التي تلقاها صاحب كتاب بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى قراءته لحكاية عن بلينوس الذي نقل أخبار حملة الرومنية الفاشلة ضد اليمن في 24 ق م.فقال عن سبأ: " إنها بلاد ثروة ورخاء عجبين، وإنها موطن اللبان والطبوب، وإن أهلها يحبون الحرية ويتمتعون بها كل تمتع " [4].

فالمكان السبئي طبقا لهذا الوصف البصري التاريخي يبدو وهو على هذه الحال منتعشا، فياضا بحاصلاته الزراعية، منفتحا على عطاءات أرضية كبرى أغرت المؤرخ اليوناني هيرودتس بالكتابة عنه مولعا بما شاهده مندهشا لما رآه، تحت تأثير الصورة التي تمثل الأشياء، أوتروي عن حضارة بل " تحضرها إلى ساحة أبصارنا لتكون صورة المكان حاضرة.....لا على أنها إنسان يروي

[1]- محمد مرتض الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، مراجعة: لجنة فنية من وزراء الإرشاد والأنباء، مطبعة حكومة الكويت، د.ط، 1965 م،ج1،ص 263.

[2]- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط،5،2000 م،ص 175.

[3]- شايف عكاشة، الإعجاز والغيب في ضوء المنهج الذاكرتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،د،ط،199 م، ص 18.

[4]- عدنان ترسيسي، دار الفكر المعاصر، بيروت،ط.2، 1990 م،ص 15.

حكاية مكان،" بل أنها فرد حاضر أثناء قراءتنا " [1].

وهي قراءة بصرية للمكان السبئي نقلتها المرويات التاريخية في قوله عن سبأ:" تخرج من كامل البلاد روائح عطور البخور المنعش والمريح للنفوس " [2].

وفي ضوء هذا الوصف الذي خصت به سبأ تتجلى للمتلقي صورة المكان السبئي، وقد اغترس أهله الحدائق والبساتين وتنوعت منتجاتهم النباتية بين ما هو مخصص للأكل، وما هو مصنف للتداوي، وما هو وقف على الزينة وتجميل المحيط وتزيين القصور والمنازل.

إنه الطراز الحياتي القائم في أصله على زراعة الأرض والتي مكنت السبئين من أن يكونوا في أهنأ عيشا وأرغد حياة.

ولا شك أنه كان لهذا النمط المعيشي للسبئيين أثره المرتبط بجغرافية منطقة سبأ وبالمناخ فقد كانت " تهب على المكان رياح التيمن التي تتحرك في الصيف محملة بالسحب الآتية من المحيط وتسقط مطرا غزيرا فوق الهضبة اليمنية فتروى الأرض ويخصب الزرع " [3].

وعند إخصاب الزرع بالمكان، تثمر الأراضي السبئية، وتتنوع محاصيلها من بخور وعطور وطبوب وتوابل، فيكثر في العطاء الرباني منتوجها الفلاحي، فيتعدى مرحلة الاكتفاء الذاتي إلى مرحلة التصدير لتصبح "سبأي" بما لها إثر ذلك من نصيب في تجارة الطيوب أغنى القبائل عامة"[4].

وإلى جانب شهرة سبأ بإنتاج التوابل والطيوب والبخور واللادن والقرفة، فقد اشتهرت بوفرة المعادن الثمينة ومنها: الذهب والفضة والأحجار الكريمة، وهذا بشهادة المرويات التاريخية وماحكت عنه التوراة على لسان النبي حزقيال مخاطبا صور "تجار شبا متجرون معك بأفضل كل طيب وبكل حجر كريم وبالذهب أقاموا أسواقك" [5].

---

[1]- جهاد عطا نعيسة، الرواية والسرود السمعية والبصرية: الرواية والسينما، مسارات مقارنة، ندوة الرواية العربية، ممكنان مهرجان القرين الثقافي، الحادي عشر،الكويت،2004 م،ص215.

[2]- عدنان الترسيسي، المرجع نفسه، ص 15.

[3]- علي عبد المعطي، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، ص 39.

[4]- فليب حتى وآخرون، تاريخ العرب، المطول،ج 1، ص 61.

[5]- راجع النص في سفر حزقيال في كتاب العهد القديم المثبت في مبحث الأول من هذا الفصل.

2- التجارة السبئية للمكان في الدراسات التاريخية

أظهرت سرديات النصوص التاريخية القديمة منها والحديثة جانبا مهما من الحياة السبئية في الأزمنة الغابرة، فقد سيطر السبئيون على الخطوط التجارية سيطرة واضحة، باحتكارهم تجارة الطبوب والبخور والتوابل لمئات السنين، خاصة أهل مأرب الذين كانوا " يشتغلون " بتجارة البخور المحلي والمستورد من أثيوبيا على قوارب جلدية، وتميزت مأرب بكونها عاصمة الدولة السبئية فقد كانت سوقا محليا مزدهرا، ومركزا تجاريا رئيسا تتجمع فيه منتجات المناطق الزراعية والصناعية ويعاد تصديرها إلى الخارج" [1].

كما أظهرت الدراسات التاريخية القديمة والمعاصرة أهمية الجانب التجاري للمكان السبئي وأهله، وصلاتهم التجارية بغيرهم من تجار الأمم المجاورة، وفي هذا دلالة واضحة أن السبئين ضربوا بسهم وافر في ميدان الاتجار، وأنه كان لمخازنهم أهمية كبرى.

إذ كانت سبأ واسطة بين قدماء الأوربيين وبقاع الشرق القاصية، ولم يقتصر أهلها على منتجات بلادهم، بل كانت تشمل السلع التي كانوا يجلبونها من إفريقيا والهند كالعاج والعطور والأفاوية، والحجارة الكريمة والتبر...الخ.

وتبعا لحركة هذا النشاط التجاري وحيويته " حققت مأرب شهرة عالمية وثراء واسعا انعكس على عمارتها حتى أصبحت تضاهي المدن الكبرى، حينذاك"[2].

وعلى هذا الأساس سعت السرديات التاريخية للكشف عن الحضارة السبئية، فوقفت على نوع العلاقات التجارية التي كانت بين السبئيين وغيرهم لمئات السنين، وهي تصف وتصور المكان السبئي النضر الذي اغتنى بالتجارة وألف أطيب النفائس، حينها أدركت سر إجماع كتاب اليونان واللاتين والعرب على امتداح الحضارة السبئية وربوعها المزدهرة لفترة طويلة.

ورغم انتقال العاصمة إلى مناطق أخرى "بقيت لبلاد سبأ أهميتها كمركز ثقافي وتجاري هام في جزيرة العرب"[3].

---

[1]- علي محمد معطي، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، ص 197.

[2]- علي محمد معطي المرجع نفسه، ص 197.

[3]- ياسين صلاواتي، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط.1، 2001 م، ج5، ص 1978.

ولا شك في أن مركزها التجاري الهام قد خول أن يكون"أهلها في نعمة ورخاء وسرور وهناء"[1].

3-العمارة السبئية للمكان

شهد المكان السبئي في سالف عصره تطورا في فن العمارة وأساليب البناء والتعمير، وهندسة المنشآت المعمارية الكبرى: كالصروح والبروج والسدود والقنوات، والمقابر والمنازل وغيرها من المعالم المكانية البارزة في التراث العمراني للمكان السبئي.

هذا المكان الذي تجلى فيه تاريخ العمارة السبئية بكل تنوعاتها وتشكيلاتها، يمثل للناظر " الصورة المرئية بوصفها تخلقا بصريا وكيانا حسيا مسكونا بالقيم الشكلية الظاهرة"[2] ويعكس روعة البناء ومدى التكامل المعماري للمنجز المكاني، وهنا تكمن " روعة الربط للقصة التاريخية – سبأ- ذات الحكمة والفائدة لمن يقرؤها وإشارات الآيات إلى تطور العلوم الهندسية والمعمارية لهؤلاء القوم"[3].

هذه الإشارات يمكن أن يفهم المتلقي دلالتها من خلال الطابع المعين للعمارة بأنه ناتج عن ثقافة واعية، وأنه "إذا كان هناك انحلال في العمارة والعمران فهي نتيجة للتخلف الثقافي والحضاري وليس للتخلف المادي"[4].

ولتعرف على نمط العمراني للعمارة السبئية، وذلك بمسح حقلي بصري للخصائص المظهرية لعمارة المكان السبئي المجسدة في قصورها الشامخة، وصروحها العالية، وسدودها المتينة، وحصونها المنيعة والتي عكست حياة المجتمع السبئي على مدى عصوره القديمة.

وذلك من خلال قراءة ما جاءت به النصوص والحفريات ونتائج التنقيبات الأثرية التي تعرفها بلاد سبأ على فترات، وما جاء في ذكرها في المدونات التاريخية، والسرديات العربية القديمة والمعاصرة حول المنجز المعماري السبئي المتميز بأساليبه الفنية الأصيلة.

---

[1]- المؤسسة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط.2، 1999 م،ج 12، ص 97.

[2]- شرف الدين ماجد ولين، حكايات صور، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط.1، 2009 م، ص 152.

[3]- خالد فائق العبيدي، المنظار الهندسي للقرآن الكريم، دار المسرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط.3،2009 م، ص 153.

[4]- محمد عبد العال، العمران والعمارة في الوطن العربي، دار المعارف القاهرة، ط.2، 1984 م، ص 23.

والتي حظيت بذلك الإعجاب والانبهار بالمكان السبئي، المسجل في السرديات التاريخية ونصوص الرحلة لاسيما أن "الكثير من الرحالة أعادوا رسم المرئيات بعد رجوعهم إلى بلدانهم"[1].

من هنا جاءت المرئيات والمشاهدات عاكست لأوصاف المنجز المعماري السبئي الذي ميز دولة سبأ في أوج عظمتها وقوتها ضمن أكبر الممالك التي سادت المعمورة وهذا تماشيا مع قرره ابن خلدون في حديثه عن طبيعة الملك وآثار الدولة حين قال:"أن الآثار تحدث عن القوة التي بها كانت أولا وعلى قدرها يكون الأثر، فمن ذلك مباني الدولة وهيا كلها العظيمة فإنها تكون على نسبة قوة الدولة في أصلها....."[2].

ويمكن للقارئ أن يقف على قوة هياكل الدولة السبئية من خلال رصده للمعالم المكانية فيها: كالقصور، والمعابد، والبروج، والصروح، والمدرجات الجبلية،والحصون، والسدود، والمنازل وغيرها من البقايا العمرانية التي شكلت في زمنها واجهة المكان السبئي، وصورته المبثوثة في مدونات الرحالة والجغرافيين وعلماء الآثار.

ولاشك أن تلك الصورة النضرة بجمالها تقف ماثلة أمام نظر المتلقي وذهنه من خلال تتبعه للعناصر المعمارية ضمن قراءته لوحدات المكان السبئي.

التلقي البصري لصورة المنجز المعماري السبئي – قراءة في معمارية المكان –

كشفت التنقيبات والحفريات الأثرية الحديثة والمعاصرة مستضيئة بالمرويات القديمة والنصوص الإخبارية عن مملكة سبأ وعمرانها والذي جسدته المنجزات المعمارية القائمة على أرضها والتي تقف شاهدة على عظمة الماضي السبئي وقوة سلطانه.

وإلى هذا أشار القرآن الكريم في سورة النمل عندما تحدث عن العرش واصفا إياه بالعظمة في قوله تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[3]، في مشهد تعبيري حي تتملاه الأذن والعين، فالمشاهد يتلقى المكان ويراه " لأن الطاقة التعبيرية تصلنا عن المكان كمعنى وكدلالة، فهي مرتبطة بالمعنى: فأكثر الأنظمة الإشارية اجتماعية وعدد وأهمية هي الأنظمة المبنية على السمع والبصر"[4].

---

[1]– عبد الرحيم مؤذن، الرحلة في الأدب المغربي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د،ط، 2006 م،ص 27.

[2]– مقدمة ابن خلدون، ص 196.

[3]– الآية: 23 من سورة النمل.

[4]– طاهر عبد مسلم، عبقرية الصورة والمكان، الشروق للنشر والتوزيع، الأردن،ط.1، 2002 م، ص 109.

وعلى هذا الأساس يمكن للمتلقي أن يتواصل عن طريق المشاهدة بالصورة والمشافهة بالمحكي عن قصة المنجز المعماري السبئي من خلال وحداته الأساسية المشكلة من:

أولا: القصور: (التلقي البصري للقصور السبئية في السرديات العربية)

عرفت سبأ بقصورها الشاهقة المشيدة بالأحجار والأخشاب والأعمدة القائمة، وهي قصور لا نظير لها في عظمة البناء والفخامة: وأبرزها وأكثرها شهرة هو: قصر غمدان، وصراوح، وسلحين، يبنون.

ويعتبر قصر غمدان [1] من " القصور الأسطورية التي أبدع الإخباريون في وصفها وتصويرها كما يعتبر أقدمها وأعجبها ذكرا وأبعدها صيا " [2].

وتروي السرديات العربية أن المكان السبئي كان به "ثلاثة قصور: سلحين والهجر والقشيب على أن أهم تلك القصور وأشهرها إنما هو قصر سلحين الذي تردد ذكره في كتب الأدب العربي على أنه قصر الملكة بلقيس، وكثيرا ما أشاروا إلى أعمدته القائمة وقالوا إنها تحمل العرش وأن قواعده تحت الأرض " [3].

والظاهر أن عيون المؤرخين والجغرافيين كانت منصبة على رؤية القصور كمعالم عمرانية لها طابعها الهندسي المتميز، وزخرفتها المتناسقة مما يعكس " اهتمام السبئيين منذ أقدم العصور بتزيين مبانيهم من الداخل والخارج – ومنها المعابد والقصور – وقد ابتكروا اللجوء لبناء نوافذ كاذبة من الرخام أو الأحجار المرصوفة لإعطاء الجدر رونقا جذابا " [4].

وهذا يعطي انطباعا للمتلقي لصورة الحضارة السبئية أن السبئيين كانوا متفوقين في فن العمارة التي كانت على جانب كبير من البذخ والعناية الظاهرين في بناء الدور المخصصة لممارسة الشعائر والطقوس الدينية، والمنازل الفاخرة التي تجلت فيها براعة الفن المعمار السبئي وجعلت من سبأ "

[1]– بلغ قصر غمدان من الشهرة ما جعل الشعراء العرب لإعجابهم به وبفخامة بنائه يتقنون في وصفه وتصويره في نظم شعري رائع النسيج، بديع السبك، ظل عالقا بالذاكرة العربية ردحا من الزمن، وسنأتي على ذكره من الوجهة الأدبية والفنية الشعرية في مكانه المناسب من هذه الدراسة.(المكان السبئي في النص الشعري).

[2]– السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ص 38.

[3]– مجموعة من الباحثين، الدليل الموجز لأشهر المواقع الأثرية وفنون العالم،ص 36..

[4]– لطفي عبد الوهاب يحي، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط.2،1979 م، ص 293.

بلاد عربية جنوبية يزينها جمال المعابد والقصور الملكية " [1].التي بدت في أعين علماء الآثار من نظرة متفحصة قادتهم إلى "الاعتقاد بأن الثقوب التي بالنوافذ قد كانت مرصعة بأحجار ملونة" [2].

إنه التلقي البصري الذي لعبت فيه العين دور الالتقاط لصورة الوحدة المكانية – القصر– البارزة في اتصال مباشر، يفضي إلى قراءة ايجابية للمنظر معتمدة على الرؤية البصرية فالبصر وسيلة هامه من وسائل تحصيل المشاهد " [3].

القصور السبئية في عيون الرحالة – قصر غمدان نموذجا–

وقف الرحالة عند مرورهم بمساكن السبئيين على مشاهد لمبان ضخمة على هيئة قصور سامقة، غاية في الجمال، وروعة الزخرفة بألوانها المتنوعة والمتناسبة في شكل هندسي شغل المخيلة البصرية للرحالة كمتلقين لصورة المكان السبئي عن طريق المشاهدة المباشرة المستمدة من رؤية العين لمنظر القصور وهي تتراءى أمام الناظر إليها محدثة نوعا من التفاعل على أساس " أن التفاعل الذي يمكن أن يحدث بين هذه الصورة والمتلقي " تفاعل يتناسب في المقام الأول على الرؤية البصرية أو الإدراك البصري " [4].

هذا التنوع والتناسب في البناء بعناصره الممتدة للناظر إليه عمل على إقامة تلاؤم بين الأجزاء في شكل هندسي منسجم مع محيطه الخارجي هو الذي أثار وعي المتلقي الرحالة واستدعى إلى ذهنه صورة المروي عن قصة المكان في سابق عهده " وقد قيل إن ملوك اليمن كانوا إذا قعدوا في أعلى هذا البنيان بالليل واشتعلت الشموع رؤى ذلك على مسيرة أيام كثيرة " [5].

فهذه القصور بفخامتها وأشكالها الهندسية هي التي جملت واجهة المكان وشغلت فضاءه كمعالم مكانية وعلامات بارزة لفن العمارة السبئية، ذلك أن " العلامة البصرية ليست منفصلة عن التجربة الإنسانية بل هي وليدة تسنين ثقافي " [6].

---

[1]– عدنان ترسيسي، بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى، ص 26.

[2]– المرجع نفسه، ص 26.

[3]– جمال العيفة، تجربة القراءة والمشاهدة بين انحسار المكتوب وانتشار المرئي، ص 193.

[4]– موسى ربايعة، الأسلوب والتلقي، ص 193.

[5]– المسعودي، مروج الذهب، ج1،ص 110.

[6]– بغداد أحمد بلية، سيميائيات الصورة، منشورات دار الأديب، وهران، د.ط، 2008 م، ص 92.

ويمكن قراءة هذا التسنين الثقافي من زاوية اجتماعية تجسد الوضع الطبقي السائد في المجتمع السبئي حينذاك من خلال المنجز المعماري القائم في شكل قصور شيدت على مساحة واسعة من الأراضي السبئية من اليمن في عصورها المزدهرة حين نعتت على لسان الرحالة ببلاد القصور، والتي أقامها " الحكام الأثرياء حين كانوا بحاجة إلى أبنية ضخمة ينعمون بحياة الترف ضمن جدرانها " [1].

إن جهد المتلقين الرحالة يتضاعف في فهم دلالات الصور المكانية كتشكيلات بصرية لحظة المعاينة والتواصل المباشر متلمسا أثر ذلك الترف والبذخ اللذين كان السبئيون يرفلون فيهما داخل القصور الفخمة المنتشرة في ربوع المملكة السبئية العريضة، فيأتي على تدوين أشهرها وهو قصر غمدان.

تلقي صورة قصر غمدان في المدونات الأثرية

شغل قصر غمدان كأهم معلم مكاني في سبأ مساحة واسعة في السرديات الأثرية التي وصفته بأنه قصر لا نظير له في العظمة والفخامة، "فقد كان يتألف هذا البناء الشامخ من عشرين طابقا"[2].

ويذكرون أنه "بني بالحجر على أربعة أوجه، كل وجه له لون يختلف عن الآخر، فوجه أبيض ووجه أصفر، ووجه أخضر.....وجعل أعلاه مجلس بني من الرخام الملون ونصب في كل ركن من أركان هذا المجلس تمثال لأسد ضخم رابض من النحاس كلها مجوفة، فكانت إذا هبت الريح إلى ناحية التمثال من تلك البلدان دخلت من دبره وخرجت من فيه، فيسمع له زئير كزئير السباع، وكان يؤمر بالمصابيح فتسرج في ذلك المجلس العلوي لبلا، فكان سائر القصر يلمع لمعانا"[3].

وضمت هذه الأوصاف والمعطيات الجمالية التصويرية لقصر غمدان كمعلم مكاني سبئي تلمس الأثريون على مستوى أبصارهم مظاهره من الداخل والخارجي، ومن حيث مواد بنائه بألوانها المتنوعة وحتى من جانب الإضاءة فيه.

[1]- عدنان ترسيسي، بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى، ص 265.

[2]- المرجع نفسه، ص 266.

[3]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ص 39.

وطبقا لهذه الأوصاف كان قصر غمدان تحفة هندسية فريدة القديمة، كقصر منيف، وأعجوبة زمانه في فن عمارة الأمكنة " فالمكان وحده هو الخالد، قد تتغير مظاهره لكنه لا يتبدد " [1].

ويبقى في الذاكرة عندما وقعت عليه عين الشاعر فقال في وصفه:

هل بعد غمدان وسلحين من أثر وبعد يبنون يبني الناس بنيانا [2].

ثانيا: السدود والآبار(التلقي البصري لصورة السدود السبئية في المرويات التاريخية)

أثبتت الدراسات والبحوث الأثرية التي أجريت وجود عدد هائل من الآبار[3] والسدود في بلاد العرب وخاصة في جوف اليمن. مهد المملكة السبئية إذ "يعتبر مجتمع سبأ واحدا من أكبر أربع حضارات عاشت في جنوب الجزيرة العربية"[4] والتي اشتهرت بسدودها وأبرزها سد مأرب، حيث ينحدر وادي مأرب من جبل بلق ويتجه شرقا مارا بمدينة مأرب التي أقيم عندها سد مأرب الشهير، ونمت حوله الدولة السبئية وازدهرت[5].

هذا السد الذي كانت تحجز مياه الأمطار وراءه، بحيث يمكن التحكم فيها من خلال عيون تفتح وتغلق بحسب الحاجة.

ولربط المتلقي بصورة المعلم المائي البارز في المكان السبئي كوحدة معمارية منفتحة على العالم الزراعي حيث الجنان الفسيحة والمروج المخضرة التي وصفت في المرويات الرحلية والآثارية على نحو يكمل للقارئ تصور مرئي واضح وذلك من خلال معرفة ما يلي:

1- صورة سد مأرب في الكتابات القديمة

[1]- باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص 215.

[2]- سأعود إلى ذكر قصر غمدان في الفصل الخاص بالتلقي السمعي للمكان السبئي في الشعر العربي من هذه الدراسة إن شاء الله.

[3]- أشار القرآن الكريم إلى وجود عديد الآبار في منطقة العرب، منتشرة في أماكن مختلفة، ولكنها الآن معطلة بسبب إبادة أهلها، فلا يسقي منها ولا يردها أحد...، وبقيت فقط كآثار ظاهرة للعيان، يشاهدها كل من يمر من تلك المناطق وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ سورة الحج: الآية 45.

[4]- هارون يحي، الأمم البائدة، ترجمة، ميسون نحلاوي، مراجعة. ورخان محمد علي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط.1 2003 م، ص 115 .

[5]- علي محمد معطي، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، ص 50.

وصفت الكتابات القديمة في شكله الخارجي بأنه يمتاز بطراز البناء المتدرج أي يظهر فيه جسم السد على هيئة مدرجات[1] وقد بني سد مأرب العظيم لتخزين المياه ودعم الزراعة ومقاومة امتداد الصحراء[2].

ومما دعى السبئيين إلى إقامة السدود أن الأمطار الموسمية تهطل صيفا على مرتفعات اليمن، ولا ينتفع بها في الشتاء وهو فصل الجفاف، ولذا عملوا على إيجاد نظام الري يقوم على ادخار ماء الصيف للشتاء، وذلك في منافذ الأودية لحجز الماء خلفها ليصرف بحساب عند الحاجة [3].

فأفاد السد ري الأراضي المرتفعة حيث وجدت الجنان، التي جاء ذكرها في محكم التنزيل عن قصة المكان السبئي في سورة سبأ في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾[4] .

وعلى أساس ما نقلته المدونات الأثارية عن صورة سد مأرب وعظمته، وأهميته في حياة السبئيين، فإن المتلقي الباحث عن جوهر الاهتمام السبئي به وبالغرض من بنائه في عرض الوادي تحديدا لسببين هما:

الأول: حماية مدنهم وقراهم من فيض السيول التي كانت تزيد عن حاجة الناس حينذاك، فينالهم من أذاها أكثر مما ينالهم من نفعها، حيث كان السيل ينحدر من أعالي الجبال هابطا على رأسه حتى يهلك الزرع ويسوق في جفائه البناء.

الثاني: اختزان المياه ورفعها، وتوزيعها على قدر الحاجة لري المزروعات [5]، والظاهر أن سد مأرب أعطى لمدينة مأرب عاصمة المملكة السبئية أهمية خاصة، ومكانة مميزة بين أمم الأرض.

فقلد ازدادت أهمية مدينة مأرب ببناء السد، وبفضله زرعت الأراضي حتى غدت أخصب أراضي اليمن وأثراها وأغدقها وأفسحا مروجا.

---

[1]- محمد لطفي عبد الوهاب يحي، العرب في العصور القديمة، ص 134.

[2]- محمد صادق صبور، موجز تطور الحضارات الإنسانية، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،ط.1، 2006 م، ص 226.

[3]- إبراهيم أحمد العدوي، نهر التاريخ الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1989 م، ص 21.

[4]- الآية: 15.

[5]- علي معطي، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الYسلام، ص 79.

فصورة المكان توافقا مع ما جاءت به مشاهدات الرحالة وعلماء الآثار وما انطبع في ذاكرتهم من جمال هندسته، وتلاؤمه مع بيئة المكان السبئي، ذلك أن " أكثر الصور تشكلا وانطباعا في الذهن هي الأمكنة، ومختلف مناظر الطبيعة والتضاريس البيئية " [1] .

2- جمال الشكل الهندسي لسد مأرب

وصفت مدونات التاريخ الإنساني العربي والغربي على حد سواء سد مأرب كأضخم مورد مائي بأنه كان " أكمل عمل هندسي عرفته الجزيرة العربية في تاريخها القديم " [2].

وهي الحقيقة التي أشارت إليها الموسوعة العالمية الحرة حين وصفت سد مأرب بقوله:

« La dugue de marib est considéré comme le plus ancien barrage hydraulique du monde ;il a été construit entre 10eme siècle ...barrage de 600 m et haute de 15 , il était dotée de deux vannes ,la retenue crée et servait à irriguer les terres avoisinantes en aux » [3]

وفي ضوء معطيات هذا النص يقف القارئ على حقيقة تاريخية هي إذا كانت الدراسات الأثرية والتاريخية الغربية قد شهدت للسبئين بالسبق في بناء السدود بذلك النمط المعماري الفني الرائع، وبتلك الأشكال الهندسية المميزة في عالم العمارة، فإنها تكون بتلك الشهادة قد تقاطعت مع اعتراف النصوص العربية بمهارة السبئين في هذا المجال.

فعندما يقع بصر المتلقي الأثاري على صورة سد مأرب بنظرة فاحصة بتصميمه الهندسي الدقيق ويتمعنه عن قرب، فيعود بذاكرته إلى المقروء من ما كتب في مدونات الرحالة والأثاريين ودلت عليه دراسة المباني التي أقيمت عند بواب السد، على أنه قد استخدم في بناء سد مأرب والحواجز، حجارة اقتطعت من الصخور، وعولجت بمهارة وحذق حتى توضع بعضها فوق بعض، وتثبت وتتماسك، كأنها قطعة واحدة، وقد وجد أن بعض الأحجار قد ربطت بعضها ببعض بقطع من قضبان اسطوانية من المعدن المكون من الرصاص والنحاس ليكون البناء قويا، وليكون في إمكانه الوقوف أمام ضغط الماء وخطر وقوع الزلازل [4].

---

[1]- باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص 296.

[2]- الدليل الموجز لأشهر المواقع الأثرية وفنون العالم العربي، الإصدار الأول، ص 35.

[3]- l'encyclopédie،un article de wikipédia.

[4]- الدليل الموجز لأشهر المواقع الأثرية، ص36.

فنصوص التاريخ بدون شك ستضع القارئ أمام شهادة واعتراف جل الدراسات والبحوث الهندسية في مجال التاريخ الإنساني والعربي، وتاريخ اليمن خصوصا فيما يتعلق بالمكان السبئي وأهله ليقر بأن عمر التجربة السبئية في بناء السدود كان عريقا فلقد كانوا أول سكان العالم الذين عرفوا بناء السدود "[1].

فهذه الأسبقية في الاهتمام ببناء المنشآت الهندسية الكبرى تقف خلفها رغبة ملحة في نفوس ساكنيه لتعمير المكان بما يليق بالحياة الكريمة بل والمترفة على أرضه مستغلين خبرتهم الطويلة، وتكشف في الوقت نفسه عن درجة الوعي المعرفي الذي كان السبئيون يتمتعون به، فهم " كانوا ذوي فطنه وذكاء وعلم هداهم إليه حسن الاستفادة من الأمطار حتى لا تتسرب إلى البحر فوق الأرض المنحدرة إلى ناحيته، ولذلك أقاموا سد مأرب، فحولوا اتجاه المياه الطبيعي تحويلا تقتضيه حياة الحضارة والاستقرار "[2].

ثالثا:المعابد – تلقي صورة المعابد السبئية في المرويات التاريخية –

حظيت المعابد والكنائس والهياكل، بحضور مميز في مدونات التاريخ الإنساني كمعالم عمرانية بارزة تخفي وراء أشكالها الداخلية والخارجية حياة المجتمع السبئي الدينية، وتوجهاته الروحية، وتطلعاته للعالم العلوي بمفاهيمه المنفتحة على أسرار الحياة والموت والبعث والجزاء.

وتتجلى هذه المفاهيم للمتلقي لصورة المعابد والكنائس السبئية من خلال قراءة المرويات التاريخية وماجاءت به في نقطتين أساسيتين هي:

1- المعابد: دورها ووظيفتها الروحية في الحياة السبئية

حفظت نصوص الرحالة أسماء جملة معابد خصصت للعبادة وللتمييز بينها "ذكرت أسماء المواضع التي شيدت عليها تلك ومن أشهرها معبد " المقه" الكبير بمدينة مأرب"[3]، وكنيسة القليس بصنعاء.

ويبدو أن الصبغة الدينية التي استعان بها حكام سبأ لتدعيم ملكهم جعلتهم يولون اهتماما

[1]- محمد السيد أيوب، اليمن بين القات وفساد الحكم قبل الثورة، دار المعارف: القاهرة،د.ط، 1963 م، ص 15.

[2]- عبد اللطيف عبد الهادي السيد، جزيرة العرب قبل الإسلام، عصر الجاهلية –المكتب الجامعي الحديث: الإسكندرية،د،ط 2008 م، ص 121.

[3]- جواد علي، المفصل في أديان العرب قبل الإسلام، دار الشعاع، القاهرة، ط.1، 2004 م، ص 256.

كبيرا لمعابد معبوداتهم، إظهار لتقواهم الشخصية، وتأكيدا لصلتهم الروحية بهذه المعبودات، وعملا على كسب ولاء الكهنوت عن طريق تخصيص المرتبات العينية لهم من عائدات هذه المعابد[1].

فقد " كانوا يجنون اللبان والمر ويحملونه من كل ناحية إلى هيكل إله الشمس الذي لم يكن لهم بيت تبلغ عظمته في نفوسهم مبلغه"[2].

وفي هذا تتجلى الرابطة الوثيقة بين السبئين وأماكن عبادتهم، ومدى قدسية ذلك في نفوسهم انطلاقا مما عرف في تاريخ الديانات أن " للمعابد والأديرة قدسية خاصة لدى الإنسان، تتأتى من الارتباط الروحي بينه وبين خالقه، فهي واسطة اتصال بين الإله والإنسان.....لذلك نجد كثرتها وتعددها، وربما اختص كل إله بمعبد خاص به يمارس فيه طقوسه وشعائره الخاصة، لذلك عدت بالرغم من انغلاقها مكانا مفتوحا"[3].

2- صورة هندسة المنجز المعماري الديني في ذهنية الرحالة (رواية ومشاهدة)

رسمت مخيلة الرحالة قدامى ومحدثين الشكل الخارجي للمعابد المملكة السبئية وذلك من خلال المسموع والمستأنس وبالمروي عن حكاية المكان الديني في صلته بمريديه ورواده ومستأنسين بصورته الملتقطة عن طريق المشاهدة بالعين التي أبصرته " فحاسة البصر أدق الحواس وأكملها وأمتعها، فهو يمد العقل بأكبر قدر ممكن من الأفكار، وأكثرها تنوعا، ويلتقط من بعد شاسع [4].

وتبعا لذلك فقد كان جهد المتلقي الرحالة لصورة مشاهد المنجز المعماري الديني السبئي –المعابد–" يتضاعف تحت تأثير دلالة التشكيل البصري" [5]، لمنظره الهندسي وجمال عمارته، بتوصيف المعابد كمراكز دينية لها طرازها الهندسي وزخرفها اللائق بها كأماكن لها قداستها الخاصة في نفوس مرتديها، ثم بالنظر إلى وظيفتها في المجتمع، وعلاقة القائمين بشؤون الحكم في المملكة السبئية وأثر ذلك في حضارة بلاد سبأ في زمنها الغابر.

---

[1]- عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، ص 56.

[2]- فرح سواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص 297.

[3]- سوسن البياتي، أساطير العراق القديم البابلية والسومرية، دراسة في شكلها السردي –دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا ط.1، 2010 م، ص 73.

[4]- باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص 111.

[5]- موسى ربايعة، جماليات أسلوب التلقي، ص 204.

من هنا كانت صورة المعبد السبئي على قدر كبير من الفخامة والعظمة من الناحية المعمارية "ويظهر ذلك جليا من خلال مشاهدة آثار معابدهم الفخمة الواسعة وتماثيلهم التي تجسد أفكارهم عن الآلهة التي توجهوا نحوها بالعبادة، لتؤكد أن الديانة كانت تحتل الموقع الأساسي في ثقافتهم وحضارتهم"[1].

ومن هنا جاءت المعابد بتخطيطها الهندسي على هيئة تليق بمعبودات السبئيين فتعددت المشكاوات وإدخال عنصر الزخرفة على أجزائه المعمارية لاسيما الأعمدة " فقد أقيم السور المعبد على هيئة مستطيل ينحرف قليلا عن الجهات الأصلية الأربعة، وقامت في مؤخرة فنائه المقصورة الرئيسية للعبادة، وبني أمامها حوض مربع متسع، لعله كان يستخدم لماء التطهير" [2].

3- تلقي صورة المعابد السبئية في المرويات الرحلية (معبد المقه نموذجا)- قراءة في تلازم البعدين: الهندسي والديني للمكان السبئي -

إذا سلمنا بأن القراءة فعل تواصلي مع النص، فإن وصف الرحالة للآثار المعمارية من خلال بقايا الوحدات المكانية يكشف عن رؤية بصرية انسجمت لحظة التلقي البصري لصورة المعلم الديني التعبدي للسبئيين مع لحظة البصيرة، فكشفت عن فلسفة المكان السبئي"بإضاءة الحالة الروحية وإستراتيجية الحواس والتعيين المكاني"[3].

الذي ازداد وضوحا باعتراف المؤرخ الرحالة اليوناني الكبير سترابو وإعجابه فيما نقلته سرديات التاريخ اليمني في وصفه: "وبلاد سبأي بلاد مزدحمة بالسكان، وهي أخصب تلك الأراضي على الإطلاق.....بها مدنا عامرة تزينها الهياكل الجميلة والقصور" [4].

ففي قوله: تزينها الهياكل الجميلة والتي قصد بها " المعابد" ووصفها بالجميلة دليل على أنه شاهدها بنفسه كمعلم ديني قائم في المكان السبئي وتلقاها في صورة بصرية بدت في عينه غاية في الحسن والجمال." وفيما يتصل بالتصميم لمعبد أوام محرم بلقيس، فلاحظ أنه يكاد يكون بيضاوي

[1]- هاشم يحي الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 2008 م، ص 151.

[2]- عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، ص 59.

[3]- عبد الله أبو هيف، جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، سوريا، المجلد 27،العدد 1، 2005 م، ص 134.

[4]- فيليب حتى وآخرون، تاريخ العرب المطول، ج1، ص 59.

الشكل، ويوجد مدخله الرئيسي في الناحية الشمالية، يوجه أمام المدخل بهو ذي أعمدة على جوانبه، وبعد المدخل بحوالي عشرة أمتار تقوم ثمانية أعمدة كبيرة في وصف واحد، كذلك عدد الأعمدة الصغيرة"[1].

ووفقا لهذا الوصف جاء التعيين المكاني بتصميمه الداخلي والخارجي للمعبد السبئي الشهير " الذي تعبد السبئيون فيه لمعبودهم الكبير (المقة) وتقربوا إليه فيه بالأدعية والهدايا، وإليه توسلوا في كل ملمة نزلت بهم"[2].

إنها العناية والاهتمام المفرط الذي بذله السبئيون في إعطاء الشكل اللائق والصورة المقبولة لبيت معبودهم الأكبر (المقة) بحيث "جعلوا من الجهة الشرقية من البناء هيكلا صغيرا من الحجر له أربعة أعمدة، ويشيد حوله سور خارجي من أحجار منحوتة، وهي متفاوتة الأحجام وقد زين أعلى السور ببعض الزخارف"[3].

وهذه العناية والحماية التي أولاه المجتمع السبئي لمعبدهم هي التي جعلت يظل يؤدي وظيفته في عبادة الإله " المقة" مدة تناهز الألف عام.

إن اعتراف المدونات الرحلية والآثارية التي جاء من تلق بصري للمعالم الدينية المنتشرة والقائمة في الفضاء تعكس جمال المكان السبئي بعناصر التمثيل الثقافي العربي وتدعم الوعي بهوية المكان وحضارتيه.

[1]- أحمد أمين سليم، جوانب من تاريخ وحضارة العرب، ص 131.
[2]- جواد علي، المفصل في أديان العرب قبل الإسلام، ص 258.
[3]- أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 132.

الفصل الرابع

قراءة في المكان السبئي في نص القصص القرآني

(بين جمالية الحضور وتداعيات مشهد الانهدام)

المبحث الأول: التجلي الجمالي للمكان السبئي وثنائية التحول في سورتي النمل وسبأ

1- النص السردي الأول (سورة سبأ)

2- النص السردي الثاني(سورة النمل)

المبحث الثاني: المكان السبئي بين جمالية العمارة والحضور وتداعيات الانهدام والخلو

أولا تلقي المكان السبئي : تضاد الأمكنة في حضرة النصوص

ثانيا المكان السبئي ومشهد الانهدام الحضاري بين الرؤية العربية والمنظور القرآني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:

التجلي الجمالي للمكان السبئي

مدخل

أولا : النص السردي الأول في سورة سبأ.

1- عتبة النص السردي

2- التشكيل المكاني في النص السردي وثنائية الخصب /الجدب

ثانيا : النص السردي الثاني في سورة النمل.

ثالثا : المكان السبئي وجدلية التحول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل :

يشكل المكان السبئي في النص السردي القصصي القرآني حضورا مميزا كآية للجمال الأرضي الذي تتملاه العين لحظة الانشغال البصري بصورة العرش الملكي العظيم،ببهائه وفخامته كتحفة فنية معمارية كان غاية في الجودة والإتقان في زمانه،بما تقع عليه حواس المتأمل من روعة التصوير والعرض القرآني لنضارة الحيز الأخضر لأرض الجنتين مساكن السبئين،وأصحاب البلدة الطيبة التي جاء في حقها قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [1].

وتيمنا ببركة الرزق،ونمو الزرع واخضرار البساتين الرائقة في أعين متلقيها يتجلى الجمال الإلهي للمكان السبئي في أكثر من موضع للعطاء والإمداد الرباني المبسوط من السماء على أرض اليمن السعيدة بالخصب والنماء،وطيب العيش ورغده،صحة وعافية لساكنيه.

ولفهم هذا التجلي الجمالي ورصده في مشاهد مكانية متناسقة وموزعة بإحكام وبديع صنع إلهي غاية في الحسن والوضاءة،وذلك في موطنين أساسين في النص السردي القرآني هما سورتا النمل وسبأ اللتين برزا في كل منهما أجزاء التناسق الجمالي للمكان السبئي بأشكاله المتنوعة التي كانت مصدر إلهام الدراسات والأبحاث والأعمال الأدبية بجميع فنونها.

النص السردي الأول في سورة سبأ :

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّۗ

[1] – سورة سبأ : الآيات من 15.

وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ [1].

يكشف النص السردي لقصة المكان السبئي في آياته الكريمة عن موقع المساكن السبئية ضمن حيز جمالي نضر وارف الظلال،يطيب فيه العيش وتحلو فيه الحياة الرغيدة،ويتقلب فيه أصحابه من نعمة إلى أخرى.

فهذه النعم المتتالية يمكن أن تفهم بشكل واضح وتتبين صورتها في ذهن المتلقي للنص السردي في سورة سبأ من خلال المعطيات المعرفية التي تسهل سبيل الدخول إلى حضرة النص القصصي باقتصاده اللغوي المركز حول المكان السبئي مرتبطا بساكنيه تفكيرا وسلوكا في تعاملهم مع العطاءات الإلهية تعامل كفر وجحود،لا تعامل إيمان وشكر.

و لاشك أن لهذا التصرف غير العادل لخيرات المكان من قبل أصحابه أثره السلبي على سلب النعمة منهم وتحويلها عن بلدهم الطيبة،لتغدو في اثر ذلك أرضا مفتوحة على الجدب والفقر وقلة الرزق،مما اضطرهم إلى الرحيل عنها والانتقال إلى جهات أخرى.

إننا حين تقرأ النص السردي في سورة سبأ في تصويره وتعبيره عن المكان السبئي مرتبطا بساكنيه،نقبل على كتلة لغوية واحدة،تروى لنا الأحداث في تتابعها الزمني ضمن حيز جغرافي معروف تختزنه الذاكرة الجمعية لآلاف السنين ليقع استدعاؤه لحظة تواصل العين مع عنوان النص السردي القصصي – سبأ–.

أولا :عتبة النص : العنوان وعلاقته بالنص القصصي :

العنوان بوابة النص،وفيه تتكثف ملامحه الرئيسية [2]،وهو أول ما يصادف المتلقي في عملية قرائية بوصفه بنية مستقلة تشتغل دلاليا في فضاء خاص به : وهو على هذا الأساس يعد علامة ثقافية تعكس لمتلقيه عالما اجتماعيا أو واقعيا عن طريق النص.

والعنوان نظام سيميائي ذو أبعاد دلالية ورمزية وأيقونية...، وهو كالنص له أفق،قد يصغر القارئ عن الصعود إليه،وقد يتعالى هو عن النزول لأي قارئ

وسيميائيته تنبع من كونه،يجسد أعلى اقتصاد لغوي ممكن يوازي أعلى فعالية تلق

[1] – سورة سبأ : الآيات من 15 إلى 21.

[2] – حسن كموني،الطلل في الشعر العربي،ص 53.

ممكنة تغذي الباحث الناقد بتتبع دلالاته،مستثمرا ما تيسر من منجزات التأويل [1].

وطبقا لهذه التعاريف المتنوعة في إعطاء للعنوان قيمته بالنسبة لموقعه على رأس النص يمكن للمتلقي لقصة المكان السبئي أن يتواصل مع سورة سبأ انطلاقا من اسم السورة الذي يمثل بوابة رئيسية للنص السردي القصصي من خلال المحطات الآتية :

1- العنونة باسم المكان : إن قراءة واعية لقصة سبأ في سورة سبأ تطلع القارئ على اهتمام ملحوظ بالمكان السبئي،والتعامل معه تعاملا لا باعتباره إطارا يحتضن الشخصيات فحسب،بل من خلال فاعليته في سيرورة القصة وتشكلها،فالمكان هنا ليس إطارا فحسب بل " عنصرا رئيسيا في العمل القصصي.

فبما يقدمه المكان السبئي للقصة بشكل عام يتجاوز السرد احتضان الأحداث وتأطرها،ويتغلغل في كل العناصر التي تشكل منها البناء القصصي،ويمتلك إمكانات هائلة على الحلول في ديناميات العمل القصصي الفاعلة،التي جاءت الآيات الكريمة لتدل عليها (**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ**)....

"سبأ" في سبأ قراءتان،بالفتح على أنه اسم بقعه،وبالجر مع التنوين على أنه اسم قبيلة وهو الأظهر لآن الله جعل الآية لسبأ والفاهم هو العاقل وليس المكان،**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ**،وقرئ (في مساكنهم) بالجمع والأفراد (سبأ) خبر كان،وآية اسمها،وفي مساكنهم : متعلق بما تعلق به (سبأ) والتقدير " لقد كانت آية كائنة لسبأ في مساكنهم "،(جنتان) خبر محذوف تقديره : هي جنتان [2].

سبأ : بفتح أوله وثانيه،وضم آخره وقصده : أرض باليمن مدينها مأرب،بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام،فمن لم يصرفه فلأنه اسم مدينة،ومن صرفه فلأنه اسم البلد فيكون مذكرا سمي به مذكرا،وسميت هذه الأرض بهذا الاسم لأنها كانت منازل ولد سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان [3].

وسواء كانت " سبأ " اسم بقعة جغرافية،أو بلد،أو اسم قبيلة،فإنها تدل على مكان

---

[1]- بسام قطوس،سيمياء العنوان،دائرة المكتبة الوطنية للمطبوعات والنشر،عمان،ط.1،2001 م،ص 6.

[2]- علي الخطيب،تأملات في سورة سبأ،دار المعارف،القاهرة،ط.1،1985 م، ص 75.

[3]- ياقوت الحموي،معجم البلدان،دار صادر بيروت،ط.8،2010 م، ج3،ص 181.

محدد ومذكور مرتبطا بساكنيه،ذلك أنه لا وجود لمكان قصصي بمعزل عن شخصياته،ولا ذكر لشخصيات،بمعزل عن حيز تجسد فيه نشاطها وحركاتها ذهابا وإيابا،وسفرا واستقرارا[1]، وهذه الحركة لها دلالة هامة في النص السردي القرآني.

تلك هي حقيقة الاقتصاد في السرد القرآني التي جعلت من المكان في قصة سبأ مجالا رحبا لفتح قدرات المتلقي المعرفية على العطاءات الربانية المكانية انطلاقا من الاستهلال المطلعي للسورة سبأ وهي تتحدث عن سبأ المكان.

ولا شك أن "سبأ " كعنوان قد شكل حمولة دلالية،وعلامة أو إشارة تواصلية ذات وجود فزيقي (مادي)،فكان أول لقاء مادي محسوس تم بين المرسل والمتلقي أو مستقبل النص.

وهذه الإشارة المختزلة ذات بعد إشهاري سيميائي " يخاطب به بصريا "[2]،إذ بمجرد أن تقع حواس القارئ على اسم السورة " سبأ" تنفتح أمام مخيلته عوالم أرض سبأ بمخزون تاريخي عريق لما يرويه المفسرون والإخباريون بأن " أرض سبأ كانت من أخصب أرض اليمن وأثراها وأغدقها وأكثرها جنانا وغيطانا وأفسحها مروجا بين بنيان حسن مقيم"[3].

فيتجلى المكان أمام حواس المتلقي وهو يتملى الصورة من طريق عنوان النص السردي في سورة سبأ ليكشف الغطاء عن الوجه السبئي البهي كعلامة إبلاغية يخبر القارئ عن النص المقدم ويحفزه على قراءته باعتبار " لفظ النص المصاحب المجعول لإجلاء حضور النص وضمان حضوره في العالم وتلقيه واستهلاكه[4]. إن التأكيد على مكانية النص إحلال للقارئ في دائرة مجرى الأحداث حيث تتفاعل الوقائع وتتعانق مرتبطة بعضها مع بعضها الآخر،وجاعله يتفهم عبر توغله في السرد القرآني لقصة المكان السبئي مكتشفا أن " كل مكان له معنى ووظيفة"[5]، وحسب وظيفته تراه يتصف بالألفة تراه حين يكون عامرا حاضنا

---

[1]- سيزا قاسم،بناء الرواية،الهيئة العامة للكتاب،القاهرة،د.ط،2004 م،ص 107.

[2]- عبد الحق بلعابد،عتبات،تقديم،سعيد يقطين،منشورات الاختلاف : الجزائر،ط،1، 2008 م، ص 73.

[3]- المسعودي،مروج الذهب، ج 2، ص 66.

[4]-دومنيك مانغونو،المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب،ترجمة : محمد يحياتن،منشورات الاختلاف: الجزائر،ط.1،2008م،ص 91.

[5]- بسام قطوس،سيمياء العنوان،ص 136.

لأفراده،ومثيرا للكراهية حين يكون مقفرا خربا طاردا لأصحابه ممزقا لأواصرهم ﴿ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ [1].

فوجود لفظة "سبأ" في الافتتاح النصي كبوابة له،يعين المتلقي على تذوق براعة الاقتصاد اللغوي،وتكثيف العبارة لتبدو ا مترابطة المبنى والمعنى مع المحور العام لسورة سبأ،وهيكل النص القرآني " لكونه بناء وتشكيلا من اللغة " [2]،وفي الوقت نفسه يسهل على القارئ تحسس عبقرية الأداء السردي في عرض قصة المكان السبئي متوجة بعنوانها الأصلي " كعلامة سيميائية تعلو النص وتمنحه النور اللازم " [3].

هذا النور الذي ينسجم مع بلاغة حسن الابتداء والتألق في أول الكلام " لأنه أول ما يقرع السمع،فإن كان محررا،أقبل السامع على الكلام ووعاه وإلا أعرض عنه،ولو كان في الباقي الحسن فينبغي أن يؤتي فيه بأعذب اللفظ وأجزله وأسلسله وأحسنه نظما وسبكا وأصحه معنى وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملبس الذي لا يناسب [4].

التشكيل المكاني في السرد القصصي في سورة سبأ

رسم السرد القرآني حيثيات المكان السبئي وهو يمتد على رقعة جغرافية واسعة المشهد المكاني للفضاء السبئي وهو ينفتح على عوالم متنوعة،يمكن للمتلقي أن يتواصل معها عن طريق الاشتغال البصري بقراءة فاعلة،راصدا مجالات التنوع في المحيط البيئي السبئي على النحو الآتي :

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ سبأ /15

← تكشف الصورة السردية أن المكان السبئي كان مشكلا من :

1 المساكن 2- الجنان.

[1]- سورة سبأ : الآية : 19.

[2]- محمد بن أحمد جهلان،فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني،ص 170.

[3]- بسام قطوس،سيمياء العنوان،ص 138.

[4]- جلال الدين السيوطي،الإتقان في علوم القرآن،ج2،ص 449.

- يكشف السرد القرآني في هذه الآيات عن :

أ- الرزق ج- النعمة

ب طيب البلدة د- الغفران

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ ←

السردية تحيل إلى الموضع السكني للجماعة واصفة إياه بالاستقرار والإقامة الدائمة " وهذه المساكن التي كانت لهم هي التي يقال لها الآن مأرب وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال"[1].

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ ←

السردية القرآنية تشير بأن مساكن السبئيين تعد آية " بمعنى علامة مميزة ماثلة أمام أعين المتلقي،المبصرة " فالعلامة البصرية ليست منفصلة عن التجربة الانسانية بل هي وليدة تسنين ثقافي "[2].

المشهد المكاني يقرر حقيقة نعمة التمكين الإلهي للسبئين في أرضهم،" كعلامة دالة على قدرة الله وإحسانه"[3].

﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ ←

السردية القصصية تبين أن التشكيل المكاني للفضاء السبئي قائما على الجنان "،وهذه الجنان عن اليمين والشمال رمز لذلك الخصب والوفرة والرخاء والمتاع الجميل " [4].

ومن خلال تموضع الجنتين فوق الفضاء السبئي تتجلى مظاهر الاستقرار الإنساني والألفة والدفء والطمأنينة

[1]- النسفي،تفسير النسفي،ج3،ص 467.

[2]- بغداد أحمد بلية،سيميائيات الصورة،ج 3،ص 468.

[3]- النسفي،المصدر نفسه،ج3،ص 468.

[4]- سيد قطب،في ظلال القرآن،ج5، ص 2900.

والحماية.

فهذا المكان كان عامرا بمظاهر الحياة،والإنسان الكائن فيه ماعرف إلا رغد العيش تتجاوز فيه الجنات "في تقاربها وتضامنها كأنها جنة واحدة كما تكون بساتين البلاد العامرة "[1]، أخصبها وأثرها وأغدقها جنانا وغيظانا وأفسحها مروجا [2]،وشجر موصوف ومساكب للماء متكاثفة وأنهار متفرقة،.....وإن الراكب والمار يسير في تلك الجنات من أولها إلى أن ينتهي إلى آخرها لا تواجهه الشمس ولا يفارقه الظل لاستتار الأرض بالعمارة الشجرية...فكان أهلها في أرغد عيش وأرفعه وأهنأ حال وهم في نهاية الخصب وطيب الهواء وصفاء الفضاء.

﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ ←

تتجلى جمالية المكان السبئي في ضوء هذه الآية وهو يطفح بالعطاء الإلهي الكريم بخيرات الزرع والثمار المختلفة ألوانها بعد أن جسد السرد القرآني رفاهة حالة سكانه في هذا الفضاء الزراعي،لجأ إلى موضعته ومجاورته مع الجنات في مشهد حكائي واحد تاركا لمخيلة المتلقي أن تعود في لحظة انسجام مع المرويات القديمة وهي تصف خصب المكان حيث كانت المرأة تخرج وعلى رأسها امكتل فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمر وأطيبها،ليس فيها بعوض ولا ذباب،ولا برغوث،ولا عقرب ولاحية [3].

[1] – النسفي،تفسير النسفي،ج3، ص 468.
[2] – المسعودي،مروج الذهب،ج2، ص 66.
[3] – النسفي،المصدر نفسه،ج3،ص 468.

جاء الوصف السردي للمكان السبئي مقتضبا،وبإشارات لغوية مختصرة ومركزة حول " المساكن " و" الجنات"، وهذا دليل عناية : بالمكان كمكون جوهري في البناء القصصي،وعلى درجة حضوره في النص القرآني في سورة سبأ.

إذ تمتد المساكن وسط الجنات المخضرة عن اليمين وعن الشمال مشكلة انسجاما لطيفا مع المحيط الخارجي للفضاء السبئي وهو يحضن العطاءات الربانية المتنوعة وهي تضعنا أمام حقيقة أن الأرض السبئية قد توفرت لها معطيات الحياة المتكاملة وذلك من خلال : الأمن الغذائي والأمن الصحي،وكذا الأمن السكني.

كل هذه المعاني المنبثقة من مفهوم الآية الكريمة تنفتح بإشعاعها اللغوي والبياني في ظل لفظة " جنتين "،معبرة بوضوح أن إطلاق لفظة الجنة في القرآن لم يقتصر على جنات الآخرة فقط،ولكنه أطلق على كل مكان ظليل تتوفر فيه المياه والثمار والحياة الطيبة،أو على كل مكان يسمى بستان [1].

فوصف المكان السبئي على هذا النحو يفتح أمام المتلقي للقصص القرآني زوايا النظر إلى صورة المكان الخارجية من خلال تعدد " صورة المكان الواحد بتنوع حسب زاوية النظر التي يلتقط منها"[2].

﴿ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ ﴾

الوصف السردي يكشف عن علاقة الالتحام الشديد بين الحيزين : الحيز الأرضي والحيز المائي،بواسطة " الفاء" الأولى (فَأَعْرَضُوا) الفاء الثانية (فَأَرْسَلْنَا) أي تعاقب الفعلان معا فعل الإعراض وفعل الإرسال.

(سَيْلَ الْعَرِمِ) فيه أوجه : أحدها أنه من باب حذف الموصوف وإقامة صفته مقامه تقديره فأرسلنا عليهم سيل المطر العرم أي الشديد الكثير.

الثاني : أنه من باب إضافة الموصوف لصفته في الأصل إذ الأصل السيل العرم العرم،الشديد وأصله العرامة وهي الشراسة والصعوبة.

[1] – سميح عاطف الزين،الأمثال في القرآن الكريم،ص 178.

[2] – حميد لحميداني،بنية النص السردي،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط.3، 2000 م.

الثالث : أن العرم اسم للبناء الذي يجعل سدا.

من سبأ الحاضرين إذ يبنون من دون سيله العرما.

أي البناء القوي.

الرابع : أن العرم اسم للوادي الذي كان فيه الماء نفسه.

الخامس : أنه اسم للجرذ وهو الفأر الذي قرض السد إلى أن انفتح عليهم فغرقوا به أي سيل البناء أو سيل الوادي الفلاني،أو سيل الجرذ [1].

وهذه الأوجه الخمسة بجمعها قاسم لغوي مشترك هو " الشدة " و"القوة"،" فسيل العرم إذ هو السيل الذي لا يطاق لقوته وشدته " [2].

ليكن معنى الآية فأعرضوا عن شكر النعم الإلهية وكفروا بالله،فأرسل الله عليهم سيل العرم الذي دمر سد مأرب الذي أقيم بين جبلين للتحكم في ماء المطر فأغرق الأراضي والبساتين،وأهلك الحرث والنسل [3].

فالفضاء السبئي بصورته الحافلة بمشاهد الجنان والحضرة،قد اكتسحه طوفان مائي عارم،تسبب في إتلاف محاصله الزراعية وغطائه النباتي.

﴿ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ ←

يحيل السرد القرآني على المكان السبئي وقد تغيرت صورته بشكل واضح في أعين الناظرين إليه والمارين به،بفعل السيل حين دخل الماء جنتهم فأغرقها ودفن بيوتهم " [1].

القرآن يؤكد في هذا المقام السردي أن الأرض السبئية قد عرفت تحولا كبيرا في محاصيلها الزراعية وأن غطاءها النباتي تغير بشكل معاكس للخصب والنماء والوفرة وطيب العيش الذي كانت تتمتع به في سالف عهدها زمن الرخاء والأمن،إنه التراجع إلى الوراء وحلول الجدب والجفاف.

[1]- السمين الحلبي،الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج5،ص 430.
[2]- وهبة الزحيلي وآخرون،الموسوعة القرآنية الميسرة،ص 431.
[3]- المصدر نفسه،ص 431.

لقد تم تبديل المكان السبئي بجنات " لا خير فيها ولا فائدة لهم فيما هو نابت فيهما.

إنه التقابل بين صورة الماضي / الحاضر،الأمس / اليوم بدلالات مكانية (الأرض) وانفتاحها على متغيرات معاكسة بين زمنين.

لقد تغير وجه المكان السبئي من العمارة والرخاء إلى الخراب والجدب.

والخمط : ضرب من الأراك له حمل يؤكل،وهو نبت مر وقال الفراء : الخمط في التفسير هو ثمر الأراك،وهو شجر له شوك،وقيل الخمط في الآية شجر قاتل أو سم قاتل،وقيل الخمط الحمل القليل من كل شجرة [1].

ومن خلال تموضع " الخمط" كنبات مر بأبعاده الدلالية : المرارة والشوك،وقلة الانتفاع به على الحيز الفضائي السبئي،يمكن القول : إنه مكان لم يعد أليفا لأصحابه،فأرضه لم تستطع مواصلة أداء وظيفتها الأساسية،وهي مد المقيمين فيه،بالرزق والصحة والعافية.

و " أثل " الأثل : شجر لا ثمر له،وقيل شجرة من العضاة طويلة مستقيمة الخشبة تعمل منها القصاع والأقداح [2]، وقيل : شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه وأكرم وأجود عودا تسوى به الأقداح الصفر والجياد،ومنه أتخذ منبر سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم،والأثل : أصول غليظة يسوى منها الأبواب وغيرها وورقة عبر كورق الطرفاء،وفي الحديث: أن منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من أثل الغابة.....وهو طوال في السماء مستطيل الخشب،وخشبه

[1] – ابن منظور،لسان العرب،دار صادر،بيروت،ط.6،2008م،ج5،ص 159 مادة (خمط).

[2] – جار الله الزمخشري،أساس البلاغة،ص 25 مادة (أثل).

جيد فتبنى عليه البيوت،وورقه هدب طوال وليس له شوك وهو أحمر اللون[1].

وعلى هذا الأساس انفتح السرد القرآني في ضوء الآية الكريمة على عوالم رحبة تقف الأشجار بجذوعها المثبتة على الأراضي السبئية وقد نزع منها الثمر الطيب النافع،ولم يبق على أغصانها إلا نبت الآراك المر " لقد أهلك الله أشجارهم المثمرة وأنبت بدلها الآراك والطرفاء،مما لا ثمر له [2].

﴿ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾

يكشف التصوير القرآني عن صورة المكان السبئي وهو محاط بأشجار السدر الموزعة على خريطته بأعداد محدودة،ذلك أن المتلقي حين يلتفت إلى الآية (وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ) ويتأمل في معناها مستندا على لفظة " سدر" المشع باقتصاد لغوي يحمل طابع الانفتاح والتنوع ضمن دائرة معجمية مفسرة على وجوه متعددة.

1-سدر : السدر : شجر قليل الغنى عند الأكل ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾، وقد يخضد ويستظل به فجعل ذلك مثلا لظل الجنة ونعيمها،في قوله تعالى : ﴿سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾[3]،لكثرة غنائه في الاستظلال.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾[4]، فإشارة إلى مكان اختص به النبي صلى الله عليه وسلم،فيه الإفاضة الإلهية،والآلاء الجسيمة[5].

2-السدر : شجر النبق واحدتها سدرة وجمعها سدرات،والسدر من العضاة،وهو لونان :

---

[1]- لسان العرب، ج1،ص 55،مادة (أثل).

[2]- محمد سليمان عبد الله الأشقر،زبدة التفسير،ص 430.

[3]- سورة : الواقعة،الآية : 28.

[4]- سورة : النجم،الآية :16

[5]- الأصفهاني،المفردات في غريب القرآن،ص 227.

فمنه عبري،ومنه ضال،فأما العبري فما لا شوك فيه إلا ما لايضير،وأما الضال فهو ذو شوك،وللسدر ورقة عريضة مدورة.

3-السدر من الشجر سدران : أحدهما بري لا ينتفع بثمره ولا يصلح ورقة للغسول والعرب نتيجة الضال،والسدر الثاني ينبت على الماء وثمره النبق،ولونه أصفر مر يتفكه به [1].

فهذا الذي صار أمر تينك الجنتين إليه،بعد الثمار النضجة والمناظر الحسنة والظلال العميقة والأنهار الجارية،تبدلت إلى شجرة الآراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل [2].

﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾ ← يركز السرد القرآني في هذه الآية الكريمة على العقاب الإلهي المسلط على السبئيين بكفرهم وتركهم عبادة الله الواحد.

وجحودهم للنعم الربانية المبسوطة عليهم من كل ناحية،وفي كل زمن،لقد بطروا النعمة،فسحبت منهم،إنه الجزاء العادل ليغدو المكان السبئي في إثر هذا السلوك الجاحد متغيرا ومتقلبا إلى صورة معاكسة لما كان عليه في سابق عهده من النضارة والخيرية والجمال.

﴿ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ ﴾ ← يسفر السرد القرآني عن وجه المكان السبئي وهو يرقد في النعيم الإلهي من زروع وثمار وحسن عمران متواصل لقرى متقاربة بعضها من بعض ظاهرة لأعين الناظرين.

﴿ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ ﴾ ← جاءت الآية الكريمة لتوضح مسار الراكب والراجل من المكان السبئي إلى مكان آخر متنقلا في أوقات زمنية

[1] - لسان العرب،ج7،ص 152،مادة (سدر).

[2] - ابن كثير،تفسير القرآن العظيم،14،ج3، ص 2362.

متعاقبة " فمن سار من قرية صباحا وصل إلى أخرى وقت الظهيرة والقيلولة،ومن سار بعد الظهر وصل إلى أخرى عند الغروب "[1]،بحسب مايحتاج المسافر إليه.

﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ ←

السردية القرآنية تتحدث عن نعمة الأمن الإلهي في الطريق،ويتراءى المكان السبئي في ضوئها فضاء آمنا للسائرين إليه والمارين به،" ذلك أن الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلا ونهارا "[2].

لقد اقترن الوصف لأحوال السير المكاني في صورة أمنية تعكس الأمن خلال اليوم والليلة في حركة دائرية متوازية تبعث على الشعور بالأمن بنوعيه الداخلي والخارجي.

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ ←

السرد القرآني يبين مابدواخل السبئيين ويكشف عن نفسيتهم،فقد سئموا النعمة و لم يصبروا على العافية،فتمنوا طول الأسفار والتباعد بين الديار"[3]،إنهم لم يشكروا نعمة القرب،"وسألوا الله أن تكون المسافات بين تلك القرى بعيدة،ليتطاولوا على الفقراء،ويربحوا في التجارات ويتفاخروا "[4].

﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ ←

الشخصيات المكانية يتضح نمط تفكيرها وسلوكها في الحياة وذلك بظلم نفسها بالمعاصي وارتكاب الذنوب التي استوجبت العقاب الإلهي واستحقت سلب نعمة الراحة

[1]- القاسمي،ري الغليل من محاسن التأويل،ص 430.
[2]- ابن كثير،تفسير القرآن العظيم،ج3،ص 2363.
[3]- محمد سليمان عبد الله الأشقر،زبدة التفسير،ص 430.
[4]- القاسمي،ري الغليل من محاسن التأويل،ص 430.

والرخاء والعافية منها.

﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ ﴾ ← جعل الله السبئيين " حديثا للناس،وسمرا يتحدثون به من خبرهم،وكيف مكر الله بهم،وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيئ،تفرقوا في البلاد "[1]غاية التفريق،حتى ضرب بهم المثل فقيل " تفرقوا أيدي سبأ" [2].

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ ← السردية تحيل المتلقي على حقيقة عقدية كبرى وهي أن العقاب النازل بأرض السبئين لعبرة ودلالات واضحة لكل عبد كثير الصبر وكثير الشكر على النعم الإلهية.

النص السردي الثاني في سورة النمل :

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً

[1]- ابن كثير،تفسير القرآن العظيم، ج 3،ص 2363.

[2]- أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني،مجمع الأمثال،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم،المكتبة العصرية،بيروت،ط.1،2007 م ج،ص 6.

وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

المشهد السردي للمكان السبئي في سورة النمل

لا يكون المشهد السردي مجالا لتفاعل الحوادث ومشاعر الشخصيات القصصية فقط،بل " يقوم المشهد بوظيفة أخرى أبلغ تأثيرا في المسار السردي،حين يكون المشهد مفصلة للحركة الكبيرة التي تنتاب السرد القصصي برمته "[2].

ويتجلى هذا المعنى في المشاهد السردية في قصة الهدهد مع ملكة سبأ في سورة النمل " وهي مقطعة إلى ستة مشاهد،بينها فجوات فنية،تدرك من المشاهد المعروضة،وتكمل جمال العرض الفني في القصة،وتتخللها تعقيبات على بعض المشاهد تحمل التوجيه الوجداني المقصود بعرضها في السورة،وتحقق العبرة التي من أجلها يساق القصص في القرآن الكريم،وتتناسق التعقيبات مع المشاهد والفجوات تنسيقا بديعا،من الناحيتين : الفنية الجمالية،والدينية الوجدانية[3].

---

[1]- سورة النمل : الآيات من 22 إلى 44.

[2]- حبيب مونسي،المشهد السردي في القرآن الكريم،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،د.ط،2010 م،ص 195.

[3]- سيد قطب،في ظلال القرآن،ج5، ص 2637.

المشهد السردي الأول عن المكان السبئي

﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ ←

السردية تكشف أن الهدهد عاد من أفق مكاني قصي هو سبأ بنبأ يقين،وهو تعبير قرآني جميل يسمى في اللغة الجناس بين " سبإ ونبإ " وهما لفظتان متشابهتان في المبنى ومختلفتان في المعنى،فسبأ،مملكة تقع شرق صنعاء فيها قصر مشهور وسد مائي بناها سبأ بن يشجب بن يعرب وهي أوسع دول اليمن نفوذا [1].

ونبأ التي تعني : الخبر [2] أي الخبر الذي له شأن عظيم عند متلقيه،وقد قيد هنا بلفظ " اليقين " أي صحيح لا يتسرب إليه الشك على الإطلاق إن اللغة القرآنية في هذا المقام صورت الفكرة حتى كانت قريبة المنال قوية التأثير باللغة الدلالة ولهذا أصغى سليمان إلى الهدهد لم يتغير وجهه و لم تغضبه المبادرة إنه متشوق للنبأ.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ ←

تتجلى تفاصيل المدخل القصصي الحواري بين نبي الله سليمان والهدهد حين يفصح عن فحوى الرسالة الكلامية : " لقد كان الهدهد هناك بعيدا في مملكة سبأ باليمن حيث رأى شعبا تحكمه امرأة ذات دهاء وحزم،ومملكتها غنية بمواردها رفيعة الحضارة تجلس على عرش ضخم يبهر الألباب دليل الثراء المفرط والرفاهية العالية " [3].

[1]- كمال موريس شربل،الموسوعة الجغرافية للوطن العربي،دار الجيل،بيروت،ط.1،1998 م،ص 516.

[2]- أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني،غريب القرآن،المؤسسة الوطنية الجزائر،د.ط.د.ت،ص 194.

[3]- عبد المعز خطاب،عشرون امرأة في ضوء القرآن الكريم،مكتبة رحاب،الجزائر / د.ط.د.ت،ص 38.

﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾

السرد القرآني يباشر الوصف المكاني على لسان الهدهد بتصوير جمالي رائع للعرش الملكي الذي وصفه الرواة والإخباريون في ضوء المعنى اللغوي للعرش أي سرير عظيم أنه "كان من ذهب وفضة،وكان مرصعا بأنواع الجواهر،وقوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودرو زمرد "[1].

وهذا التصوير يبين أن " المكانية هنا مجازية تحيل على السلطان وتنفذه في حدود جغرافية بشرية معينة هي الملك"[2].

﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (النمل :24)

من هنا كان التصوير القرآني " عملية تقع على المشهد لتنقله من مجاله الغيبي إلى اللغة إلى التلقي،لتغدو الكتابة بعده كتابة مشهدية تامة التكوين والدلالة " [3].

ذكر مشهد للمكان السبئي ضمنيا مرتبطا بسلوك قاطنيه حيث يتميز المشهد بتزامن الحدث والنص [4]،بحيث نرى الشخصيات المكانية في هذا المشهد السردي تؤدي وظيفتها الانقيادية،الانحرافية لأنها أحالت على غير الله،وعبدت سواه بسجودها لإحدى مخلوقاته وهي الشمس.

المشهد السردي الثاني :

﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ (النمل :28)

السرد القرآني في سياقه اللغوي " لا يعلن في هذا الموقف عن فحوى الكتاب،فيظل مافيه مغلقا كالكتاب نفسه،حتى يفتح هناك وتعرض المفاجأة الفنية في موعدها المناسب ويسدل الستار على هذا المشهد " [5].

[1]- النسفي،تفسير النسفي،ج3،ص 304.
[2]- سليمان عشراتي،الخطاب القرآني،ص 170.
[3]- حبيب مونسي،شعرية المشهد في الإبداع الأدبي،ص 13.
[4]- سيزا قاسم،بناء الرواية،ص 95.
[5]- سيد قطب،في ظلال القرآن،ج5، ص 2639.

والحدث القصصي هنا جاء مرتبطا بالمكان السبئي من حيث هو مسافة وبعد،أي بعد بين مكانيين للمملكتين مملكة سليمان بالقدس ومملكة سبأ باليمن.

كما جاء مرتبطا بشخصيتين قصصيتين شخصية النبي الملك سليمان عليه السلام وشخصية الملكة بلقيس،بحيث أن الملك النبي " سليمان كتب كتابا وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا،فألقه إلى ملكتهم،ثم انصرف عنهم إلى مكان قريب فانظر ماذا يردون من الجواب؟"[1].

المشهد السردي الثالث للمكان

﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً ﴾

(النمل : 34)

المكان السبئي " يحيل على حمى منغلق،له قابيلة الاختراق "[2]،وذلك حين تصبح المملكة عرضة للخطر في حالة الإعتداء عليها من قبل ملوك الأرض الأقوى منها من حيث العدد والعدة.

المشهد السردي الرابع للمكان

﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾

(النمل : 35)

الحدث القصصي في هذا المشهد السردي يرتبط بالمكان السبئي يتواصل بشكل ايجابي بموطن النبوة في أرض المقدس المباركة،ويحيل شخصيات المكان على علاقة انفتاحية واعدة تجلي فيها السردية القرآنية تجربة الصمود والثبات أمام الإغراء بالعطايا والخيرات والإمداد المادي الدنيوي في معركة الاختبار للنبي الملك والكشف عن " إن كان ملكا قبل بالهدية وانصرف،وإن كان نبيا لم يقبلها،ولم يرضه إلا

[1]- وهبة الزحيلي وآخرون،الموسوعة القرآنية الميسرة،ص 380.

[2]- سليمان عشراني،الخطاب القرآني،ص 171.

أن تتبعه وقومها على دينه"[1].

المشهد السردي الرابع للمكان

﴿ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (النمل : 40)

الحدث القصصي حواري في هذا المشهد السردي يكشف عن العرش أو السرير الملكي في حالة انتقاله من المكان السبئي مقر المملكة إلى المكان المقدسي موطن مملكة سليمان عليه السلام وعلى هذا الأساس فحدث الانتقال بالعرش حدث خارق،والمكان شاهد على القدرة الإلهية المجسدة في فعل العفريت الذي هو من المخلوقات الغيبية المحجوبة عن الرؤية البصرية للإنسان العادي.

المشهد السردي الخامس للمكان

﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (النمل : 44).

الحدث القصصي الحواري للمشهد السردي ينفتح على القصر العظيم،برؤية الصرح الشامخ حسب الضيفة أنها ستخوض في تلك اللجة،فكشفت عن ساقيها خشية البلل،فكان تصرفها حسنا ولائقا بالحال،لقد تمت المفاجأة حين اكتشفت بمعونة سليمان أنه قصر مملس من الزجاج الصافي،فانبهرت بما رأت من الآيات " أنه صرح ضخم لا يمكن أن يكون من بناء الإنسان،صرح من الزجاج المبني على سطح الماء "[2] والمكانية في هذا المقام القصصي دليل إيمان، ومصدر اعتبار، وتسليم بالوحدانية المطلقة.

فالحدث القصصي في سياق النص السردي في سورة النمل يقوم تفاعل العقلي مع الغيبي في مختلف المواقف المسرودة، فاكتشاف المكان السبئي، والصلة بين المملكتين والتلاقي بين الملكة والنبي كلها أحداث جاءت وتمت بفعل خارق :ذلك أن الخطاب القرآني بمراميه الدينية قد " قص الخبر في سياقه الإعجازي، مضفيا على المكانية نفسها بعدا حركيا خارقا إذ نقل الصرح يعد من

[1] – محمد متولي الشعراوي،زبدة التفاسير،ص 438.

[2] – أحمد جاد،قصص النساء في القرآن الكريم،دار الغد الجديد،مصر،ط،1،2005 م،ص 161.

مظاهر القدرة الإلهية الخارقة للمألوف " [1].

3- المكان السبئي وجدلية التحول من الخصب إلى الجدب في سورة سبأ

شهدت آيات سورة سبأ أن المكان السبئي قد عرف تحولا [2] كبيرا من صورته المشرقة النضرة عند ما كان مخصبا غنيا بخيراته،إلى صورته الذابلة الفقيرة عندما أصبح مجدبا وشحيحا في عطاءاته،هذا التحول بين الصورتين المتقابلتين رصده النص السردي القرآني بملامحه في سورة سبأ موضحا طبيعة التغير الضدية أو المفارقية : التغير من حيث فاعلية الخصب والنماء والتغير من حيث فاعلية الجدب والإخفاء والتدمير الواقع على المكان والمؤثر سلبا على ساكنيه استقرارا أو ارتحالا ضمن التجربة الجماعية الإنسانية ومصيرها بعدما " بلغت من المجد والرسوخ والإنجاز في الحياة كل مبلغ،لكنها انهارت في النهاية " [3].

فالتغير تجسيد جلي لثنائية ضدية للمكان السبئي : الحياة ≠ الموت،الخصب ≠ الجذب،البقاء ≠ الرحيل،البناء ≠ الهدم....الخ.

وهو بهذا الشكل يعكس ظروف معاش الفرد السبئي ويحكم على الجماعات عبر أزمنة تواجدها ضمن حدود جغرافية الأمكنة وصلاحيتها للإقامة فيها ومغادرتها إلى غيرها وذلك،مرهون بتوفر معطيات الحياة فيها : الماء،الأمن الغذائي والصحي.

من هذا المنطلق الفكري التاريخي يمكن دراسة موضوع التحول المكاني أي تحول المكان السبئي من حال إلى حال أخرى في سورة سبأ من وجهتين وبصورتين.

الصورة الاولى : الحضور الجمالي للمكان السبئي

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ ﴾ [4]

[1]- سليمان عشراتي،الخطاب القرآني،ص 173.

[2]- يعرف " التحول " في دراسة المكان " بالتقاطب المكاني" وهو المصطلح الذي ارتآه الناقد يوري لوتمان في دراسته " مشكلة المكان الفني الخاص بالكشف عن دلالة الفضاء الروائي عن طريق إقامة مجموعة من التقاطبات المكانية polarités spatiale التي تأتي عادة في شكل ثنائية ضدية تجمع بين قوى وعناصر متعارضة،بحيث تعبر عن العلاقات والتوترات التي تحدث عند اتصال الراوي أو الشخصيات بأماكن الأحداث،انظر حسن بحراوي،بنية الشكل الروائي،ص 39.

[3]- كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة،الهيئة المصرية للكتابة،د،ط،1986 م،ص 67

[4]- سورة سبأ : الآية : 15.

يصادف المتلقي في هذا المقطع السردي القصصي ضرب من الحيز المكاني يتسم بجملة من المظاهر المفضية إلى تشكيل ملامح الجمال تتضافر لتنتج صورة مشكلة من : -المساكن السبئية الجنان المنقسمة إلى ناحيتين (يمين المساكن،وشمال المساكن).

وهي بهذا التنظيم ممتدة على حيز جغرافي واسع كعلامة بارزة تستدعي العين حين تنظر إليها ﴿ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ ﴾والآية في الأصل هي العلامة الظاهرة،واشتقاقها من "أي" وتستعمل في المحسوسات والمعقولات "[1].

وهي في هذا الموضع من الدراسة جاءت بمعنى العلامة،كما تعني في الوقت نفسه العبرة والعظة –والله أعلم – ولفظة " آَيَةٌ " في السياق السردي القصصي الإخباري عن المكان السبئي امتازت بالدقة في الاستعمال وصفا وتعبيرا حتى يمكن القارئ والمستمع لهذا المقطع أن " يتمثل معانيها ويستحضر المشهد الموصوف استحضارا كاملا " [2].

وهذا الاستحضار الكامل للوصف القرآني لجماليات المكان السبئي تتجلى روعته التعبيرية والتصويرية في المقاطع السردية المتنوعة والموزعة بشكلها المنتظم المحكم على مساحة النص القرآني في حلقات لصور متتابعة على النمط الآتي :

شكلت الجنان بتنوعها وكثرتها ملامح الفضاء السبئي،وأضفت عليه صبغة لونية خاصة،إذ جاءت لفظة "جنتان" في النص السردي ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ ﴾**الآية :15 بصيغة بالتثنيه وهي وصف لجنان الدنيا "بحيث جمعت كل مظاهر المتعة غير المتناهية،متعة النظر والإحساس حيث الأشجار الوارفة والظلال والعيون وطيب العيش من مأكل وشراب وأنهار "** [3].

وعظّم الله جنتي أهل سبأ وجعلهما آية،ولم يرد بمعناهما " بستانين وإنما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمائلها،وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها

---

[1]- عبد الوهاب النجار،قصص الأنبياء،مكتبة رحاب،الجزائر،ط.2،1987 م،ص 248.

[2]- محمد ناصر بوحجام،أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث 1925-1976،المطبعة العربية،غرداية ،ط.1، 1992 م،ج1،ص 131.

[3]- ابتسام مرهون الصفار،جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم،عالم الكتب الحديث،عمان ،ط،1،2010 م،ص 312.

وتضامها كأنها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها [1].

و(جنتان) الواردة في سياق الآية ﴿ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ ﴾تشبيه بليغ،أي في مساكنهم شبيه جنتين في أنه مغترس أشجارا ذات ثمر متصل بعضه ببعض،فكانوا يتفيؤون ظلالهما في الصباح والمساء ويجتنون ثمارها من نخيل وأعناب وغيرها [2].

هذا المعنى الذي تنبه إليه صاحب تفسير التحرير والتنوير ينسجم مع كلام العرب ويترل على طريقتهم في التعامل اللغوي بأن الجنة تعني "الحديقة ذات الشجر والنخل وفيها تخصيص : لا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب،فإن فيها ذلك،وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجنة "[3].

أما الزمخشري في أساس البلاغة فقد حد الجنة بأن جعلها مقترنة بالستر [4] دون أن يحدها بضرب من الأشجار.وأدخل غيره الحدائق وضروب الشجر ضمن دلالة معنى الجنة المعبر عنها لغويا بالرياض والمنابت والأشجار والحدائق.

ووفق هذا التفسير اللغوي فسر ابن كثير الجنة أي بستان من أعناب،محفوف بالنخل المشتمل على أنواع الثمار [5].

إن الحديقة غير الجنة يدل على هذا مواضع استعمالها في القرآن الكريم واللغة،فالجنة أكثر شمولية لأنواع الزروع والأشجار نخيلا وأشجارا،وأكثر تكاثفا،وهذا واضح من دلالتها اللغوية التي اشتقت منها الكلمة وهو قولهم جن إذا استتر وغطى وأظلم [6] وهي صفة لا تظهر في الحدائق،وإنما في الجنان،لتكاثف أشجارها وستر ما وراءها.

وفي ضوء هذا التوضيح اللغوي يتجلى لفظ " الجنتين " في الاستعمال القرآني،وقد جمع في معانيه الظل والماء والثمر في آن واحد،حينها،ترجع دلالة المادة في الأصل اللغوي إلى

---

[1]- جار الله الزمخشري،الكشاف،ج3،ص 515.

[2]- محمد الطاهر بن عاشور،تفسير التحرير والتنوير،ص 166.

[3]- ابن منظور،لسان العرب،ج3، مادة (جنن) ص 221.

[4]- مادة (جنن) ص 141.

[5]- ابن كثير،تفسير القرآن العظيم،ج3، ص 1772.

[6]- السجستاني،غريب القرآن،ص 67.

معنى الخفاء، ويلحظ الستر والخفاء،قيل جن عليه الليل،وقيل للأرض المغطاة بالشجر والزرعة جنة [1].

وفي ضوء هذا التفسير اللغوي يتضح معنى الجنة في المقام السردي القصصي ليدل على "كل مكان ظليل تتوافر فيه المياه والثمار والحياة الطيبة " [2].

وبهذه الدلالة الرائعة للفظ "الجنة" يمنح البيان القرآني للمكان السبئي امتدادا جماليا مفتوحا على الخصب والنماء.

هذا ما نلمسه بوضوح في النصوص السردية التي جاءت شاهدة لقصة المكان السبئي وهو يرفل في العطاءات الربانية ردحا من الزمن،كما يستنشقه المتلقي والقارئ في اعترافات الرحالة في مروياتهم حين أعادوا رسم مرئياتهم بعد رجوعهم في شكلها الشفاهي والكتابي العاكس للمشاهد الحية لصورة الجمال والبهاء والخصب لأرض الجنتين حين " صادفتها الطبيعة فأحسنت إليها ووهبتها هبات،وهبتها أمطارا موسمية وجوا معتدلا في المرتفعات،وجوا لطيفا في الجبال" [3].

ولا شك أن وصفا بهذا الوضوح يرسم للمكان السبئي صورة ناصعة مرتكزا على الكلمة المفتاح في النص السردي القرآني وفي "الجنتين" التي تحيل بمعناها على الألفاظ الدالة على اللون الأخضر الذي بدوره يمنح المكان تنوعا مفتوحا على الخصب.

هذا الخصب الذي يحمل معنى الخير العميم للناس والدواب،جاء مرتبطا بالمكان السبئي ارتباطا وثيقا وهو يعطيه سمة النماء والنضارة،ويصفي عليه ألوانا من الغنى والثراء لأهله،وذلك بوجود " جنتان عن يمين مساكنهم وشمالها ملتفتان بأنواع الشجر،وهي من أطيب أرض الله وأزكاها" [4] .

---

[1]- عائشة عبد الرحمان،التفسير البياني للقرآن الكريم،دار المعارف،القاهرة،ط6،2005،ج2،ص 62، وردت لفظة جنة وجنات في القرآن نحو مائة وعشرين مرة،على أنها جاءت بدلالتها الأولى على الجنة المعروفة في الدنيا،مفردة في تسع آيات،ومثناة في خمس آيات،واثنتي عشرة مرة بصيغة الجمع،لجنات الدنيا،والسياق هو الذي يحتكم في تحديد هذه الدلالة،انظر المرجع نفسه.

[2]- سميح عاطف الزين،الأمثال في القرآن الكريم،ص 178.

[3]- ناجي معروف،أصالة الحضارة العربية،دار الثقافة : بيروت،ط3، 1975م،ص75.

[4]- البلخي،البدء والتاريخ،ج 3،ص 132.

إنه مكان خصيب "[1]،أي كثير خيره.

هذا الخير على إطلاقه قد غمر المكان السبئي بتشكيلات متنوعة من المحاصيل الزراعية والنباتية والعطرية حتى قيل : "فاقت سبأي الجميع ثروة بما يتوافر في أرضها من أدغال ذات عطور ومناجم ذهب وأمواه للري وهي تنتج العسل والشمع بكثرة.....إنها أغنى بلدان الأرض قاطبة" [2] « La fabuleuse Saba .....cachèrent des richesses incalculables » [3]

المكان السبئي كان " أخصب أرض اليمن وآثراها وأغدقها وأكثرها جنانا وغيطانا وأفسحها مروجا...."لقد كانت أخصب بلاد الله.....يسير فيها الماشي بين الجنان من أولها إلى آخرها لا يفارقه الظل مع تدفق الماء وصفاء الأنهار واتساع الفضاء " [4].

فبموجب هذه العطاءات والإمدادات الإلهية النازلة من السماء لأرض الجنين سبأ،وبكل هذه الخيرات المباركات التي تخرج منها إلى الناس،تتشكل اللوحة المكانية من الخضرة والماء والوجه الحسن والهواء العليل الذي يملأ الأجواء السبئية،"فتخرج من كامل البلاد روائح عطر البخور المنعش والمريح للنفس " [5].

إنه العطاء الرباني الجاري للسبئين،إنه الرزق الحلال الموجه إلى المكان السبئي وأهله لينتفعوا به في حياتهم ويضمن لهم البقاء والاستقرار ويعطيهم الصحة والعافية.

2-حيز الخصب

يندرج المكان السبئي ضمن دائرة "اليمن الخضراء" بامتداده الجغرافي على أراضي الخصب والنماء كما تفصح عنه وصف المرويات والمرئيات التاريخية القديمة التي أجمل تصويرها المسعودي في سفره القيم مروج الذهب بقوله : " أن أرض سبأ كانت من أخصب أرض اليمن وأثراها وأغدقها وأكثرها جنانا وغيطانا وأفسحها مروجا بين بنيان حسن مقيم وشجر موصوف

---

[1]- أخصب المكان،وخصب،وقع فيه الخصب،ومكان مخصب وخصيب،ومن المجاز فلان خصيب الرحل : أي كثير خير المنزل،وفي الحديث النبوي :" إن الله ليحب البيت الخصيب " انظر أساس البلاغة،سر مخشري،ص 224 (مادة خصب)

[2]- فليب حتى وآخرون،تاريخ العرب المطول ،ج1،ص 61.

[3] -Albert champdor ،les ruines de pètra ،libiraire d'amérique et d'orient ،paris ، 1979 ، p54.

[4]- الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس،ج1،ص 263.

[5]- عدنان ترسيسي،حضارات العرب الأولى،ص 15.

ومساكب للماء متكاثفة وأنها متفرقة،وكانت على مسيرة شهر للراكب المجد على هذه الحال،وفي العرض مثل ذلك وإن الراكب والمار كان يسير في تلك الجنان من أولها إلى أن ينتهي إلى آخرها لا تواجهه الشمس ولا يفارقه الظل لاستتار الأرض بالعمارة الشجرية واستيلائها عليها وإحاطتها بها،فكان أهلها في أرغد عيش وأرفهه وأهنأ حال وهم في نهاية الخصب وطيب الهواء وصفاء الفضاء،وتدفق المياه وقوة الشوكة واجتماع الكلمة ونهاية المملكة،فكانت بلادهم في الأرض مثلا وكانوا على طريق حسن من أتباع شريف الأخلاق وطلاب الفضائل على القاعدة والسافر بحسب الإمكان وما توجيه القدرة من الحال،فبقوا على ذلك ماشاء الله من الأعصار،لا يعاندهم ملك إلا قصموه ولا يوافيهم جبار في جيش إلا كسروه،فذلت لهم البلاد وأذعن لطاعتهم العباد،فصاروا تاج الأرض،وكانت المياه التي هي أكثر مايرد أرض سبأ تخرج من تلك الأنقاب في مجاريها حتى تأتي الجنان فترويها سقيا وتعم شرب القوم،وقد كانت أرض سبأ قبل ما وصفنا من العمارة والخصب يركبها السيل من تلك المياه " [1].

هذه الصورة المكانية التي سبقت الإيماءة إليها في نص المسعودي تحيل المتلقي لها سمعا وبصرا على حيز أرضي معشوشب، حيث "الماء والظل والدفء والاعتدال والشجر المخضر الذي ينضر ثم يزهر ويثمر، فتراه يتخذ منابته المخضوضرة في جنبات الأودية السحيفة التي لا تكاد تلقي لها مثيلا في العالم،والاعتدال الدائم على وجه الأرض " [2].

وهكذا شكلت الجنات معالم المكان السبئي وأضفت عليه اللون الأخضر الذي " يعد من أكثر الألوان المحبوبة ذات الإيحاءات المبهجة،لارتباطه بأشياء مبهجة في الطبيعة بالنبات وبعض الأحجار الكريمة كالزمرد،ثم جاءت المعتقدات الدينية لتعمق من هذه الإيحاءات حين استخدمت اللون الأخضر للخصب والرزق وفي نعيم الآخرة "[3].وكلها أمور تبعث على التفاؤل وبالجمال المستمد من جمال الطبيعة،والباب الذي نوحي به خضرة النبات الغض الرطب الذي يدفع بالعربي المسلم حين يسأل ربه العطاء والخصب أن يقول " اللهم اجعلها علينا سنة خضراء.

تكون في إثرها الأرض يابسة هامدة شاحبة يترل الله الماء من السماء فترتوي،وتنتعش،فتنبت من كل زوج بهيج، وحينها يكتسي وجهها حلة قشيبة خضراء ينتفع بها

---

[1]- المسعودي،مروج الذهب،ج2،ص 67.

[2]- عبد الملك مرتاض،السبع المعلقات ،دار البصائر والتوزيع،الجزائر،ط،2012 م، ص 106.

[3]- عبيدة صبطي،ونجيب بخوش،الدلالة والمعنى في الصورة،ص 40.

الناس والدوام والأنعام،مصداقا لقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [1].

مخضر أي : ذات خضر كما تقول مبقلة ومسبعة،أي ذوات بقل وسباع،وهو عبارة عن استعجالها.

أثر نزول الماء بالنبات واستمرارها كذلك عادة،وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة الاخضرار مع الإشعار بتجدد الإنزال واستمراره [2].

وقد ورد في الحديث النبوي لفظة "الخضراء" مرتبطة بمعاني الخير والجمال والعطاء مثل قوله صلى الله عليه وسلم :(مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء،لا يسقط ورقها ولا يتحاتت)[3].

إن تداخل ذكر الأشجار مع اللون الأخضر في مقام السردية القرآنية في توصيفها وتصويرها في حديثها عن الخصب والرزق يجعلها تمد المكان بالظلال فيبعث الإحساس بالجمال المتناهي ووفق هذه الدلالة تكون الجنات من الألفاظ الدالة على اللون الأخضر.

ولا شك أن للاخضرار بامتداده على الحيز السبئي قد "حقق التوازن والتناغم بين المشهد المكاني وشجع الناظر إليه على التحمل والفهم،طالما أن "اللون الأخضر ملطف ومهدئ على الجسم والعقل "[4]،فعالم الخضرة يصبح عظيما في صغره وحادا في رقته وطازج الحيوية في خضرته[5].

ومن منطلق جمالية اللون الأخضر في علاقته بالمكان الخصب تجلت صورة الحيز الزراعي السبئي "بمساحتها الخضراء وحضورها كخلفية مكانية لا يجعلها تنهض بوظيفة تزيينية أو تلبي تصورا فنيا فحسب و"إنما ستأتي منظمة لكثير من الدلالات الذهنية والإيديولوجية التي ستخبر عن الوشائج القائمة بين محيط الإنسان ووعيه بالمظاهر الطبيعية، وما تولده لديه من مشاعر البهجة والألفة "[6].

---

[1]- سورة الحج : الآية 63.

[2]- الشوكاني،فتح القدير،ص 972.

[3]- محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري،صحيح البخاري،تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر،دار دوق النجاة،ط.1،1422 هـ،ج8،ص 29.

[4]- عبيدة صبطي ونجيب بخوش،الدلالة والمعنى في الصورة،ص 51.

[5]- مختار علي أبو غالي،المدينة في الشعر العربي المعاصر،عالم المعرفة،الكويت،العدد 196،أفريل 1995،ص 35.

[6]- حسن بحراوي،بنية الشكل الروائي،ص 52.

على هذا النحو تأسست بنية المكان السبئي الراقي على عناصر ثلاثة متضامنة فيما بينها الماء والظل والمجال الأخضر.

وعلى هذا النحو عاش السبئيون في "نعمة ورخاء وسرور وهناء "[1]،في أغنى جزيرة العرب وأخصبها [2].

3-الحيز المائي

أولى السرد القرآني في سورة سبأ عناية كبيرة للخصب والماء،وذلك في آيتين كريمتين: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾الآية : 15 وفي القرآن إشارة سردية واضحة للحيز المائي الواسع الذي هو مصدر الحياة،فيه تخصوصب الأرض وترفل في حللها المخضوضرة،كما ينشأ في ذلك من جمال بديع لمشهد الأرض.

وللماء دور حيوي في حياة الذين استوطنوا المكان، حيث أقيمت حضارة العرب الأولى التي نهضت على ضفاف الوديان والأنهار الكبيرة،وازدهرت في مجالهما الزراعي إذ "الماء أساس الخصوبة وحياة ماينبت فيها "[3].

ونظرا لتلازم الخصوبة بالماء وارتباطها به كشرط أساسي،عمد السرد القرآني إلى إسقاط المراحل مكتفيا بالتركيز على ذكر الجنان والرزق والبلدة الطيبة،وذلك على خلفية التداخل الطبيعي بين هذه العناصر المذكورة في سياق النص السردي القصصي عن المكان السبئي في سورة سبأ والذي يفهم منه ضمنيا أن الماء والرزق كل واحد منهم يستوجب وجود الآخر بالضرورة.

هذا الصنيع القرآني فيه إماءة ضمنية إلى وجود الماء كعنصر حيوي في عملية الإنبات وإخراج الزرع والثمار التي هي مكمن الرزق للعباد من الأرض بفعل السقي سواء بماء الأمطار أو ماء الأنهار والوديان والسدود.

هذه الإشارة القرآنية التي جاءت غير معلن عنها بلفظ صريح في مقام تذكيري بقصة السبئيين وما حدث لهم في غابر الأزمان ضمن فهم واستيعاب فاعلية السنن الإلهية في الذين مضوا

---

[1]- الموسوعة العربية العالمية، ج12،ص 97.

[2]- غوستاف لوبون،حضارات العرب ،ترجمة:عادل زعيتر،مطبعة عيسى لباني الحلبي وشركاؤه،مصر،ط.4،1964 م، ص47.

[3]- علي البطل،الصورة في الشعر العربي،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،ط.2،1981 م،ص 74.

فبالرغم مما حباهم به المولى عزوجل من الآلاء والعطاءات إلا أنهم أعرضوا وكفروا وجحدوا ذلك،فكان عاقبة أمرهم تسليط العقاب الإلهي عليهم بمختلف أصنافه وعلى فترات متباعدة.

وعلى هذا يلاحظ المتلقي للنص القرآني أنه : في مقام التذكير بالعطاء الرباني والتعبير عن الخيرات لما تخرجه الأرض السبئية،سكت السرد القرآني عن ذكر الماء متجاوزا مراحل الإنبات والزرع والحصاد والجني،فاسحا المجال للقارئ أن يتدخل مفسرا الفراغات النصية المتروكة قصد أو ملؤها بما يتناسب وينسجم مع معطيات الصورة المكانية في مظهرها الخارجي.

اعتبارا أن " الفراغات النصية شكل جمالي يقصد به استدعاء المتلقي بغية المشاركة المنتجة"[1]، وذلك لحظة التلقي البصري للمشهد المكاني وهو يحيل ذهن الناظر إليه ويحفزه على استدعاء مخزونه المعرفي المنظم والمترابط في إدراك الصلة الوثيقة بين الأرض والماء فالماء يحي الزرع ويبعث الحياة فيه من جديد " فتستحيل الفضاءات الميتة وقد تغير وجهها،واستعادت حياتها وخصوبتها"[2].

وهكذا فإن فاعلية الماء تتجسد في الرزق،لأن سبب في رزق العباد ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾[3] أي مطرا،فهو سبب حياة كل شيء[4].

والمعنى المراد في هذا المقام التذكيري هو بيان دلائل القدرة الإلهية حين " يترل لكم من السحاب مطرا،يكون سبب الرزق،فجمع تعالى بين قوام الأرواح وقوام الأبدان " [5].

واللافت في هذا النص التفسيري أن لفظة الرزق استخدمت بدلالة معناها اللغوي الأصلي وهو " العطاء الجاري في الحكم على الإدراك ولا يكون الرزق إلا حلالا،والرزق اسم لما يملك صاحبه الانتفاع به "[6].

ثم انتقلت إلى الاستخدام المجازي الذي "يعني المطر سموه رزقا،لآن المطر يسبب الإنبات الذي

---

[1]- كريمة بلخامسة،المتلقي وآليات التأويل في رواية نجمة ومسرحية كاتب ياسين،مجلة الخطاب،منشورات مخبر تحليل الخطاب،جامعة تيزيوزو،الجزائر،العدد 6،جانفي 2010 م،ص 123.

[2]- حسن مسكين،الخطاب الشعري الجاهلي،ص 54.

[3]- سورة غافر / الآية :13

[4]- صلاح الدين أرقة دان،مختصر تفسير القاسمي،ص 468.

[5]- وهبة الزحيلي وآخرون،الموسوعة القرآنية الميسرة،ص 369.

[6]- أبو هلال العسكري،في فروق اللغة،ص 282.

منه طعام الناس "[1]،ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة :

رزقت مرابيع النجوم وأصابها ودق الرواعد : جودها فرهامها

ومعنى البيت :رزقت الديار والدمن إمطار الأنواء الربيعية فأمرعت وأعشبت،وأصابها مطر ذوات الرعود من السحائب من كان منه بالغا مرضيا أهله وماكان لينا سهلا،وتحرير المعنى : أن تلك الديار ممرعة معشبة لترادف الأمطار المختلفة ونزاهتها [2].

من هنا جاز القول أن السياق السردي القرآني اكتفى بالإشارة إلى الدلالة اللغوية للماء ضمنيا مستعينا في رسم صورة المكان بلفظتين مهمتين هما (جنتين) (رزق)،ذلك أن الجنان والأرزاق لا يمكن تواجدهما إلا بوجود الماء،وعلى هذا الأساس تمت الإشارة القرآنية إليهما لا سيما وأن المقام استدعى الذكر لأنه مقام تذكيري بالنعم الربانية لكل جاحد أو معرض.

وعلة خلاف ذلك عند ما عبر عنه السرد القرآني وكان المقام مقام وعيد وعقاب إلهي – عن الماء في شكل مطر متهاطل بغزارة على المكان السبئي (فأرسلنا عليهم سيل العرم).

إن ذكر السيل تحديدا في الآية الكريمة يحمل دلالة لغوية تحيل القارئ على معنى الكثرة والغزارة المائية والتي ستكون لاحقا عاملا حاسما في تغير وجه المكان السبئي من حالة الخصب والرخاء إلى حالة الجدب والخراب.

وهذا التوسع الدلالي للفظة الماء كعنصر حيوي تضع المتلقي معرفيا أمام وظيفتين للماء على وجه الدقة : فالماء قد يكون عنصر إحياء ورمز للخير والنماء،أو يكون عنصر للإماتة ورمز للجدب والجفاف[3].

4-الحيز العمراني

كشف السرد القرآني عن الحيز العمراني السبئي البهي ضمنيا مرتكزا في رسمه لصورة المكان خارجيا على المعلم المعماري البارز والمتمثل في العرش الملكي،واصفا إياه بالعظمة ﴿ **وَلَهَا**

[1]- حسن إسماعيل،الدلالات الحضارية في لغة المقدمة عند ابن خلدون،دار الفارابي،بيروت،ط.1، 2007 م،ص 398.

[2]- أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني،شرح المعلقات السبع،تحقيق : طلال أحمد،دار الكتاب الحديث ،القاهرة،ط.1،2002 م،ص 90.

[3]- لنا عودة مرة أخرى لتفصيل هذه الفكرة وفهم مدلولاتها اللغوية المتنوعة،على مستوى التقاطب أي التضاد المكاني في حالتي الخصب ≠ الجدب،العمارة ≠ الخراب...الخ في مكانه المخصص من هذه الدراسة،وذلك حين الحديث عن التخفي أو انهدامية المكان السبئي.

﴿ عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾.

والعرش عند أهل اللغة بإجماع هو سرير الملك [1]،يدل على ذلك سرير ملكة سبإ فسماه الله عزوجل عرشا فقال عز من قائل: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾[2]،والعرش يدل على ارتفاع في شيئ مبني [3].العرش : سرير الملك [4]،وهذا صحيح،قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[5].أي أجلسهما معه على السرير الذي يجلس عليه كما هو عادة الملوك [6]،فيكون المعنى اللغوي على هذا كرسي الملك ثم استعير لغير ذلك،من ذلك عرش البين سقفه،وقيل لأمر الرجل وقوامه عرش فقيل،ثل عرشه أي وهن أمره وذهب عزه [7]،قال زهير :

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها وذ بيان إذ زلت بأقدامها النعل[8]

ومعنى ثل عرشها،أي : أصابها ماكسرها وهدمها،أي هدم بناؤها وذهب عزها.

ويفهم مما سبق ذكره أن كلمة (العرش) استخدمت بمستويات لغوية مختلفة،ذلك أن تعبير (العرش) يعني سرير الملك،كما يعني كرسي الملك وكذا مجلس الملك،وكلها معان متقاربة في الدلالة على علو الشأن ورفعة المنصب والمكانة المرموقة السامية، وإن كانت كلمة العرش في الوقت نفسه تأتي مستعارة لغير ذلك لكنها أسمى في دلالتها اللغوية وذلك حين يتعلق الأمر بالذات الإلهية وما يرتبط بعالم الغيب كعرش الباري سبحانه أي وعرش الرحمان ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[9]، وفي حديث بدء الوحي : (فلما قضيت جواري) أي مجاورتي واعتكافي (فاستبطنت

[1]- ابن منظور،لسان العرب،ج10،ص 96 مادة (عرش).
[2]- سورة النمل : الآية : 23.
[3]- ابن فارس،مقاييس اللغة،ج2،ص 238،مادة (عرش).
[4]- السجستاني ن غريب القرآن،ص 140.
[5]- سورة يوسف : الآية : 100.
[6]- محمد سليمان عبد الله الأشقر،زبدة التفسير،ص 247.
[7]- محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي،مختار الصحاح،ص 178 مادة (ع رش)
[8]- الأعلم الشنتمري،شرح شعر زهر بن أبي سلمى،تحقيق : فخر الدين قبادة،دار الفكر،دمشق،د.ط،2002م،ص 41.
[9]- سورة طه : الآية :5.

(فاستبطنت الوادي) أي صرت في باطنه (فإذا هو على العرش)[1]،وفي رواية: "فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي،فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي" بين السماء والأرض،يعني جبريل على سرير وفي حديث رسول اله صلى الله عليه وسلم الذي رؤاه زهير بن حرب قال:. "فرفعت رأسي،فإذا هو على العرش في الهواء".

وقد ورد أن العرش مجلس الرحمان،وأما ماورد في الحديث الذي رؤاه جابر بن عبد الله عن رسول اله صلى الله عليه وسلم من وجهين: " اهتز عرش الرحمان عز وجل لموت سعد بن معاذ " [2] و"اهتز العرش لموت سعد بن معاد"أي اهتز عرش الرحمان لموت سعد،وهو كناية عن ارتياحه بروحه حين صعد به لكرامته على ربه.

أما قوله: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾[3]، وعروشها هنا تعني سقوفها،يعني قد سقط بعضها على بعض،وأصل ذلك أن تسقط السقوف ثم الحيطان عليها [4].

والمعنى الذي تتبعه هي هذا الموضع من الدراسة لكلمة "العرش" بدلالتها اللغوية الناصعة هي سرير الملك أو المجلس الملكي،والذي يمكن من خلاله الكشف عن عظمته وجماله البهي كما أفصحت عنه آيات سورة النمل في قوله عزوجل ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ الآية : 23،ورصدت جماليته المصادر التاريخية والأدبية القديمة.

ولتلمس مواطن الجمال والبهاء في التصوير والتعبير عن فخامة وعظمة عرش الملكة السبئية : ودوره في تأثيث المكان السبئي ضمن المعالم المعمارية البارزة في تشكيل واجهة المكان : والتي يمكن للمتلقي أن يستمتع بها عن طريق النظر إلى الجمال المعماري الذي امتدت ظلاله إلى كامل المكان،فأضحى صورة للفن الحضاري الراقي الذي يعكس مستوى الترف والغنى لأصحابه من أهل سبأ.

---

[1]- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسبوري،صحيح مسلم،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي بيروت،ج 1 ،ص 144.

[2]- صحيح مسلم،ج4،ص 1915.

[3]- سورة الحج : الآية : 45.

[4]- ابن منظور،لسان العرب،ج10،ص 96،مادة (عرش).

وعلى هذا الأساس يتواصل المتلقي ويتعرف على نمط العمران العمارة السبئية،وذلك بمسح حقلي بصري على خصائصها المظهرية لعمارة القصر الملكي بعرشه العظيم،ليكشف أن جماليات المجلس الملكي بأبهته وأناقته هو "انعكاس للحياة اليومية في المملكة السبئية وحياة المجتمع السبئي على المدى الطويل ذلك أنه " لابد من ربط العمارة والعمران بجميع العناصر المحيطة بها كانت اجتماعية أو مادية " [1].

وتأسيسا على قراءة الصورة المكانية على هذا النحو البصري يلاحظ أن وجود لفظة "العرش " مقترنا بالعظمة في النص القرآني،يعطي فسحة سمعية وبصرية للمتلقي أن يتملى الصورة مع تذوق براعة الاقتصاد اللغوي وتكثيف العبارة القرآنية "العرش " المشحونة بدلالة العلو ورفعة الشأن وقوة الملك والسلطان،لتبدو في النص السردي مترابطة مبنى ومعنى،وهذا يسهل تحسس جمال وعبقرية الأداء السردي القرآني في عرضه لجمالية المكان السبئي،ولاشك أنه لهذا الانسجام والإيقاع المنبعث من داخل كلمة "عرش" بظلها وجرسه الخاص يمنح للفنية قيمتها في بيان الغرض الديني والهدف الاعتباري الذي ترمي إليه بحيث يجعل الفن وسيلة لخدمة الهدف الديني و" يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني،فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية "[2].

[1]- محمد عبدالعال،العمران والعمارة في الوطن العربي،ص 23.

[2]- سيد قطب،التصوير الفني في القرآن،ص 171.

المبحث الثاني

المكان السبئي بين جمالية العمارة والحضور وتداعيات الانهدام والخلو في النصوص

أولا: المكان السبئي والتلقي في حضرة النص الأدبي.

ثانيا: التلقي السمعي لقصة صاحبة العرش الملكي في المخيال العربي "

ثالثا: المكان السبئي ومشهد الانهدام الحضاري بين الرؤية العربية والمنظور القرآني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل:

حفلت النصوص الأدبية قديمها وحديثها بذكر "سبأ" حاضرة اليمن الخضراء وعاصمة البلاد السعيدة كما أسماها مؤرخو اليونان، وعروس الجزيرة العربية والجوهرة اليتيمة في بلاد العرب وإحدى جنان الأرض[1].

ولا شك أنَ اعترافا تاريخيا كهذا يفتح مجال التلقي بنوعيه السمعي والبصري ويثير كوامن الشغف والتطلع والإغراء لدى المتلقي ويدفع به إلى تتبع مشاهد التجلي الجمالي المبثوث والمنثور فوق الأراضي السبئية الرائعة مظهرا ومخبرا، والمزدانة بواجهة معمارية غاية في حسن فن الهندسة المتطور الذي يعكس رقي المملكة العظمى سبأ.

التي ظل وسيظل اخضرار أراضيها وانسكاب مياهها وعذوبته، واعتدال هوائها جانب رقي عمارة قصورها ومعابدها ومنازلها يأسر ألباب المؤرخين والرحالة والأدباء وعلى رأسهم الشعراء ورواة مجالس القص والحكاية الذين شهد لهم زمنهم بحسن الرواية وبراعة الأداء السردي وما نسجه المخيال العربي القديم حين تم "إخضاع المحكي الشفوي إلى تحوير وإضافات عملت على توسيع المتخيل وإخصابه "[2] بتفسيرات أسطورية وعجائبية عن الفردوس الأرضي المفقود المنفتح على عوالم الحلم بجنة عدن وما تختزنه الذاكرة الجمعية عن سبأ المملكة وصاحبة العرش الملكي بلقيس وما ألصق بقصتها من خرافات وحكايات غريبة تحكى لتدغدغ حاسة السمع متلقيها وترهفه بالمسامرات الحكائية الليلية، وتغري البصر بتتبع مشاهد المكان السبئي كما تتبعها بالوصف والتصوير الرواة وما سجلوها في أسمارهم وأسفارهم وأشعارهم.

ولاقتفاء جمالية المكان السبئي حيزا زراعيا وعمرانيا وتملي صورته المبثوثة في تضاعيف التشكيل الهندسي المعماري المتنوع، وهو يصنع بمناظره الخارجية الوجه السبئي الرائق والوديع في النصوص الأدبية على النحو الآتي:

أولا: تلقي المكان السبئي وتضاد الأمكنة.

1- تلقي بصري للمكان السبئي وجمالية الحضور.

---

[1]- عبد الله عبد السلام الحداد، صنعاء تاريخها ومنازلها الأثرية، دار الآفاق العربية، ط،1، 1999 م، ص 10.

[2]- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط،1، 2006 م، ص 94.

2- تلقي سمعي للمكان السبئي وتداعيات الانهدام.

ثانيا: تلقي المكان السبئي الخاوي

أولا: تلقي المكان السبئي وتضاد الأمكنة في حضرة النص الأدبي:

شغلت قصة المكان السبئي بحضوره البهي المشرق مرتبطا بشخصيته البارزة الملكة بلقيس وعرشها الملكي العظيم، وما كان من خبرها العظيم أيام الرخاء وازدهار المملكة السبئية، ثم انقلاب هذه الصورة بفعل حادثة خراب سد مأرب الشهير، وما خلفه من جدب وقحط لأصحاب البلدة السعيدة، حيزا مهما في المرويات الأدبية، والتي جاءت نصوصها حاملة لتداعيات المخيال العربي الخصب في تشكيله لصورة المكان السبئي في حالتي العمارة والخراب، ومانتج عن ذلك من تضاد وتقاطب مكاني ملحوظ بين صورته ماضيا يجسد زمن الحضور والتألق والخصب والرفعة والألفة والوجه الحسن، وبين زمن الغياب والتراجع والجدب والتمزق حين غدا طللا دارسا خاليا من الأنس مفتقرا للحضور الإنساني المعهود.

ووفق هذا التصور العام جاءت النصوص الأدبية مصورة ملامح المكان السبئي في لحظات مجده وعزه وعمارته وهي تشكل سياجا للحماية والأمن للملوك والأمراء والسادة، وفي لحظات انتكاسه وتقهقره وخلوه.

كما شكلت صورة الملكة بلقيس، الشخصية المكانية تواجدا مميزا في المصادر الأدبية على أكثر من صعيد.

1- التلقي البصري للمكان السبئي وجمالية الحضور في النص الشعري - بين فنية التشكيل وجمالية الصورة -:

رصدت النصوص الشعرية ملامح المنظر الخارجي للمكان السبئي في أشكال وصور متعددة واصفة إياه بالبراعة الفنية وجمال الزخرفة التي تجلت في بناء القصور والمعابد والسدود وفخامتها وتناسقها في طابع متأنق ومتألق وسط حيز زراعي أخضر ويمكن تتبع هذا التأنق والتألق الحضاري على الأرض السبئية الذي تجلت صورته في:

تقنيات وصف المكان السبئي عند الشعراء

الوصف من أهم الأساليب المستخدمة في تجسيد المكان في أحواله وهيئاته كما هي في العالم الخارجي إذ "الوصف يتناول الأشياء في مظهرها الحسي ويقدمها للعين، إنه لون من التصوير يخاطب النظر، ويمثل الأشكال والألوان والظلال [1].

وعلى هذا الأساس جاء الوصف الحسي للمكان السبئي بحضوره الجمالي متموضعا في النصوص الشعرية العربية بأشكال وألوان وظلال تصويرية وتعابير فنية، كان لها وقعها الدلالي والحسي والذوقي عند السامع والناظر إلى صورة المكان وهو يقف على وصف الفضاء السبئي عند الكلاعي:

هي الخضراء، فاسأل عن رباها يخبرك اليقين المخبرونـــــا

ويمطرها المهيمـــن في زمـــان به كل البرية يظمئونـــــا

وفي أجيالها عـــــز عزيـــــز يظل له الـــورى متـــقاصرينا

وأشـــجار منـــورة وزروع وفـــاكهة تـــروق الآكلينـــا

ينفتح النص الشعري للهمذاني على عوالم الفضاء السبئي اليمني الممتد على مساحة واسعة مخضرة حيث الماء الغزير يروي البساتين اليافعة،ليبعث فيها الحياة،فتثمر زرعا يأكل الناس منه،إنه مكان خير معطاء لأصحابه، يجود عليهم في كل آن بأنواع الثمار والفواكه التي تروق أذواق الآكلينا منها.

والمكان الموصوف هنا أضفى عليه الشاعر كل ألوان الزينة والبهاء ليتجلى في عين متلقيه – سماعا وقراءة- كروضة من رياض الجنة الأرضية التي بعطائها منحت سكانها عزا وشرفا ومجدا تتقاصر أمامه تواريخ وأنساب أقوام وأمم أخرى.

فالموقف من المكان السبئي بالنسبة للشاعر أعطى للمتلقي رؤية كاملة عنه وما يختلج في نفسه من أحاسيس وما يعانيه من مشاعر تجاه هذا المكان.

هذه الرؤية للمكان السبئي كانت إيجابية متمثلة في الألفة والمحبة والقرب والإعجاب

[1]- سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 111.

والانسجام والتوافق مع معطياته بتجليها الجمالي.

ويعضد هذا الإحساس بالمكان وطيبته والتغني بمنظره الخارجي النضر الذي يبعث على الغبطة والسرور والارتياح في نفوس ساكنيه قول الشاعر المثلم بن قرط البلوي [1].

ألم تر أن الحي كانوا بغبطة بمأرب إذ كانوا يحلونها معا [2]

والأبيات الشعرية تحيل بمعناها ودلالتها اللغوية على مكان أودع الله فيه من البركة في جميع الأشياء، وكان يسمى الخضراء، لكثرة المزارع والنخيل والأشجار والثمار والمراعي والريع.

وفي هذا المكان نلمس علاقة ارتباط بين الذات الإنسانية (أصحاب الحي) والمكان السبئي "هذه العلاقة الارتباطية بين الساكن والمسكن أشبه بأن تكون علاقة الروح بالجسد لذلك كان له حضور ادائما في الوجدان البشري "[3].

فالمكان السبئي في إثر هذه العلاقة الأليفة كان مصدر غبطة وسرور وفرحة لساكنيه.

هذا الوصف السردي لجمال المكان هي التي أغرت الشاعر فقال:

من هذه الأرض هذه الأغنيات، ومن رياضها هذه الأنغام تنتثـــــر

من هذه الأرض حيث الضوء يلثمـــها وحيث تعتنق الأنسام والشجر[4]

2-تلقي المكان السبئي بين فنية المعمار وجمالية الصورة في النصوص الأدبية

جاء وصف المعمار السبئي بمعالمه المتنوعة في النصوص الأدبية بما ذاع له من صيت وشهرة جعله يبدو في أعين الأدباء آية في الجمال والأبهة، خصوصا من حيث براعة هندسته التي برزت في الوحدات أو المعالم المكانية:

القصور وجمالية الصورة

عرفت سبأ بقصورها الضخمة والفخمة القائمة في الفضاء السبئي المترامي الأطراف بأسماء

---

[1]- شاعر جاهلي.

[2]- خليل مارون، شعراء الأمكنة وأشعارهم في معجم البلدان لياقوت الحموي، مراجعة ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت،ط.1، 1997 م، ج2، ص 335.

[3]- محمد عبيد صالح السبهاني، المكان في الشعر الأندلسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط،1، 2007 م، ص 107.

[4]- عبد الله البردوني، الأعمال الشعرية، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ط، 1، 2002 م، م 1،ص 58.

متنوعة: صرواح، بينون، هنيدة، سلحين، ناعط، ويتقدم هذه القصور المذكورة قصر غمدان الذي عد من عجائب صنعاء، فقصر غمدان دار رسمه على ألسنة الشعراء فنظموا في وصفه:

وغمدان الذي حدثت عنه بناه مشيدا في رأس نيـــق

بمرمرة وأعلاه رخـــــــام تحام لا يعيب بالشقـــــوق

مصابيح السليط بلحن فيـــه إذا أمس كوا مض البروق [1]

تصور الأبيات الشعرية القصر بأنه يتسم بمستوى راق من الرفاه والجاذبية والجمال: فهو مبني في مكان مرتفع،يزينه الرخام والمصابيح المضيئة.

فهذا التصوير الشعري يحيل المتلقي من طريق السمع والنظر إلى رحاب مكان حضري يدل على مدى الترف والثراء والوضع الاجتماعي والسلطة والسيادة.

إن القصر السبئي صرح حضاري فقد "كان من عجائب صنعاء غمدان الذي بناه التبابعة، قالوا: بانيه ليشرح ابن يحصب "[2].

وهو قصر عجيب فاخر مبني بعشرين طبقة وبعشرين سقفا، وكان أعلى غرفة ممردا بالقوارير....وهو محكم البناء عجيب الارتفاع، وفيه ما لا يوصف من الزخارف والصنائع [3].

ولبراعة هندسته وجمال طرازه الفني المعماري أكثر الشعراء من ذكره ونوهوا بشأنه.

من بعد غمدان المنيف وأهله وهو الشفاء لقلب من يتفكر

يسموا إلى كبد السماء مصعدا عشرين سقفا سمكها لا يقصر

ومن السحاب معصب بعمامة ومن الرخام منطق ومـــؤزر

متلاحقا بالقطر منه صـــخرة والجزع بين صروحه والمرمر

وبكل ركن رأس طائـــــر أو رأس ليث من نحاس يـــزأر

---

[1]- الأبيات، أنظر: خليل مارون، شعراء الأمكنة وأشعارهم، ج2، ص 240.

[2]- زكرياء بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د،ط، 1998 م، ص 51.

[3]- محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، شرح: محمد بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.د.ت،ج1، ص 204.

متضمنا في صدره قطارة لحساب أجزاء النهار تقطـــر

والطير واقفة عليه وفودهـــا ومياـــــاهه قنـــواتها تتهـــدر

ينبوع عين لا يصرد شربها وبرأسه من فوق ذلك منظـــر

برخامة مبهومة فمتى ترد أربابه مدخـــولة لم يعســـروا

تتمحور صور هذه المقطوعة الشعرية حول الشكل المعماري لواجهة القصر وقدر ارتفاعه وتعداد طوابقه، وقد بني على أربعة أوجه: وجه أبيض ووجه أحمر ووجه أصفر ووجه أخضر، وبنى في داخله قصر على سبعة سقوف بين كل سقفين منها أربعون ذراعا، وكان ظله إذا طلعت الشمس يرى على عينان وبينهما ثلاثة أميال، وجعل في أعلاه مجلسا بناه بالرخام الملون، وجعل سقفه رخامة واحدة، وصبرا كل ركن من أركانه تمثال أسد من شبه كأعظم ما يكون من الأسد فكانت الريح إذا هبت من ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت من دبره وخرجت من فيه فيسمع له زئير كزئير السباع، وكان يأمر بالمصابيح فتشعل من ذلك البيت ليلا فكان سائر القصر يلمع من ظاهره كما يلمع البرق، فإذا أشرف عليه الإنسان من بعض الطرق ظنه برقا أو مطرا ولايعلم أن ذلك ضوء المصابيح [1].

إن القصر السبئي في إثر هذا الوصف النثري للمكان الذي جرت فوقه أحداث قصة سبأ، مكان له تفرده الخاص، وله طبيعته الخاصة وواقعيته، مما جعله " دعامة من دعامات البناء القصصي.

وهذا أعطى انطباعا بأن الوصف الخارجي للقصر كمعلم معماري بارز في الفضاء السبئي باعتباره أداة تقنية جمالية قربت المكان من المتلقي وتصويره وبيان جزئياته وأبعاده من طريق رسم صورة بصرية جعلت إدراكه باللغة أمرا ممكنا.

من هنا جاء الوصف التصويري للقصر السبئي تمهيدا "ليفهم القارئ شخصيات القصة، ويميز بين خصوصياتها وأفعالها، وكيف تؤدي وظائفهما تتبعا للتأثير المتبادل بين الشخصية والمكان

[1]- ياقوت الجموي، معجم البلدان، ج4، ص 210.

الذي تعيش فيه "[1].

ووصف قصر غمدان "يعني تحسيس القارئ بخاصية الإنسان الذي شكل المكان الذي يحي فيه على صورته، إن جو المترل أو القصر، يكون منبصما بالحياة التي دارت في أرجائه، لذلك كانت الأوصاف تعلن عن الحدث فهي تشمل عليه بالقوة وتكون كأنه صورته المادية "[2].

فالقصر بمعناه الأوسع يحمل دلالات كثيرة، يتعدى ذلك إلى مفاهيم أوسع وأشمل فهو الرمز والتاريخ والمطامح والعلو والتفاخر والوجاهة والشموخ ورفعة الشأن.

وهو انعكاس طبيعي للرتب والمقامات الاجتماعية داخل المجتمع، كما أنه انعكاس للوضع الداخلي لأصحابها ووصف واقعي لما يجري لهم.

فالقصور منازل الملوك ومظهر من مظاهر الترف وهدية ملكهم على الأرض، إنها المكان الذين يميز الكبراء عن العامة، إن القصور السبئية كانت بيوتا لساكنيها وامتدادا لأنفسهم، ولهذا حين وصفت الأبهة والجمال والتأنق في الزخرفة والإتقان، فقد وصفت التفكير السبئي ورصدت ميوله النفسية وتطلعاته الحضارية في طريقة هندسة البناء وفنية المعمار انطبقت عليها مقولة: " إن لبيت الإنسان امتدادا لنفسه، إذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان.....فالبيوت تعبر عن أصحابها " [3].

إلى جانب قصر غمدان هناك قصر سلحين الذي تردد ذكره في كتب الأدب العربي على أنه قصر الملكة بلقيس، وكثيرا ما أشاروا إلى أعمدته الرخامية القائمة، وقالوا أنها تحمل العرش وأن قواعدها تحت الأرض [4].

وقد يتجلى العرش الملكي كمعلم مادي رائع في الكتابات القديمة، وتصدر اهتمام المبدعين كصرح حضاري معماري، وكتحفة فنية من الزمن الغابر بشكله المرئي المحسوس لحظة تلقي

---

[1]- أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،د،ط،2009م، ص 36.

[2]- جنيت وآخرون، الفضاء الروائي، ترجمة: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د،ط، 2002 م، ص 46-47.

[3]- رينيه وبليك، أوستن وارين، نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط.2، 1981 م، ص 231.

[4]- الدليل الموجز لأشهر المواقع الأثرية وفنون العالم العربي، جمعية الآثار بين العرب، القاهرة، 2001 م، ص 32.

صورته الخارجية بواسطة العين المشاهدة التي وصفته بأنه " كان مقدمة من ذهب مفصص بالياقوت الأحمر والزمرد الأخضر ومؤخره من فضة مكلل بألوان الجواهر، وله أربع قوائم، قائمة من ياقوت أخضر وقائمة من زمرد أخضر وقائمة من در أصفر، وصفائح السرير من الذهب مما يزهو به الملك [1].

إن تلقي المكان في ضوء معطيات التصوير النصي للمجلس الملكي يضع المتلقي أمام صورة أخاذة وهي تتملى مشهد العرش بتلك العظمة والجمال وجاذبية الزخرفة المشكلة من مزيج رائع من المعادن الثمينة بألوانها الزاهية الذهب الأصفر والفضة البراقة والجواهر الخضراء التي تخطف البصر [2].

في هذا الوصف عمل النص على تناول الموصوف (العرش الملكي) في هيئاته كما هي في العالم الخارجي، وقدمها بصورة حرصت على نقل المنظور الخارجي بأمانة.

وهنا تم تجسيد المرئي بصورته، المكانية المحسوس للناظر ذلك بأن قيمة هذا التجسيد تتجلى في " تثقيف عين المتلقي وإثرائها بنوع من التشكيل الجمالي "[3] ولفت انتباهه إلى روعة وبراعة فن الهندسة المعمارية السبئية وتفوقها في زمنها.

ثانيا: التلقي السمعي لقصة صاحبة العرش الملكي بلقيس في المخيال العربي

الملكة بلقيس سيدة نساء عصرها وإحدى الملكات اللواتي عطَرت التاريخ، فاستقطبت اهتمام الأدباء –شرقا وغربا– محاطة بالغموض، الذي ألهم ولا يزال يلهم الفنانين والشعراء والموسيقيين. وما نسج حول شخصيتها ونسبها ومولدها من أساطير وخرافات ابتدعتها المخيلة الأدبية بصفتها مثال الجمال والحكمة والسلطان، المستوحاة من النص القرآني والتوراتي إذ " كلنا يعلم قصة ملكة سبأ في أسطورة سليمان " [4].

وفي هذا النص دلالة أن قصة الملكة السبئية لها أصول دينية عاشت بفعل التداول الإخباري

---

[1]– الثعلبي، عرائس المجالس، ص 175.

[2]– توفيق الحكيم، سليمان الحكيم، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط1988،2م، ص 27.

[3]– مرشد أحمد، البنية والدلالة، ص 316.

[4]– رجيس بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، الدار التونسية للنشر: تونس، د.ط.ج1، 1986 م، ص 54.

الأسطوري الذي كفل النقل السمعي والبصري للقصة وجعلها تستوطن الذاكرة الجمعية كإرث سردي قصصي مشترك بين الشرق والغرب.

لاسيما وقد غدت التوراة والإسرائيليات عامة هذا الاتجاه غذاء كثيرا فنما وانتعش وكثر وتعدد، بعد أن حور مجراه قليلا ليتمتع بكل إجلال العامة وإيمانهم " [1].

وقد تجلى ذلك الإجلال بما حظيت به بلقيس كشخصية سبئية وصلت للملك عن طريق الجدارة لا الوراثة، فيما حملت لنا تفسيرات الشغف والفتون بالمحكي عن سيرتها الذاتية فيها وعجبا وبما يتوارد عن خواطر المبدعين في تجسيد النمطي للصورة الأسطورية القابعة في دهاليز الوعي الجمعي بموجب الاستدعاء القصصي للمكان السبئي متوجا بملكته وصاحبة العرش فيه.

بلقيس والطرح الأسطوري

جاءت النصوص الأدبية حافلة بالملمح الأسطوري في قصة المكان السبئي مقرونا بذكر الملكة بلقيس وهي تتراءى خلف ظلال صورة نصفها إنسي والنصف الآخر منها جني كما رسمتها الذهنية العربية، وقدمتها في مجالس السرد القصصي ألشفاهي، وإما بدافع الإعجاب الإمتاع والمؤانسة في جلسات الأسمار الليلية في مواطن العظة في مجالس الوعظ والإرشاد لهدف اعتباري محض. "إذ مازال القصاصون العرب يأسرون المستمعين ليلة وراء الأخرى بحكايات متنوعة عن مولدها، وعن ملكها، وعن هيئتها، وعن ساقيها "وأنها كانت امرأة ذات هيبة ومقام، وأنها كانت جميلة "[2].

في هذه الأخبار عن قصة بلقيس أشياء عجيبة تضيق بها صدور العقلاء، حيث تحكى أنها كانت بنت جنية، وأنها كانت لها حوافر كحوافر البغل المغطاة بالشعر.

ويـــح بلقيس إنها بنت جـــن ورثـــوها حوافرا بـــارزات

نقلت مثل حافر البغل رجـــلا فضحتها منابـــت الشعـــرات

ثم اصطفها الحكيم زوجه له فكانت فتنة البصر وآية الآيات [3]

[1]- فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب –مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة، ط.1، 2004 م، ص 165.

2- أ.ر.رانيلا: الماضي المشترك بين العرب والغرب، ص 63.

3- عزيزة مريدن: القصة الشعرية في العصر الحديث ، دار الفكر دمشق ،ط. 1، 1984 م ، ص 58.

والنص الشعري يحيل المتلقي إلى الظروف ميلادها الأسطورية وصفتها التي هي متولدة من اعتقادهم من تزاوج بين الجن والإنس.

بقول المسعودي في ذلك: "ملكت بلقيس بنت الهدهاد، وكان لمولدها خبر طريف ذكرته الرواة، فيما روي أنه تصور لأبيها في بعض قنصه حيتان: سوداء وبيضاء، فأمر بقتله السوداء منهما، وما ظهر له بعد من شيخ وشاب من الجن، وأن الشيخ زوجة ابنته واشترط عليه شروطا لها فعلقت منه ببلقيس " ونقض تلك الشروط المأخوذة عليه لها فغابت عنه "[1].

وإلى الرأي نفسه يذهب الطبري:" وكانت بلقيس هلباء شعراء، قدمها كحافر الحمار،وكانت أمها جنية "[2].

والنصان يتفقان في تقرير رأي مشترك استوطن الذهنية العربية ضمن أسطورة ترويها كتب الأخبار "وهي تجسد مختلف معتقدات العرب في علاقة الجن بالإنس، ولذلك فإن النصين سيكونان مجمعا لمختلف الرموز فإذا هي تتشكل في خطاب أسطوري وتعبر عن رؤية أسطورية للعالم " فلنتبع الظروف ميلادها العجيبة ثم اسمها لا يقل عنها غرابة وما ينشأ في تضاعيف قصتها من شبكات رمزية تصل مابين عالم الإنسان الطبيعي بكواكبه وحيوانه وعالمه الثقافي وما يتضمنه من المعتقدات الدينية والأسطورية [3].

وحين تتقدم الحكاية على هذا النحو للمتلقي من طريق السمع بانفتاحها على عوالم الغرابة والتعجب لاشك أنها ستعمل على "إيناس السامعين وتحقيق متعتهم العاطفية "[4]، وتتعدى الرواية الحكاية القص إلى الإثارة وتحريك الرغبة والشوق إلى التطلع لمعرفة المزيد، ذلك أنه " كلما كانت الحكاية غرائبية وسحرية وبعيدة عن التخيل، وجديدة بالنسبة للمروي له، كانت فعالة وقادرة على إضافة إلى المروي له معرف جديدة وتزيد في مخزونه المعرفي ثراء[5].

لقد كان لحكاية بلقيس ملكة سبأ تأثيرا سحريا عذبا على المتلقي للسر ديات الشفاهية

1- المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص 359.

2- الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1984 م، ج11، ص 169.

3- محمد عجينة، موسوعة أساطير الجاهلية ودلالتها، ص 486.

4- عفت الشرقاوي، أدب التاريخ عند العرب، مكتبة شباب مصر، د،ط،د،ت، ص 142.

5- محمد عبد الرحمان يونس، الاستبداد السلطوي والفساد الجنسي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط1، 2007 م، ص 176.

والأسمار الليلية إذ جعلته مشدودا إلى أحداثها منفعلا بها متعاطفا مع أبطالها أو مدهوشا بمواقفهم بشكل من الأشكال.

ولهذا السبب كانت مجالس القصص للسرديات الشفاهية العربية تحرص على الاتصال بالمتلقي فيها من طريق المخزون المعرفي المتشابه المورد " فخيال الفنان الإبداعي لا يستطيع الاتصال بالآخرين، ما لم يكن يشترك معهم بموروث جماعي"[1]. جعل المتلقين " أحرص على سماع الحكايات الغريبة، وتناقل المغامرات العجيبة، ورواية الأخبار المثيرة "[2].

المكان السيئ وتداعيات مشهد الانهدام الحضاري

شهد المكان السيئي انهداما مروعا بفعل حادثة السد الشهيرة إذ "بعد انهيار سد مأرب انهارت تلك الحضارة الزاهرة التي شهدها الجزء الجنوبي من الجزيرة "[3].

فقد وقع خراب (جنة عدن) على هذا النحو: كانت السيول تنحدر من الجبل هابطة على رؤوسها حتى تهلك الزرع فصنعت لها مصاريف إلى البحر بتقدير عمرت به البلاد ثم كانت العصور بعمل الماء بتلك الأنقاب فأضعفها فغلب الماء عليها وجاء السيل فدفعها فخرجت البلاد حتى تفوض سكان تلك الأرض عنها وقيل خربت الفأرة السد ليكون أظهر في الأعجوبة [4]. وذلك للاختلاف فيه عند أهل تلك الديار شهرته.

وخراب السد إذن، تم تصويره، أنه جرى بفعل أمرين: الأول: أنه سبب سيل العرم ولا خلاف بين ذوي الدراية أن العرم هو المسناة التي أحكموا عملها لتكون حاجزا بين ضياعهم وبين السيل.

والثاني: أن الفأرة هي التي فجرت المسناة، حتى كان ذلك سبب الحسر بأرض سبأ، وهي المضروب بها المثل.

وسيل العرم مما تؤرخ بزمانه العرب، والعرم المسناة،وإنما كان جرذا،تقتل النخل والفسيل،

1- بول ريكور، الوجود والزمان والسرد، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999 م، ص 67.

2- عبد الملك مرتاض، الميثولوجيا عند العرب، ص 31.

3- أنس داود، الأسطورة في الشعر العربي الحديث، مكتبة عين شمس، القاهرة، د.ط، 1975 م، ص 51.

4- المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص 67.

وتخريب الضيعة، وتأتي على أزمة الركام والخطم، وغير ذلك من الأموال [1].

وقد ذكر العرب حادثة سيل العرم، وما كان من سبأ وأرض مأرب أشعارهم فضلا عن أسمارهم من باب الاتعاظ والاعتبار.

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما؟

وقال الأعشى:

ففـــي ذاك للمؤتسي أســـوة ومـــأرب عفى عليه العرم [2]

والظاهر من معنى البيت الشعري أن العرم " كان سبب خراب مأرب ماصح به الخبر من الطوفان الصغير الذي طما به سيل العرم على سد مأرب فخربه وأفسد عمائر مأرب وكثيرا من البلاد [3].

إن النظر في معطيات التاريخ وما نسجته الذاكرة العربية القديمة تظهر أن سبب انفجار سد مأرب تم تصويره، وكأنه جرى بفعل فأرة، أما الواقع فإنه كان يتآكل وينهار بفعل قوة اندفاع المياه، ثم التقادم في الزمن حيث راحت أركانه في نهاية المطاف تتداعى مهددة بفناء القبائل وخراب وتدمير جنتها " ولا شك أن إظهار خراب السد وكأنه جرى بفعل (المناجذ) أو الخلد، هدفه تبيان عجائبية أخرى تضاهي عجائبية إنشاء السد وتكون رديفاها، فكما أن السد كان أعجوبة العربية الجنوبية وبفضله صارت للقبائل العرب (البائدة جنة عن يمين وجنة عن شمال: (لقد كان لسبأ في مسكنهم.....)، فإن انهياره لابد أن يكون لسبب عجائبي [4].

وضمن معطيات هذا النص يتجلى السرد القصصي العجائبي الذي هو "مادة محبوبة للمغامرة وموضوعا من موضوعات المجالس "[5] التي ولع العرب بالأسمار فيها كولعهم بالشعر، حيث الاحتفاء بالمحكي والمسموع والمنقول والمروي الذي تنتقل فيه العين والأذن كما ينتقل الذهن

1- الجاحظ، كتاب الحيوان، ترجمة: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.3، 1969 م، ج4، ص 299.
2- المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص 69.
3- صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص 124.
4- فاضل الربيعي، إرم ذات العماد، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط،1، 2000م،ص 351.
5- إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم، ص 58.

مستزيدة من الكلام والمجالسة، كما هي راغبة في الحدث والخبر[1].

وعلى أساس ميل العربي لتلقي للحكايات العجيبة وفي مجالس سمرها جاء خبر ظريفة الكاهنة وعلاقتها بخراب سد مأرب حيث احتلت قصة خراب سد مأرب مكانة مرموقة ضمن أخبار عرب الجنوب وأساطير الأرض الموعودة.

وعودة إلى قراءة خبر ظريفة الكاهنة وتداخل رواياتها لقصة خراب سد مأرب يفتح عوالم رؤية الحادثة في شكل حلم، فقد " رأت ظريفة الكاهنة في المنام حلم الذي اطلعت بواسطته على ما يخبئه الغيب لأهل سبأ، رأت فيه كأن سحابة غشيت اليمن فأبرقت وأرعدت فلم تقع على شجر إلا أحرقته...وكان ذلك إيذانا بالغرق وهلاك النسل، وتغرق الأزد في أنحاء الجزيرة والشام والعراق "[2].

وفي هذا المقام السردي يتجلى "الحلم" كبنية خطابية سردية، ومولد الحكي فيها بما يحمله من أسرار وألغاز[3]، تكشف بشكل نسبي ما تراءى للكاهنة ظريفة في منامها بصورة متداخلة متقطعة وغير منسجمة مع معطيات عوالم الغيب، حيث اطلعت من خلال الحلم والزجر على الغيب وتنبأت بخراب سد مأرب.

وهذا المنحى بدون شك فتح المجال أمام تفسيرات وتأويلات المتلقي في الأدبيات العربية بأفاق متنوعة في رواية خبر المنام بحادثة السد.

ولعل ورود اسم ظريفة في أسطورة سد مأرب يعتبر خرقا لمادة النظام الحكائي العجائبي الذي درجت عليه الذهنية العربية في تعاملها مع قصة السد.

ورواية الحادثة ضمن إطار خلق جو للسرد الإخباري الإمتاعي الترويحي في مجالس السمر، حيث سلطان القص لا يستقيم إلا ليلا، وقد سكن الناس وأظهروا استعدادا طيبا لسماع الحكايات والقصص والخرافات[4].

1- محمد جاسم الموسوي، سرديات العصرالإسلامي الوسيط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط، 1، 1997 م، ص17.

2- محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب في الجاهلية، ص 492.

3- سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص 11.

4- إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم، ص 26.

لاسيما وأن للخرافة صلة بالسمر، ذلك أن الأسمار هي الخرافات الموضوعة من حديث الليل مما يستملح ويتعجب منه خصوصا و" أن العامة أبدا وفي كل عصر يولعون بالغريب، ويعجبون بالخرافة، ويستمتعون بالغرائب والعجائب مما أوجب أن تكون دوافع المبالغة والكذب عند القصاصين قوية ليجدوا والمادة التي تجلب السامعين وعطاياهم [1].

وسواء صح هذا الطرح أو قارب الصحة في عمومه، مما هو ثابت وراسخ في الذاكرة الشفاهية الجمعية، فإن ما يعني المتلقي في مقام هذه الدراسة هو الوقوف عند حادثة خراب السد بفعل السيل العارم الذي احتاجه، وكان سببا في انهياره وتبدل أحواله.

وهذا سييسر سبيل قراءة قصة خراب سد مأرب بشكل جدي وتمعن كبير، لأنها تضع المتلقي أمام قضية أساسية تمس المكان السبئي بشكل مباشر وهي قضية الماء وعلاقته المباشرة بالحياة الإنسانية وقيام الحضارات، ذلك إذا تمعنا أمامنا أن " الماء أصل لكل حياة وحيوية فحسب بل على أنه منشأ الحضارات في ذلك أن النزوع نحو حضارة مستقرة، والإحساس لغياب أو نقصان العامل الأساسي في إقرار الحضارة،بل الحياة على إطلاقها:الماء " [2] فالماء جدله،إذ فيه هلاك وفيه أيضا حياة،فيه الإزالة والمحو، وفيه التعرية والكشف، ومن داخل هذا الجدل الذي يستنبطه الماء.

وجلا سيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها [3]

إنها وقفة معرفية،من العقلية العربية نحو الحياة: إن كل شيء حين يأتيه الماء،تدب فيه الحياة وهكذا الفضاءات الميتة، وقد تغير ووجها وأستعادت حياتها وخصوبتها [4].

فإذا كانت هذه الوقفة المعرفية وضعت المتلقي أمام حقيقة الماء ودوره في الإحياء فإن ما حدث للمكان السبئي من جراء وجود الماء يخالف هذه الحقيقة وينفيها،ويعطي بديلا لها في تحقيق دلالات الفناء والدمار والخراب.

1- ابن الجوزي، كتاب القصاص والمذكرين، ص 81.
2- يوسف اليوسف:مقالات في الشعر الجاهلي ص 159.
3- معلقة لبيد بن أبي ربيعة:المعلقات العشر لشنقيطي، ص 60.
4- حسن مسكين:الخطاب الشعري الجاهلي ،ص 54.

ثالثا: سبأ وصورة التضاد المكاني

تعزى الدراسات سبب التحول المكان السبئي من حالة العمارة والخصب والنماء إلى حالة الجدب والتمزق، إلى خراب سد مأرب " فقصة خراب السد هي الحد الفاصل بين التاريخ والأسطورة لروايات عديدة، تدل على أنها حظيت برواج جعلها تنتقل من صيغتها الشفوية الأولى إلى مختلف صيغها المكتوبة المتتالية " [1].

ويبقى أن أصل قصة المكان السبئي قابعة بصورتها واضحة في الذهنية العربية منذ آلاف السنين بأن تهدم سد مأرب أدى إلى فيضانات عظيمة لأرض سبأ فحصل من ذلك قحط وموت للنبات والخضرة والحيوان والإنسان.

ويفهم من هذه القصة بأن سد مأرب كصرح عمراني عظيم:«شيد عبر النهر ليحجز المياه،وقد إستعمل لتخزين المياه خلال موسم الأمطار بكميات وفيرة تفي بحاجات الناس وحاجة حيواناتهم وزروعهم في فترات الجفاف"[2].

وهذا يعكس دقة التعبير القرآني في تصويره ووصفه لحالة المكان ورسمه للصورة المرئية لما حصل له ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾[3].

لقد تحولت البساتين الغناءة والأشجار مختلفة الثمار إلى نباتات صحراوية لا ثمر لها وأن لا يشبع كما في السدر وهو النبق وحتى هذا لم يرزقوا منه إلا قليلا وهي الشجرة المباركة التي أعطوها بعد الفيضان [4].

وفي إثر الفيضان الذي تجسد في صورة سيل عارم وشامل،و قد وصل إلى كل شيء وكل مكان بدى الفضاء السبيء كأن السيل قد أجتاحه وهو يتحرك أفقيا ورأسيا وتتسلق قمم الجبال وتنطلق العنان للمطر الهتون الذي أجتاح كل شيء في طريقه، سواء كان مظهرا من مظاهر الطبيعة أو حياة أو حياة حيوان أو شيء من صنع الإنسان [5]. إن المتأمل للآية الكريمة المباركة

1- محمد عجينة:موسوعة أساطير العرب في الجاهلية ودلالتها ص 497.
2- الموسوعة العربية والعالمية ج 12 ص 206.
3- سورة سبأ الآية:16.
4- خالد فائق العبيدي:المنظار الهندسي للقرآن الكريم ،ص 472.
5- كمال أبو ديب:منهج بنيوي في تحليل الشعر الجاهلي ،مجلة فصول ص 108.

﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾[1].

من أهل الاختصاص يعلم جيدا أن "التبدل" خاضع لتسلسل علمي لما يحصل للأرض بعد الفيضانات هو ما ورد في الآية:

أولا: حدث لأرض سبأ تشبع مائي.

ثانيا:موت النباتات ثم الحيوانات، وهدم للمساكن والدور.

ثالثا: تحول التربة الخصبة إلى تربة ملحية غير صالحة للزراعة ماعدا النباتات الصحراوية بمرور الزمن.

رابعا: تدني مستوى المعيشي والاجتماعي للسكان.

وتبعا لهذه الخطوات العلمية يفهم أن التبدل كان على مراحل زمنية مثلما أشارت الآية تماما فكلمة (وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ)جاءت للاستهزاء بعدما عصوا ربهم وبطروا النعمة، لأنها في الواقع ليست بمعنى الحياة الغناء وإنما هي تجمعات شجرية لا خير فيها [2].

هذه الحالة التي شهدها المكان السبئي ضمن معايشة واقعية وحقيقية كان لها التأثير المباشر على المستوى الاجتماعي والاقتصادي لساكني المكان، حيث ضاقت عليهم سبل العيش فاضطروا إلى المغادرة والرحيل في شكل جماعات ممزقة،قاصدة مواطن أخرى قد تكون أكثر ملائمة للسكن والاستقرار، وهكذا لم يبق من قصة المكان السبيء إلا الأحاديث والذكر مصداقا لقوله تعالى (فجعلناهم أحاديث) الأحاديث هي مايحدث به على سبيل التلهي والاستغراب،أي جعلناهم أحاديث للناس يسمرون بها ويعتبرون بأمرهم [3].

فبعد حادثة السيل أعقبتها حادثة التمزق الاجتماعي والهجرة باتجاه مواطن متفرقة حيث شهد المكان السبيء تغييرات كبيرة اتخذت في مجملها صفة التضاد لما كان من سابق عهده فقد أخذ بتأرجح بين تراكبات متعارضة ومتناقضة.

وهكذا لم يعد الزمن الحاضر متوزايا مع الزمن الماضي.

1- سورة سبأ الآية: 16.

2- خالق فائق لعبيدي: المنظار الهندسي للقرآن الكريم، ص 472.

3- أحمد مطصفى المراغي: تفسير المراغي، ص 74.

الزمن الحاضر ⟷ الزمن الماضي

هذه التعارضات الضدية التي نرصدها في صورة المكان السبيء تشتمل على

أ- تعارضات جغرافية بيئية: جدب ≠ خصب

تقهقر≠ ازدهار

خراب ≠ عمارة

انهدام ≠ بناء

زوال ≠ بقاء

سكون ≠ حركة

ب- تعارضات اجتماعية

ارتحال ≠ استقرار

تشتت ≠ ترابط

أعلى ≠ أسفل

ارتفاع ≠ انخفاض

إفقار ≠ إغناء

ج- تعارضات نفسية

وحشة ≠ أنس

تمزق ≠ ألفة

طرد ≠ احتضان

استياء ≠ تفاءل

تعاسة ≠ هناء

انغلاق ≠ انفتاح

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنها رؤية الإنسان السبئي وعلاقة ظروفه في مواجهة الزمن والموت ضمن إطار الحياة والعلاقة الإنسانية، التي تتحرك داخل ثنائية ضدية لها أهمية جوهرية بالنسبة لمعناها، وبصفة خاصة ثنائية سكون الأطلال واندثارها حاضرا في مقابل الحيوية العامرة والجارفة في عاصفة سيل العرم ماضيا.

تلقي صورة المكان السبئي (المشهد الطلي الدارس) بين الرؤية العربية والمنظور القرآني الخاوي

عايش المكان السبئي الفعل التدميري النابع عن اجتياح عارم للسيل، مما سلب منه نضارته، وبساتينه، وذهب بجمال وبراعة عمارته، فتحول إلى مكان مجدب مقفر طارد لساكنيه، الذين لم يكن أمامهم سوى النزوح والارتحال، حيث "انطلقت الهجرات نحو الشمال بعد خراب سد مأرب "[1]، في شكل جماعات متفرقة وممزقة تاركين خلفهم القصور والدور و"المنازل المتداعية خالية تماما "[2].

فموجب هذا التداعي والخلو غدى المكان السبئي مكانا مهجورا خاويا لا أنيس به، يبعث على الوحشة والأسى والحزن.

لقد تحول إلى مكان طللي دارس، يحوي على بقايا آثار عمرانية متهدمة تقف شاهدة على ملك حضاري ساد في زمن المجد والعز والتألق، ثم أبيد ولم يبق من حاضره سوى الأثر والذكرى.

وقراءة في تلقي صورة الأثر المكاني وبقاياه المبثوثة في الفضاء السبئي الممتد كمعالم عمرانية متهدمة تشيد الموقف الطللي الذي يرى الماضي المجيد في الحاضر الخرب.

حيث تتجلى فكرة الطلل المكاني وانهداميته المنظور إليها في ضوء فجائعية منظر الخراب واليباب المشكلة للحيز السبئي الخاوي والمفتقر للحضور الإنساني جملة واحدة.

وانطلاقا من تجربة المكان السبئي ومعايشته للتقاطب وتضاد الثنائيات المكانية ضمن حدود تفسيرية اجتهادية انبثقت من رؤية الأماكن الخربة الخاوية كأطلال دارسة تنحصر من خلال القراءة بين تصورين يتقاطعان في نقاط، ويفترقان في أخرى على النحو الآتي:

1- فاروق أحمد سليم، الانتماء في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق د.ط، 1989م. ص 236.

2- كاريتسن نيبور،الرحلة إلى شبه الجزيرة العربية،ج1 ترجمة: عبير المنذر،دار الانتشار العربي،بيروت،ط1،2007م،ص 285.

أولا: أن الطلل المكاني الدارس وتلقيه بصريا في الرؤية العربية يتجسد في:

1-الوقوف المكاني بالطلل الدارس.الخرب وفجائعية منظر خلوه

2-تذكر الأيام الخوالي (التأسف والحصرة على ماضي المكان)=الإحالة على تذكر المصير الإنساني.

3-البكاء على الراحلين عنه.

4-المساءلة الطللية = الصمت واليأس من الجواب

5-العودة إلى الذات(رجوع الذات الواقفة بالمكان إلى نفسها

6-التحية المكانية

7-الدعاء له بسقيا الخير.

8- الأمل في عودة الحياة من جديد إلى ربوعه.

9- الحنين إلى لقاء الأحبة.

ثانيا: الطلل المكان الخاوي في المنظور القرآني قائم على:

1-السير في الأرض باتجاه الأطلال كأماكن أثرية دارسة.

2-- النظر في خراب منظرها والتأمل في خلوها من أهلها.

3-المشي في مساكن الغابرين.

4-الازدجار بالمروي من قصصهم وحكاياتهم الماضية.

5- الاعتبار بمصيرهم.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكل المكان في الخطاب القصصي في المتن القرآني العظيم المادة الجوهرية للخطاب وهويته، فهو حاضر لا بوصفه إطارا تدور فيه الأحداث والوقائع، بل كوعي جمالي شكلا ومعنى وتاريخا جمعيا منبثقا عن الوعي الفكري والاجتماعي والثقافي.

وقد أسعفنا اختيار البحث في المكان السبئي ومشهد خرائبيته وخلوه " بخصوص دراسة دلالة المكان كموضوع وكإشكال مركزي، تبلور جدلية الربط بين المعرفي والتاريخي من خلال قراءة تواصلية فعالة بحثا عن استنتاجات مركزة باعتمادها الإحالة على واقع جغرافي، ونفسي، واجتماعي، وديني، وحضاري وفني من منظور مشترك واحد.

ووفق هذه الرؤية ستحمل هذه الخاتمة عبء الوقوف على أبرز النقاط التي توصل إليها البحث اختزالا لا تفصيلا، إذ أفضت التكثيفات في الفصول السابقة على توضيح مفهوم وصورة " الأماكن الخاوية كفضاءات للصمت في النص القرآني وأساليب تلقيها،وتجلية أبعادها، لتكون هذه الأسطر إضاءة أخيرة تكثف أهم ما قصدت إليه الدراسة –معالجة ومناقشة– ولتبقى في ذهن المتلقي بكل تكثيفاتها من إقرار وتساؤل، ودعوة إلى متابعة الحفر والتنقيب في موضوع المساكن الخربة وفجائعية مشهد الانهدام الحضاري في المدونات الكبرى.

ويمكن استخلاص النتائج العلمية لموضوع الدراسة على المستويين النظري والتطبيق على النحو الآتي:

1- أن العلاقة بين الأماكن الخاوية في القصص القرآني والتلقي تكشف عن حركية استقبال القارئ للمتن القرآني كنص عظيم والتفاعل معه، كمتلق يفعل النص من خلال ملء فجوات المعاني أو مبهماتها، وذلك بالاستناد إلى مخزونه المعرفي والثقافي.

2- أن تلقى عنوان " الأماكن الخاوية في القصص القرآني " من حيث تشكيله اللغوي ودلالته يحيل على معنى الأماكن الدارسة والمساكن الفارغة المهجورة الصامتة، إذ الخواء هنا كلفظ ينفتح على حقل لغوي متنوع: البلى، الإقفار، الفراغ، الإندراس، الصمت، الانهدام، الغياب...وكلها تفيد في معناها العام على الأماكن المتداعية، من حيث شكلها الخارجي والداخلي:

أ- فالخواء الخارجي يتمثل في ذهاب الملك والعز والافتقار إلى الحضور الإنساني.

ب- والخواء الداخلي: هو الخواء الروحي والافتقار إلى الحصانة الأخلاقية، وكلاهما موجب للتبدل النعم ومدعاة للرحيل والتمزق مما يفيد ان عمارة المكان السبئي لا تعود لجمال هندسته فقط ولكن لعمارة قلوب ساكنيه بالإقبال على الله.

-خلو المكان لا يعود إلى خراب منجزه المعماري بقدر ما يعود إلى الخلو الروحي لأهله.

3- إن الوقوف على جماليات المكان السبئي يتحقق من خلال القارئ عبر متعتين: متعة الفهم، ومتعة الاستكشاف، التي تحرك التساؤل المستمر.

4- المكان الخرب يتواصل مع موضوع الهلاك المكاني وفق قراءة فعالة تتغلغل في نسيج النص القرآني لاستخراج مكونات خطابه القصصي في خط المسار الاعتباري الهادف إلى بث الوعي بأهمية التجارب المكانية في حياة الأمم والشعوب.

5- أن جغرافية القصص القرآني كعلامات بصرية تفيد في إثبات قضيتين هما:

أ- تاريخ التوحيد للأماكن كمواطن لتلقي الإشعاع الديني.

ب- إثبات الهوية العربية المكانية هو إثبات لهوية الإنسان العربي.

ج- إثبات وتثبيت الوعي العربي لفترة ظهور الإرهاص الحضاري قبيل مجيء الإسلام.

د- تدبر مواطن العقوبات الإلهية التي سلطت على الأماكن الخاوية.

6- التلازم بين التلقي السمعي والتلقي البصري تتحقق الفاعلية الإخبارية والفعالية الاعتبارية.

7- ضرورة تحقيق التلاؤم بين المرئي من الأماكن الغابرة والمروي عنها.

8- وجوب القراءة الاستذكارية للقصص باعتبارها وسيلة فعالة في استنهاض الهمم وتجنب العثرات.

9- التلازم المعرفي بين وجوب السير في الأرض وإلزامية القص عن الغابرين، وذلك من خلال:

أ- الأمر بوجوب السير إلى تلك الأماكن.

ب- المرور بديار الأمم الهالكة.

ج- المشي في مساكن الظالمين.

د- ضرورة النظر في آثارهم الباقية.

ه- التدبر في قصصهم و مروياتهم. ثم الاعتبار بمآلهم ومصيرهم من خلال المروي عنهم والمرئي من آثارهم.

10- فقه سنن القيام والسقوط الحضاري لتفادي العاقبة وسوء المنقلب.

11- الخروج بقراءة مغايرة لموضوع " الأماكن الخاوية " من الدائرة الضيقة في النظر بالتركيز على العامل النفسي: وهو التحسر والتأسف على الماضي، أو التركيز على العامل الفني، في أنها مثير ومحفز

للإبداع الأدبي، أو التركيز على عامل التخويف من رؤيتها كأماكن للعقوبات فقط الإلهية دون البحث في أسبابها، وإعادة تشكيل العقل العربي في تلقي " الأماكن العربية الدراسة" وقراءتها ضمن نسقها الثقافي ومرجعيتها الدينية الأصيلة.

12- التبصر في قراءة المعادلة الموضوعية قراءة فعالة على النحو الآتي:

السير في الأرض + النظر إلى الآثار المكانية الباقية + المشي في مساكن الغابرين = تحقيق الفعالية الاعتبارية.
تلقي قصص الغابرين + النظر في تشكيلاتها السردية ودلالتها المعرفية من خلال التداول الثقافي والكتابي = تحقيق الفاعلية الإخبارية.

وأختم هنا بما بدأت من كون هذا الجهد جهد المقل الذي ما يزال ينهل من منابع العلم متدربا....راجيا الإحسان فإن أحسنت فمن الله وبه سبحانه التوفيق، وإن قصرت فعذري لذلك عذر المسيء الذي يرجو الإحسان...ويكبو جواده أملا لبلوغه وإدراكه.

والله من وراء القصد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص بالعربية:

شكّل المكان القصصي في المتن القرآني العظيم المادة الجوهرية للخطاب وهويته، فهو حاضر لا بوصفه إطارا تدور فيه الأحداث والوقائع، بل كوعي جمالي شكلا ومعنى وتاريخا جمعيا منبثقا عن الوعي الفكري والاجتماعي والديني والثقافي.

ينفتح النص السردي القرآني في خطابه القصصي متكئا على المشهد الطللي الدارس المجال على عوالم الفضاءات المكانية الخاوية على عروشها، إلا من بعض المعالم العمرانية المبثوثة في أرجائها قائمة دون فاعلية ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ .

الأمر الذي شدّد في التنبيه إليه القرآن الكريم مكررا ذلك في عدة مواضع، بحديثه عن أماكن الغابرين، بعدما استأصل شأفتهم، فغدوا أثرا بعد عين، بفعل العذاب الإلهي الذي سلّط عليهم فيما مضى، محول أماكن إقامتهم إلى مس اكن خربة مقفرة خاوية، تعلق إشهارها لفاعلية الموت الذي تفشى بالديار، فتحولت إلى بقايا مندرسة يعرضها القرآن صحيفة حية تطفح عبرا ودروسا صورة ومشهدا.

وعلى هذا الأساس ركّز الخطاب القرآني في استعراضه لمنظومته القصصية على جغرافية القصص المكاني فاتحا -بالاعتماد على حاستي السمع والبصر- بصر وبصيرة المتلقي على فعالية الاستذكار التاريخي والجغرافي لقضية تدبّر المنجزات المعمارية المتهدمة التي تستحق التأمل وتستوجب التدبر كشواهد مكانية حسية تستذكر بالمروي عنها، وتعتبر بالمرئي منها امتثالا للأمر الإلهي الداعي لوجوب السير في الأرض والنظر في عاقبة الأمم ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾.

إنها رؤية الخطاب القرآني المعمّقة، وقد حوّل الأماكن من جغرافيا إلى قضية جوهرية ترتبط ارتباطا وثيقا بالكون والحياة والإنسان.

هذه الرؤية القرآنية وهي تستعرض التجارب المكانية السابقة، ارتكزت على بعدين أساسيين هما: البعد الفكري، والبعد الجمالي، مع الدعوة إلى ضرورة الاستعانة بالمعرفة

الجغرافية المنفتحة والموصولة بوسائل التلقي بنوعه السمعي والبصري، وذلك من خلال الإرشادات الواردة في النص القرآني لتكون نقاط توجيه وإرشاد وإعلام مضيئة، في فهم التاريخ التوحيدي، الهادف إلى بث العبرة والعظة في النفوس والعقول، ولا شك أن طرحا بهذا المستوى كفيل بأن يجّلي للمتلقي صورة القرى الهالكة، وقد نزل العذاب الإلهي بساحتها فتداعت منازلها، وتضعف جدرانها، وسقطت سقوفها، ولم يبق منها سوى بقايا مساكن خربة وبيوت خاوية من الحضور الإنساني، تقف اليوم شاهدة على مدن وحضارة سادت ثم أبيدت.

وعلى هذا الأساس تركت تلك المساكن الموجودة فارغة عن قصد، حتى تثير بصورتها المقفرة مكامن الحس الاعتباري في نفوس الناظرين إليها، ويتحقق التطبيق التجريبي الفعلي لسنن الله في الاجتماع البشري تجمعا وتفرقا، قياما وسقوطا.

على هذا النحو يتضح في ضوء هذا التصور القرآني الجليل أهمية التأكيد على وجوب القراءة الاستذكارية للقصص المكاني باعتبارها وسيلة فعالة في استنهاض الهمم، وتجنب العثرات.

ووفق هذه الرؤية المتكاملة جاءت دراسة المنجز المعماري السبئي المتهدم كنموذج مكاني شهد ثنائية صراع التحول الضدي من العمارة إلى الخراب كموضوع وكإشكال مركزي، تبلور جدلية المعرفي والتاريخي من خلال قراءة تواصلية فعالة، تبحث عن استنتاجات مركزة باعتمادها الإحالة على واقع جغرافي، ونفسي، وديني، وحضاري، يُعلن عن التطورات التي طرأت عليه وعلى ساكنيه، وهو مريج من التحولات والقيم والنتائج والارتباطات الإنسانية.

فالمكان السبئي كان عامرا بخيراته الزراعية، والرزق الوفير ردحا من الزمن، محققا بذلك الاكتفاء الغذائي، في ظل الأمن المائي والصحي، في وسط عمراني غاية في الحسن والجمال، من قصور شاهقة، ودور فاخرة، ومعابد دينية، وحصون منيعة، وبيوت رفيعة، إذ به يتحول بفعل سلوك أصحابه وبترهم لآلاء الله، حين أرسل عليهم سيد العرم، فغير ذلك وجه الحياة السبئية إلى صورة معاكسة لسابق عهده من النظرة والجمال والغنى والعز، محولا إياه إلى مكان فقير بائس يعاني فيه أصحابه قلّة الرزق وذهاب الملك، وفقدان الجاه والسلطة، فأعقب

ذلك هجرات مكانية متتابعة، بعدما شهد تمزقا وتلاشيا، لينتهي به المطاف إلى مكان صامت مقفر خرب خاوي عن عرشه، منفتح على فجائعية مشهد الانهدام الحضاري.

من هذا المنظور سعت هذه الدراسة بعد الحفر والتنقيب راصدة مشهد التقاطب المكاني في شكل تساؤلات:

1-تتبع الكيفية التي رسمتها المدونات الدينية المقدسة والتاريخية والرحلية لصورة المكان السبئي؟

2-كيفية رصد صورة التجلي الجمالي للمكان السبئي العامر، ثم مشهد تداعيات الانهدام الحضاري في النص القرآني، ثم في نصوص الشعرية الطللية العربية القديمة.

3-النظر في السياقات الفكرية والبيانية للتعبير والتصوير الفني القرآني، في استعراضه للطلل المكاني السبئي الدارس الفاقد لفاعلية الحضور الإنسائي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Résumé :

L'emplacement de la fiction dans le grand texte coranique formé la substance du cœur du discours et de son cadeau, elle est présente dans une description du cadre où les événements et les faits se sont produits, mais comme un beau bol dans une forme et un sens et l'histoire tout a émergé de l'intellectuel, de conscience sociale, religieuse et éducative.

Le texte narratif coranique ouvert dans son discours de la fiction incliné sur le donnant sur plombant le champ d'apprentissage sur les mondes universels de leurs offres, sauf dans un certain statut urbaine dispersée dans ses côtés permanents sans efficacité.

La question que le Coran Saint a souligné être conscient de ce à plusieurs reprises ce dans de nombreux contextes dans son discours sur les anciens lieux perdus et en raison de la punition divine et la transformation de leurs résidences endommagées et épidémie vide que de la mort et reste exposée par le Coran comme un Page vivre éclatant avec des conseils et des leçons de l'image et de la scène.

Sur cette base le discours coranique expose l'organisme narrative sur la géographie des histoires d'espace relais sur l'audience et la visualisation à vue et la perspicacité-du récepteur pour le rappel historique et géographique des établissements urbains endommagés qui méritent méditation et nécessitent de prévoyance que le lieu témoin la conformité avec l'ordre divin qui appelle à la nécessité de marcher sur la terre et regarder la conséquence des nations.

Il est la vision profonde coranique qui a transféré les lieux de la géographie à une affaire considérable étroitement lié à l'univers, la vie et l'homme.

Cette vision coranique porté sur deux dimensions fondamentales sont; dimensions intellectuelles et esthétiques avec l'appel à la nécessité de la connaissance géographique et reliés par les deux types de moyens de réception audio visuel à travers des instructions entrants dans le texte coranique pour comprendre l'histoire monothéiste; et sans doute le récepteur possède une image des villages effondrés et là pas de vestiges de présence humaine debout assistons aujourd'hui l'existence et l'anéanti des villes et de la civilisation.

Par ce que l'application expérimentale réelle atteint les lois d'Allah dans la collecte humaine dans la foule et sporadique, en montée et en automne .Dans cette façon le concept coranique montrer l'importance de souligner l'obligation d'une lecture commémorative de l'emplacement du récit.

Selon cette vision complémentaire viendra l'étude de l'architecture Sabena détruit établie comme un modèle spécial a vu le conflit du

transfert opposé de la construction à la rupture comme sujet et comme problématique centrale formée d'un conflit intellectuel et historique à travers une lecture efficace et conjonctif qui ressemblent à des déductions centrées sur

le fait géographique, psychologique, religieuse et civilisée qui est un mélange des changements, des valeurs, les résultats et les liens humains.

L'emplacement Sabena était plein de ses récompenses de l'agriculture et de l'approvisionnement des moyens de subsistance pour une longueur de temps. parvenir à l'autosuffisance alimentaire, en vertu de la sécurité de l'eau et de la santé, dans le milieu de l'environnement urbain urbaine extrêmement jolie et belle, des palais de grande hauteur, la sécurité sanitaire de luxe au milieu d'un bel environnement urbain de châteaux élevés et des maisons luxueuses et des temples religieux et forteresses imprenables, tout cela a changé en raison du comportement de ses gens quand Allah le Tout-Puissant de les jeter par une peine, de sorte que la vie Sabena a obtenu une image controversée de dommages, la pauvreté, la perte de la richesse, de l'autorité et de pouvoir ainsi suivie par l'immigration et isoler des zones terminés en étant un endroit silencieux d'un trônes vides ouvertes sur scène surprenante détruit civilisé.

De ce point de vue, cette étude vise après forage et d'exploration en capturant la scène de la polarité spatiale dans la forme de questions:

1-Après la manière comment cela a été dessiné par les scripts religieux sacrés, image historique et voyage de la place de la Sabena?

2-La façon de contrôler l'image esthétique de la vie Sabena place, puis les répercussions de la scène civilisée effondré dans le texte coranique, et puis dans les anciens textes poétiques arabes Al Tallaliya.

3-Voir les contextes intellectuels et artistiques d'expression et les graphiques artistiques coraniques, dans son illustration de la Sabena spatiale appris qui manque la présence humaine.

Abstract :

The fiction location in the great Quranic text formed the heart substance of the discourse and its gift, it is present in a frame description where the events and the facts happened but as a beautiful bowl in a form and meaning and history all emerged from the intellectual, social, religious and educative conscience.

The Quranic narrative text opened in his fiction discourse reclined on the overlooking sur plombant learning the field on the universal worlds of their offers except in some dispersed urban status in its standing sides without efficiency.

The matter that the holly Quran stressed to be aware of it repeatedly this in many contexts in his speech about the ancient lost places and due to the divine punishment and transforming their residences damaged and empty outbreak only of death and remnant exhibited by the Quran as a living page bursting with advices and lessons in image and scene.

On this base the Quranic discourse exhibited the narrative organism on the space stories' geography relaying on the hearing and viewing-sight and insight-of the receiver for the historic and geographical recall of the damaged urban establishments that deserve meditation and require forethought as place witnessed compliance with the divine order which calls for the necessity of walking on earth and watching the nations' consequence.

It is the Quranic deep vision which transferred the places from geography to a considerable case linked closely to the universe, life and man.

This Quranic vision focused on two fundamental dimensions are; intellectual and aesthetic dimensions with the call for the necessity of geographical knowledge and connected by the two kinds of receiving means audio- visual through incoming instructions in the Quranic text to understand the monotheistic history; and without doubt the receiver has an image of the collapsed villages and there no remains of human presence standing today witnessing the existence and the wiped out of cities and civilization .

By that the actual experimental application achieved the laws of Allah in the human gathering in crowd and sporadic, in rise and in fall .In this way

the Quranic concept show the importance of stressing the obligation of a memorial reading of narrative location.

According to this complementary vision come the study of the established architectural destroyed Sabena like a special model witnessed the conflict of

opposed transfer from building to breaking as a topic and as central problematic formed an intellectual and historical dispute through an effective and connective reading which look for deductions centered on the geographical, psychological, religious and civilized fact that is a mixture of the changes, values, results and human ties.

The Sabena location was full of its agriculture rewards and livelihood supply for a length of time. achieving food self-sufficiency, under water and health security, in the midst of urban extremely pretty and beautiful urban environment, from high-rise palaces, luxury health security in middle of a beautiful urban environment of high castles and luxurious houses and religious temples and fortresses impregnable, while it changed due the behavior of its people when the almighty Allah shed them by a punishment ;so that the Sabena life has got a controversial picture of damage, poverty, loss of wealth, authority and power thus followed by the immigration and isolate areas ended by being a silent place of a empty thrones opened on surprising civilized destroyed scene.

From this perspective, this study aimed after drilling and exploration by capturing the scene of spatial polarity in the shape of questions:

1-Following the manner in how that has been drawn by the sacred religious scripts, historical and trip image of the Sabena place؟

2-The way to monitor the aesthetic image of the livelihood Sabena place, then the repercussions of collapsed civilized scene in the Quranic text, and then in the ancient Arabic poetic texts Al- Tallaliya.

3-Viewing the intellectual and artistic contexts of expression and the Quranic artistic graphics, in its illustration of the learned spatial Sabena which lacks the human presence.

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: فهرس الآيات القرآنية

السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة:		
(خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا)	259	4-12-15
(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ...)	136	
(فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ)	37	4
سورة آل عمران:		
(فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ....)	184	66
سورة المائدة:		
(مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ)	75	11
(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا ...)	48	105
سورة الأنعام:		
(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)	11	23-82
(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ ...)	42	68
سورة الأعراف:		
(تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا ....)	101	58
(فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)	176	60-64-73
(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ ....)	59	74
(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ...)	65	74-95-100
(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ....)	73	74

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا ...)	80	74
(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ....)	85	74
(قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ....)	128	74
سورة هود:		
(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ....)	50	75
(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ....)	61	76
(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ....)	84	76
(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ)	100	72-67
(وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ .....)	101- 102	72 72
(وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ ....)	120	50
سورة يوسف:		
(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ...)	3	49-50-58- 60
(قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ....)	5	58-62
(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ....)	100	170
(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ....)	109	68
(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ...)	111	60-64
سورة إبراهيم:		
(أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ ...)	9	76
(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا ...)	13-14	
سورة الحجر:		

(فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ)	74	39-37
(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ)	75	39-37
(وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ)	76	41-39-37
(فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ)	79	42
(وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ...)	81-80	84
سورة النحل:		
(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ...)	78	
سورة الكهف:		
(وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ ...)	42	15-12
(وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا)	59	75-71
(قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا)	64	62-58
سورة مريم:		
(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا)	41	74
(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا)	51	74
(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ...)	54	74
(وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ...)	74	74
	98	-17-15-13 91-82-22
سورة طه:		
(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)	5	170
(كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا)	99	
(أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ ....)	128	18-15

سورة الأنبياء:		
(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ ...)	25	67-68
(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ)	48	68
(وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ)	51 72	69 69
(وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ)		
(وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ....)	74	69
(وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ...)	91-75	69
سورة الحج:		
(فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ ...)	45	-37-15-12 -132-43-39
(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ...)	63	171 166
سورة الفرقان:		
(وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ...)	40	44-39-37
سورة الشعراء:		
(فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ...)	-138 140	95 95
سورة النمل:		
(وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ)	6	13-4
(فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ...)	44-22	-116-114 170-128
(فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)	52	-34-17-15

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)	45	-67-39-38 155-112-84
سورة القصص:		
(وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)	11	62-58-51
(وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ)	58	-38-15-13 76
سورة العنكبوت:		
(وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)	35	39-38
(وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمَ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ)	38	-19-15-14 39-38
(فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)	40	76-72
سورة السجدة:		
(أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ)	26	-39-31-19 77
سورة سبأ:		
(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ....)	17-15	-141-84

(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ ....)	15-21	-160-142 189-188 145-112
سورة الصافات:		
(وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ) (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ) (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ) (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (137) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)	71 72 73 -137 138	22 22 22 39-38 39-38
سورة الأحقاف:		
(وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي ....) (أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ ...) (وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ....)	17 18 21 25	12-11 11 84 -19-15-14 84
سورة محمد:		
(وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ ....)	13	67-22
سورة ق:		
(إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ)	17	4
سورة النجم:		
(إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى)	16	151
سورة القمر:		
(كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ...)	18-20	91

سورة الواقعة:		
(فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ)	28	151
سورة الحاقة:		
(كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4) ...)	8-5	90-22
(فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ)	8	
(لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ)	12	33-31

ثانيا: فهرس آيات الكتاب المقدس العهدين: القديم والجديد

الكتاب المقدس	الآية	رقمها	الصفحة
العهد القديم (التوراة) (لماذا يأتيني النبات من شبا وقصب الدزيرة من أرض بعيدة)	نبوءة أرميا الإصحاح 6	27	107
(تجارة شبا ودعمه هم تجارك بأفخر أنواع الطيب وبكل حجر كريم وبالذهب أقاموا أسواقك.....هؤلاء تجارك بنفائس أردية أسمنجونية مطرزة.....بضائعك)	نبوءة حزقيال الإصحاح 27	24-22	107
(سمعت ملكة سبأ بخبر سليمان.....فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جدا، وبجمال حاملة أطيابا وذهبا كثير جدا وحجارة كريمة.....وأعطت الملكة منه عشرين وزنة ذهب..... لم يأت بعد مثل ذلك في الكثرة.....وذهبت إلى أرضها هي وعبيدها)	سفر الملوك الأول الإصحاح 10		108-107

العهد الجديد (الانجيل) (ملكة التيمن ستقوم في الدين مع هذا الجيل وتدينه، لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان)	سفر متى الإصحاح 42	12	110

ثالثا:فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	الراوي	صفحته
" فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي....."	عن جابر بن عبد الله	170
" فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء..."	عن زهير بن حرب	171
" اهتز العرش لموت سعد بن معاذ "	عن جابر بن عبد الله	171
" اهتز عرش الرحمان لموت سعد بن معاد "	عن جابر بن عبد الله	171
" مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء، لا يسقط ولا يتحات "	عن محارب بن دثار	166
" اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب وبلاء ولا هم ولا غرق، اللهم على الظراب ومنابت الشجر اللهم حوالينا ولا علينا "	عن خالد بن رباح	168
" اللهم صيبا نافعا "	عن عائشة	168
" اللهم اجعله صيبا نافعا "	عن عائشة	168

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا : فهرس الأماكن :

(أ)

الأحقاف: 11-19-84-85-92

الحجر: 39-84

الأعراف: 60-64-73-74-95-100

الكهف: 71-75

15-12

اليمن: 29-106-107-110-123-130-133-164

الشام: 41-107-110

أورشليم: 107-109

القشيب: 129

الحجر: 129

القليس: 135

(ث)

ثمود: 29

(س)

سبأ: 29-84-89-105-106-107-110-111-112-113-114-115-116-117-118-119-121-122-123-124-125-126-127-128-131-132-136-141-142-143-144-145-146-147-148-149-154-156-160-161-162-164-165-167-174-181-183-184-185-186-187-188-189-190

(ش)

شبا: 107-125

(ع)

عاد: 29

(غ)

غمدان: 129

(ق)

قرى لوط: 29

(م)

مدين: 29

مأرب: 117-126-132-133-134-135-185-186-187

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامسا: فهرس الأعلام

(أ)

آدم: 4

ابن منظور: 3-5-49-50-52-53-150-151-152-162-169-171

الزمخشري: 3-9-52-150-151-162-164

ابن حزم: 36

ابن فارس: 7-52-170

الرازي (محمد بن أبي بن عبد القادر) 8-11-13-52-170

الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) 8-11-13

أحمد (أبو حاقة): 8-11

المسيح (عليه السلام): 11-12

ابن الكثير: 12-59-117-118-152-153-154-162-

النسفي: 12-18-19-59-115-145-147-157-

السجستاجي أبو بكر محمد بن عزيز: 13

البقاعي (برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر): 16-32

القاسيمي: 17-19-33 -58-83-114-153

بن عاشور (محمد الطاهر): 17-162

السيد عبد الحافظ: (عبد ربه): 28-114

الطاهر (عبد المسلم): 30-42

السيد إبراهيم: 31

الطاهر بن (خرف الله): 36

القشيري: 37

بن رشيق القيرواني: 42

الشوكاني: 16-17-44-49-60-87-115-166

أحمد رضا: 49-50

ابن الجوزي: 50-51-65-187

إبراهيم (صحراوي): 50-51-53-63-73-73-185-186

أبو جلال العسكري: 50-51-52-54-168

الجاحظ: 57-185

الطاهر أحمد المكي: 61

أحمد (بعبحت): 63

آل عمران: 66

إبراهيم عليه السلام: 76

أحمد مرشد: 6-82-181

البيروني (أبو الريحان أحمد): 86

أحمد إسماعيل (النعيمي): 86

أحمد حسن (الباقوري): 88

الرماني: 88

الجرجاني (عبد القاهر): 88

الخطابي: 88

الدار قطني (علي بن عمر): 89

ابن جني (أبو الفتح عثمان): 93

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله مسلم): 96-97

أحمد (ياسوف): ت

أرميا: 107

أيوب: 107

إسرائيل: 109

أحمد مصطفى (المراغي): 115-116-189

أحمد بهجت: 119

ابن جرير (الطبري): 119-183

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أحمد أمين (سليم): 121-138

اليوس (غالوس): 122

البلخي: 122-163

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي): 123-130-144-147-165-183-184

الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني): 124-164

ابن خلدون: 128

إبراهيم العدوي: 133

السمين الحلبي: 149

الأصفهاني (الراغب): 151

الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم): 154

السيجستاني (أبو بكر محمد بن عزيز): 156-162-170

أحمد جاد: 159

ابتسام (مرهون): 161

ألبرت (شوندور): 164

البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله): 166

الزوزني (أبو عبد الله الحسين بن أحمد): 169

الشنتمري (الأعلم): 170

القزويني (زكرياء بن محمد): 178

الآلوسي (محمد شكري): 178

أوريدة (عبود): 180

أوستن (وارين): 180

أر رانيلا: 182

أنس (داود): 184

(ب):

بشير (ابرير): 35

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسام ساعي: 61-63

باديس (فوغالي): 85-132-134-136

بلقاسم (بلعرج): 92

بسيوني (عبد الفتاح قيود): 93

بلقيس: 107-119-129-182-183

بلينوس: 122

بغداد (أحمد بلية): 130-146

بسام فطوس: 143-144-145

بول ريكور: 184

(ت):

توفيق الحكيم: 181

(ج):

جنيت (جرار): 6-54-180

جنيت (ميتران): 180

جمال (العيفة): 30-35-42-43-85-130

جلال الدين (المحلي): 42

جلال الدين (السيوطي): 42-99-145

جهاد (عطامسية): 125

جواد علي: 135-138

(ح):

حسن مجيد (العبيدي): 10

حسين محمد (خلوف): 12

حبيب (مونسي): 81-87-23-155-157

حسن سلمان: 28

حفناوي بعلي: 43

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حسين مسكين: 57-168-187

حزقيال: 106-107-125

حميدة كمداني: 148

حسن البحراوي: 160-166

حسن إسماعيل: 168

(خ):

خالد (فائق لعبيدي): 25-127-188-189

خليل إبراهيم (صاحب): 34

خليل (مارون): 177

(د):

دومنيك (مانغو): 144

(ر):

روبرت (هولب): 4

رضا (فؤاد علي): 26

رشيد (نظيف): 27

رينيه (ويليك): 180

رجيس (بلاشر): 181

(ز):

زكي (مباركي): 49

زياد خليل (الدغامين): ب

(س):

سليمان (عليه السلام): 107-108-109-110-

سليمان (حزين): 29

سعد حسن (الكموني): 33-34-143-

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سـليمان عشـراتي: 38-47-55-56-61-64-67-70-71-75-77-81-95-157-158-160

سيد (قطب): 97-98-116-146-155-157-172-

سيد فرح (راشد): 109-

سالم بن سالم (الصوني الغنري): 123

سوسن (البياتي): 136

سيزا (قاسم): 157-176

سميح عاطف (الزين): 148-163

سعيد (يقطين): 186.

(ش):

شايف (عكاشة): 30-33-124

شهلة (برهان عبد الله): 56

شلوميت (ريمون): 57-90

شرف الدين (ماجدولين) 127

شعيب (حليفي): 174

(ص):

صلاح الدين (أرقة دان): 17-19-168

صاعد (الأندلسي): 185

(ض):

ضياء (الكعبي): 47

(ط):

طاهر (عبد مسلم): 128

(ع):

علاء الدين (المدرس):

عبد الفتاح (لاثنين): 30

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد الله (إبراهيم): 47-57-60

عبد المالك (مرتاض): 56-57-165-184

عبد الكريم شرقي: 81

عاد: 11-19

عباس (خضر): 88-89

علي محمد معطي: 16-125-126-132-133

عبد الحميد ابن باديس: 116-161

عبد الوهاب التجار: 119

عبد العزيز سالم: 121-129-131

عبد العزيز صالح: 121-136-137

عبد اللطيف (عبد الهادي السيد): 122-135

عدنان (ترسيسي): 124-125-130-131-164

عبد الرحيم: (مؤذن): 128

عبد الله (أبو هيف): 137

علي الخطيب: 143

عبد الحق بلعابد: 144

عبد المعز خطاب: 156

عائشة عبد الرحمان: 163

عبيدة صبطي: 165-166

علي البطل: 167

عبد الله عبد السلام الحداد: 174

عبد الله البردوني: 177

عزيزة مريدن: 182

عفت الشرقاوي: 183

(غ):

غاستون باشلار: 124

غوستاف لوبون: 167

(ف):

فؤاد علي رضا: 62

فراح سواح: 106-136

فيليب حتى: 122-125-137-164

فاروق خورشيد: 182

فاضل الربيعي: 185

فاروق أحمد سليم: 191

(ق):

قدور عبد الله: 40

قريش: 41

(ك):

كاظم مؤنس: 27

كمال حسن المحامي: 91

كمال موريس: 156

كمال أبو ديب: 160-188

كريمة بلخامسة: 168

كارنس: نيبور: 191

(ل):

لعموري عليش: 10

لطفي عبد الوهاب يحي: 129-133

لبيد: ابن ربيعة: 187

(م):

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ميشال واست: 3

محمد عباس عبد الواحد: 4

موسى ربابعة: 6-74-130-136

محمد الخوجة: 6-14-

محمد محمود الحجازي: 25

مريم عليها السلام: 11-12-13-17-74-82

مأمون فريد جرار: 18

محمد طول: 25-71-93

محمد سعيد عطية علي مطاوع: 25-28-55-61-62-

محمد صالح خرفي: 29-44

محمد الدالي: 32-73-96-98

محمد مريني: 33

محمد بشر النيفر: 37-62-80

مقاتل أبو الحسن بن سليمان: 41

محمد يوسف نجم: 41-94

محمد مصباحي: 42

محمد سليمان الأشقر: 18-19- 43-51-84-85-151-153-170

محمد عجينة: 63-183-186-188

محمد بن احمد جملان: 65-72-79-91-145

محمد عليه الصلاة والسلام: 23-67

محمد كريم الكواز: 71

(م):

محمد السيد حسن مصطفى: 71-80-100

محمد الغزالي: 73

ماهر حسن فهمي: 91

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمد شديد: 91

مصطفى الهادي تاجوني: 91

محمد مفتاح: 91

مصطفى محمود: 93

محمد إبراهيم مرسي: 106-107-110

محمد بيومي مهران: 108-121

محمد عزة دروزة: 109

مصطفى كمال عبد المنعم: 109

محمد عبيد صالح المسواني: 118

محمد متولي الشعراوي: 119

محمد عبد العالي: 127-171

محمد صادق صبور: 133

محمد السيد أيوب: 135

محمد متولي الشعراوي: 159

محمد ناصر بوحجام: 161

مختار علي أبو غالي: 166

مسلم بن حجاج أبو الحسن النيسبوري: 170

محمد عبيد صالح: السبواني: 177

محمد عبد الرحمان يونس: 183

محمد جاسم الموسوي: 186

(ن):

ناصر الدين الأسد: 42-47

نجوى الرياحي: 54-55-56

نشأة محمد رضا ضبيان: 93

ناجي معروف: 163

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نجيب بخوش: 165-166

(ه):

هانس روبرت : 4

هود عليه السلام: 50-67-72-75-76

هاشم يحي الملاح: 137

(و):

وهبة الزحيلي: 16-17-51-58-60-68-90-149-168

وهبة أحمد رومية: 41

يحي هارون: 23-71-132

يوسف عليه السلام: 49-50-60-64-170

يمني العيد: 94

يوسف ناجي: 101

ياسين صلواتي 107-126

ياقوت الحموي: 143-179

يوسف اليوسف: 187

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- **الكتاب المقدس(العهدين القديم والجديد)**

أولا: كتب الحديث النبوي الشريف

1. أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي – سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب،ط.2، 1986 م.

2. أبو عبد الله محمد بن يزيد القروني الملقب بابن ماجة، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط.1،2009م.

3. ا أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان لشافعي، مسند الشافعي، ترتيب: محمد عابد السندي، نشر وتصحيح ومراجعة: يوسف على الزواوي وعزت العطار الحسيني، دار الكتب العلمية بيروت، ط.1، 1951 م.

4. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ط.1.

5. محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن معبد التميمي، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.2، 1993 م.

6. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.4، 1915 م.

7. علي بن عمر الدراقطني، كتاب باب النوادر والأحاديث المتفرقة عن ابن عباس، عالم الكتب، بيروت، د.ط، ج 4، 1986 م.

ثانيا: كتب التفسير القرآني

1. ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1984 م.

2. الإمام القشيري، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة، القاهرة،ط.3، 2000 م.

3. أبو الحسن مقاتل بن سليمان بشير الأرذي، تفسير مقاتل، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 2003 م.

4. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع،

بيروت، ط.1، 2002 م.

5. أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، دار الفكر، بيروت، ط.3، 1974 م.

6. برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تخريج: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1995 م.

7. جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، تح: محمد صادق قمحاوي، مكتبة رحاب، الجزائر، د.ط، د. ت.

8. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط.10، 1982 م.

9. سليمان عبد الله الأشقر، زبدة التفسير، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط.5، 2006 م.

10.عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير في كلام الحكيم الخبير، اخراج أبو عبد الرحمان محمود، دار راشد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر، ط.1، 2009 م.

11.عبد الله بن أحمد النسفي، تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: مروان محمد الشقار، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط.2، 2009 م.

12.عائشة عبد الرحمان، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط.6، 2005 م.

13.القاسمي، ري الغليل من محاسن التأويل –مختصر تفسير القاسمي، اختصار صلاح الدين أرقه دان، دار النفائس، الأردن، د، ط، 1994 م.

14.محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط.7، 2005 م.

15.محمد متولي الشعراوي، زبدة التفاسير، تقديم: عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ط، 2004 م.

16.محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ط، 1997 م.

17.محمد بن علي محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مراجعة: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط.2، 2004 م.

18.محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.3، 1987 م.

ثالثا: كتب البلاغة والإعجاز واللغة النحو

1.أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد إبراهيم الميداني، مجمع الأمثال، تج أبو الفصل إبراهيم، المكتبة

العصرية، بيروت، ط.1، 2007 م.

2.أبو عثمان عمر وبن بحر بن محبوب البصري الجاحظ، رسائل الجاحظ، شرح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 2000 م.

3.أبو العباس المبرد، الكامل في اللغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وسيد شحاتة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د.ط، 1956 م.

4.أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، 1952 م.

5.أبو محمد بن عبد الله مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرح: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط.2، 1973 م.

6.ابتسام مرهون صفار، جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، عمان، ط.1، 2010 م.

7.أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط.1، 1994 م.

8.أحمد حسن الباقوري، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، دار المعارف: القاهرة، د.ط، 1978 م.

9.بسيوني عبد الفتاح قيود، روافد نهر الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط.1، 2010 م.

10.جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 2008 م.

11.الرماني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل في الإعجاز، تح: أحمد خلف الله، وزغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط.4، 1991 م.

12.زياد خليل محمد الدغامين، إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي، دار النبيل للنشر،أزمير، ط.1، 1988 م.

13.سعيد عطية علي مطاع، الإعجاز القصصي في القرآن، دار الآفاق العربية القاهرة، ط1، 2006م.

14.سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط.1، 1998 م.

15.سميح عاطف الزين، الأمثال في القرآن الكريم.

16.سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط.13، 1983 م.

17.شايف عكاشة: في القرآن والانجيل والتوراة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط. 1998 م.

18.شايف عكاشة، الإعجاز والغيب، في ضوء المنهج الذاكري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط. 1999 م.

19.عبد الفتاح لاشين، صفاء الكلمة، دار المريخ للنشر، الرياض، د. ط، 1982 م.

20.علي الخطيب، تأملات في سورة سبأ، دار المعارف، القاهرة، ط.1، 1985 م.

21.فؤاد علي، من علوم القرآن، دار اقرأ، بيروت، ط. 1، 1982 م.

22.محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، دار الكتب الحديثة القاهرة، د. ط، 1970 م.

23.محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، تقديم: محمد بن موسى بابا عمي، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط.1، 2008 م.

24.محمد السيد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط.1، 1981 م.

25.مصطفى محمود، القرآن محاولة لفهم عصري، دار الشروق، بيروت، د.ط، 1970 م.

26.محمد ناصر بوحجام، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث، 1925-1976،المطبعة العربية، غرداية، ط.1، 1992 م.

27.نشأة محمد رضا ضبيان، علوم اللغة العربية في الآيات المعجزات، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط.1، 1997 م.

رابعا: كتب القصص

1. أبو إسحاق أحمد بن محمد ابراهيم الثعلبي، قصص الأنبياء المسمى بعرائس المجالس مطبعة عاطف،مصر،د ط د ت.

2. ابن جرير الطبري، قصص الأنبياء،تحقيق جمال بدران، الدار المصرية ط1 1994م.

3. محمد متولي الشعراوي،قصص الأنبياء، المكتبة التوفيقية،القاهرة،د ط،د،ت.

4. ابن الجوزي،كتاب القصاص والمذكرين، تحقيق محمد لطفي الصباغ،المكتب الاسلامي، بيروت ط،2 1988 م.

5. ابن كثير، قصص الأنبياء،مراجعة وتحقيق،عبد القادر يعرب،دار الكتاب لحديث،القاهرة،دط،د ت.

6. أحمد بهجت،قصص الحيوان في القرآن،دار الشروق،بيروت،ط،3 1995م.

7. أحمد جاد،قصص النساء في القرآن الكريم، دار الغد الجديد،مصر، ط 1 2005 م.

8. سليمان عبد الله الأشقر، صحيح القصص النبوي،دار النفائس للنشر والتوزيع،الأردن،ط،2 1997 م.

9. السيد عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت،ط،1.1972م.

10.عبد الوهاب النجار،قصص الأنبياء،مكتبة رحاب،الجزائر ط،2 1987 م.

11.كمال حسن المحامي، القرآن والقصة الحديثة، دار البحوث العلمية،بيروت ط،1 1970 م.

12.مأمون فريز جرار،خصائص القصة القرآنية، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ط 1، 1998 م.

13.محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، أمون للطباعة والنشر، القاهرة ط،1 1993م.

14.محمد طول، البنية السردية في القصص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،د،ط 1991م.

15.محمد بشير النيفر، القرآن والقصص،مطبعة الشمال الإفريقي، تونس ط 1 1350ه.

16.محمد كريم الكواز،مملكة الباري السرد في قصص الأنبياء، دار الانتشار العربي،بيروت ط،1 2008 م.

17.محمد شديد، منهج القصة في القرآن، شركة مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع،السعودية،ط،1 1984م.

خامسا: كتب الأدب والنقد

- الطاهر احمد مكي، الأدب المقارن أصوله وتطويره ومناهجه، دار المعارف، القاهرة. ط1،2005 م.

42- الطاهر عبد المسلم عبقرية الصورة والمكان، الشروق للنشر والتوزيع، الأردن. ط،1 2002 م.

-إبراهيم صحراوي، السرد العربي ا لقديم الأنواع والوظائف والبنيات، منشوارت الاختلاف،الجزائر ط، 1،2008 م

- أبو الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

1-ار رانيلا، الماضي المشترك بين العرب والغرب، ترجمة،نبيلة إبراهيم وفاطمة موسى عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، العدد 241، 1999م.

2-أنس داود، الأسطورة في الشعر العربي الحديث، مكتبة عين شمس، القاهرة، د،ط. 1975م

5-أحمد بسام ساعي، الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، دار المنارة للنشر،جدة، ط1، 1985م.

6-أحمداسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، سينا للنشر القاهرة، ط،1 1995م.

7-اوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دار الامل للطباعةو النشرو التوزيع الجزائر. د، ط،2009م.

8- باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث،الأردن، ط 1،2008م.

9- بسام فطوس سمياء العنوان، دائرة المكتبة الوطنية للمطبوعات والنشر، عمان ط،1، 2001م

10-بشرى موسى صالح،نظرية التلقي أصول وتطبيقات،المركزالثقافي العربي،الدارالبيضاء ط1،2001 م.

11-بغداد أحمد بلية، سيمياتيات الصورة، منشورات دار الأديب، وهران، د،ط 2008م.

12- بول ريكور، الوجود والزمان والسرد،ترجمة: سعيد الغاني، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط. 1999 م

13- توفيق الحكيم، سليمان الحكيم، دار مصر للطباعة، القاهرة ط، 2، 1988 م.

14- جنيت وآخرون، الفضاء الروائي، ترجمة:عبد الرحيم حزل، افريقيا الشرق، الدار البيضاء د، ط،2002م.

15- جيرار جنيت، خطاب ا لحكاية، ترجمة محمد معتصم وأخرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط،3، 2003 م.

16- جهاد عطا بغيسة، الرواية والسرود السمعية والبصرية: الرواية والسينما، الكويت، د.ط، 2004م.

17. حامد خفني داود، المنهج العلمي في البحث الأدبي، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، د.ط 1983 م.

18- حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د،ط 2001 م

19- حبيب مونسي، شعرية المشهد في الإبداع الأدبي، ديوان المطبوعت الجامعية، ط،د،د 2011 م.

20 – حبيب مونسي، المشهد السردي في القران الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر د.ط،2010 م

21- حبيب مونسي، نظريات القراءة في النقد المعاصر، منشورات دار الأديب، وهران، د، ط، 2007م

22- حسن البنا عز الدين، نظرية التلقي وتطبيقاتها في النقد الأدبي العربي المعاصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د،ط 2008م

23- حسن مجيد العبيدي، نظرية المكان في الفلسفة الإسلامية – ابن سينا نموذجا – دار نينوى للدارسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط، 1، 2007 م.

24- حسن مسكين، الخطاب الشعري الجاهلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط، 1 2005م.

25- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.ط 1، 1990م.

26- حميدة لحميداني، بنية النص السردي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.2003م

27- دو منيك ما نغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب،ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط. 1، 2008م

– خليل مارون،شعراء الامكنة واشعارهم في معجم البلدان لياقون الحموعي، مراجعة: ياسين الايوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1997م

28- رشيد نظيف، فضاء المتخيل في الشعر الجاهلي،شركة النشر والتوزيع، المدارس الدار البيضاء ط،1 2006 م.

29-رجيس بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة، إبراهيم الكيلاني، الدار التونسية للنشر، تونس د، ط، 1986 م.

30-ريني ويليك، واوستن وارين، نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط. 2، 1981 م.

31- روبرت هولب، نظرية التلقي،ترجمة عز الدين،إسماعيل،النادي الأدبي الثقافي،جدة،د، ط،2004م

32-زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، دار الجيل،بيروت،د، ط 1931 م

33- سعد حسن كموني، الطلل في النص الشعري العربي، دار المنتخب العربي للدارسات والنشر والتوزيع، بيروت،ط، 1 1999 م.

34- سعيد يقطين، السرد العربي مفاهيم وتجليات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط.1، 2012 م

35- سيزاقاسم، بناء الرواية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، د.ط،2004م.

36-سوسن البياتي، آساطير العراق القديم البابلية والسومرية دراسة في شكلها السردي-دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2010م

37- شرف الدين ماجدولين، حكايات صور، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط.1، 2009م.

38 شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرؤة، ط2006.1م.

39- شلوميت ريمون كنعان، المتخيل القصصي، ترجمة: لحسن حمامة، دار التكوين والتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط.1، 2010م

40- صاحب خليل إبراهيم، الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام، منشوارت اتحاد الكتاب العرب،ط،د،ط 2000 م.

- ضياء الكعبي، السردالعربي القديم الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، دار فارس للنشر والتوزيع، الأردن،ط،1، 2005م

43- عبد الله البردوني، الأعمال الشعرية. الهيئة العامة للكتاب، صنعاء ط،1 2002 م

44-عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية، منشورات الاختلاف، الجزائر ط.2، 2005م

45- عبد الرحيم مؤدن، الرحلة في الأدب المغربي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ط،2006م.

46- عباس خضر، القصة القصيرة في مصر، الدار القومية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط.1966م

47- عثمان بن عمر بن بحر الجاحظ: الحيوان، ترجمة عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط، 3. 1969 م

48- عبد الحق بلعابد، عتبات، تقديم: سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط.1، 2008م.

49- عبد المالك مرتاض، السبع المعلقات، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،د، ط، 2012م

50- عبد المالك مرتاض، الميثولوجيا عند العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د، ط 1989 م

51- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة الكويت، العدد 240،1998 م.

52-علي البطل، الصورة في الشعر العربي، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط،2 1981م

53-عبيد صبطي، ونجيب بخوش، الدلالة والمعنى والصورة، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر ط1. 2009م

54-عبد الكريم شرفي،من فلسفة التأويل إلى نظريات القراءة،منشورات الاختلاف،الجزائرط1. 2007 م.

55- عفت الشرقاوي، أدب التاريخ عند العرب، مكتبة شباب مصر، القاهرة، ط، ت

56- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة، غالب هلسا المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط.5، 2000 م.

57- فاروق أحمد سليم، الانتماء في الشعر العربي،منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق د.ط، 1989م.

58- فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط.1، 2004

59 – فتيحة كحلوش، بلاغة المكان، دار الانتشار العربي، بيروت، ط، 1.2008 م.

60- فضل الربيعي، إرم ذات العماد، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط.1، 2000م

61-كاظم مؤنس،دراسات نقدية في جماليات الخطاب البصري،عالم الكتب الحديث،الأردن،ط 1،2006م.

62- كمال أبو ديب، الرؤى المقنعة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة د.ط، 1986 م

63- لعموري عليش،إشكالية المكان والزمان في فلسفة بن سينا، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،د،ط 2010م.

64 –ماهر حسن فهمي، قضايا في الأدب والنقد دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدوحة، د، ط،1986م.

65-مختار علي أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، الكويت، العدد 196 افريل 1995 م

66- مصطفى الصاوي تاجوني،التفسير الأدبي للنص القرآني شركة جلال للطباعة، الإسكندرية، د،ط2007م

- محمد عبد الرحمان يونس، الاستبداد السلطوي والفساد الجنسي، الدار العربية للعلوم نشرون بيروت ط، 1. 2007م.

- محمد جاسم الموسوي، سرديات العصر الإسلامي الوسيط،، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط، 1، 1997 م

67- محمد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر، بيروت، ط، 1 1996 م

68 – محمد مريني، سوسيولوجية القراءة،دار الجسورللنشر، وجدة، ط،1،2007م

69- محمد الخوجة، تجليات المكان في السرد الحكائي العباسي، فضاءات للنشر والتوزيع عمان،ط،1،2009 م.

70-محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.2،1986م

71- محمد عبيد صالح المسهاني،المكان في الشعر الأندلسي، دار الأفاق العربية،القاهرة ط.1، 2007

72 – مجموعة من المؤلفين معجم السرديات دار محمد علي للنشر، تونس ط.1. 2010م

73- مجموعة من المؤلفين، نظرية، التلقي إشكالات وتطبيقات، منشورات كلية الادب والعلوم الانسانية الرباط، د، ط، 1993 م.

75- مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العزية للدراسات والنشر، بيروت، ط2005،1 م.

76-محمود شكري اللوسي البغدادي،بلوغ الإردب في معرفة أحوال العرب، شرح:محمد بهجت الاثري دار الكتب العلمية، بيروت، د،ط،د،ت

77 – محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي، دار الفكر العربي، القاهرة د.ط.1996م

78- موسى ربايعة، جماليات الأسلوب والتلقي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان،ط،1 2008 م.

79- مريدن عزيزة،القصة الشعرية في العصر الحديث. دار الفكر، دمشق، ط.1، 1984 م

80- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت، ط 8 1996 م.

80 هانس روبرت ياوس، جماليات التلقي، رشيد بن حدو، المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة د. ط.2004 م

81- وهبة أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب،الكويت العدد 207، 1996 م.

81-يمني العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج ابنيوي،ط، 1990م.

82-يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي، دمشق منشورات وزارة الثقافة والارشاد دمشق د.ط1975 م.

سادسا: كتب التاريخ والحضارة

1.أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط.3، 1958 م.

2. أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، الآثار الباقية من القرون الخالية، مكتبة المتنبي، القاهرة، ط.1، 1923 م.

3. أحمد أمين سليم، جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية،

الإسكندرية، د.ط.د.ت.

4. جواد علي، المفصل في أديان العرب قبل الإسلام، دار الشعاع القاهرة، ط.1، 2004 م.

5. حسن سلمان، النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط.1، 1986 م.

6. حسن اسماعيل، الدلالات الحضارية في لغة المقدمة عند ابن خلدون، دار الفارابي، بيروت،ط.1، 2007 م.

7. زكرياء بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر،ببيروت،د.ط،1998 م.

8. سالم سمران سالم الضوي العتزي، طرق القوافل وآثارها في شمال جزيرة العرب، خطوات للنشر والتوزيع، دمشق، ط.1، 2007 م.

9. صابر طعمة، التاريخ اليهودي العام، دار الجيل، بيروت، ط.2، 1991 م.

10.صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تح: حياة العيد بوعلوان، دار الطليعة، بيروت، ط.1،1985 م.

11.عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مطبعة جامعة القاهرة، د.ط، 1992 م.

12.عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1971 م.

13.عبد اللطيف عبد الهادي السيد، جزيرة العرب قبل الإسلام، عصر الجاهلية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية،ط.3، 2008 م.

14.علي محمد معطي، تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام، دار المنهل اللبناني مكتبة رأس النبع، بيروت، ط.1، 2003 م.

15.عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، 1983 م.

16.عدنان ترسيسي، بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى، دار الفكر، بيروت، ط.2، 1990 م.

17.غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر، ط.4، 1964 م.

18.فراح سواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، دار علاء للنشر، دمشق، ط.4،2000 م.

19.فليبي حتى وآخرون، تاريخ العرب المطول، دار الكشاف، ط.4، 1965 م.

20.كاريتسن نيبور، الرحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، ترجمة: عبير المنذر، دار الانتشار العربي، بيروت، ط.1، 2007 م.

21.لطفي عبد الوهاب يحي، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط.2، 1979 م.

22.محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 1995 م.

23.محمد بيومي مهدان، بنو إسرائيل، دار المعرفة، الإسكندرية، ط.1، 2008 م.

24.محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط.2، 1969 م.

25.مصطفى كمال عبد المنعم وسيد فرح راشد، اليهود في العالم القديم، دار القلم، دمشق، ط.1، 1995 م.

26.محمد صادق صابور، موجز تطور الحضارات الإنسانية، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط.1، 2006 م.

27.هارون يحي، الأمم البائدة، ترجمة: ميسون نحلاوي، مراجعة أود خان محمد علي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط.1، 2003 م.

28.ناجي معروف، أصالة الحضارة العربية، دار الثقافة، بيروت، ط.3، 1975 م.

29.هاشم يحي الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت،ط.1، 2008 م.

30.ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط.8، 2010 م.

سابعا: كتب الثقافة العامة

1. ابن حزم، طوق الحمامة، تقديم: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط.1، 2003 م.
2. أحمد بهجت، أنبياء الله، دار الشروق، بيروت، ط.2، 1993 م.
3. أحمد حامد الديلمي، المياه في القرآن، دار النفائس، بيروت، ط.1، 2002 م.
4. خالد فائق العبيدي، المنظار الهندسي للقرآن الكريم، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط.3، 2009 م.
5. سالم المعوش، المدينة العربية بين عولمتين، دار النهضة العربية، بيروت، ط.1، 2006م.

6. سليمان حزين، أرض العروبة رؤية حضارية في المكان والزمان، الهيئة المصرية، القاهرة، ط.1، 2007 م.

7. السيد أحمد المليجي، علم النبات في القرآن الكريم، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، د.ط.2005 م.

8. شهلة برهان عبد الله، الدعوة الإسلامية وحياة البداوة، دار الكتب العلمية،بيروت،ط1، 2008 م.

9. عبد الله عبد السلام الحداد، صنعاء تاريخها ومنازلها الأثرية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط.1، 1999 م.

10.عبد المعز خطاب، عشرون امرأة في ضوء القرآن الكريم، مكتبة رحاب، الجزائر، د.ط،د.ت.

11.علاء الدين المدرس، عولمة اللغة والتاريخ وفق المنظور القرآني ومسطرته، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط.1، 2008 م.

12.محمد عبد العال، العمران والعمارة في الوطن العربي، دار المعارف، القاهرة، ط.2، 1984 م.

13.محمد السيد أيوب، اليمن بين القات وفساد الحكم قبل الثورة، دار المعارف: القاهرة،د.ط، 1963م.

ثامنا: القواميس والمعاجم العربية والأجنبية

1. أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، غريب القرآن، المؤسسة الوطنية للفنون والطباعة، د.ط، 1990 م.

2. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.2، 2008 م.

3. أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا،الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تع: أحمد حسن بسيح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1997 م.

4. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور،لسان العرب، دار صادر، بيروت،ط.6،2008م..

5. أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة، تح: فائز محمد وإميل يعقوب، دار الكتاب العربي، ط4، 1999 م.

6. أحمد رضا، متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ط، 1960 م.

7. جار الله فخر الخوارزم محمد بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 2005 م.

8. الحسن بن عبد الله، أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تح: جمال عبد الغني مدغمش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.1، 2007 م.

9. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ضبط ومراجعة: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط.1، 1998 م.

10.صبحي عبد الرؤوف نصر، المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، دار الهدى، الجزائر، د.ط، 1990 م.

11.محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، د.ط، 1995 م.

12.محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ضبط وترتيب: محمد سعيد اللحام، دار المعرفة، بيروت، ط.8، 2010 م.

13.محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراح، مراجعة اللجنة الفنية للإرشاد والأنباء، مطبعة حكومة الكويت، د.ط، 1965 م.

14.قاموس الكافي، شركة المستقبل الرقمي، بيروت، ط.5، 2012 م.

2003.،Alger،éditions Achoche،15-Dictionnaire élkenz

1997.، érireux،imprimerie lérissay،l،16-Dictionnaire du français

prited ، dictionary، the new method te english،17-Micheal west

1937.،fifth impression،in great britain

تاسعا: الدواوين الشعرية

1.أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، ضبط وتقديم وشح: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم أبي الأرقم، بيروت، د.ط، د.ت.

2.أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، تح: طلال أحمد، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط.1، 2002 م.

3.أحمد بن الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.2، 2002 م.

4.الأعلم الشنتمري، شرح شعر زهير بن أبي سلمى، تح: فخر الدين قيادة، دار الفكر، دمشق، د.ط، 2002 م.

عاشرا: الموسوعات العلمية

1. سوزان عكازي، موسوعة الأسماء العربية، دار الفكر العربي، بيروت، ط.1، 2003 م.

2. فيصل الأحمر ونبيل دادوة، الموسوعة الأدبية، دار المعرفة، الجزائر، د.ط، 2009 م.
3. كمال موريس شربل، الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، دار الجيل، بيروت، ط.1، 1998 م.
4. مجموعة من الباحثين، موسوعة عالم الأديان، دار النشر والتوزيع، نوبليس، بيروت، ط2، 2005 م.
5. مجموعة من الباحثين، الموسوعة العربية والعالمية، مؤسسة أعمال للنشر والتوزيع، الرياض، ط.2، 1999 م.
6. وهبه الزحيلي وآخرون، الموسوعة القرآنية الميسرة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط.2، 2002 م.
7. ياسين صلاوتي، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط1، 2001 م.

حادي عشر: الدوريات العلمية

1. مجلة محاور للنقد الأدبي والدراسات الثقافية، القاهرة، العدد 2، 2005 م.
2. مجلة اللغة العربية، الجزائر، العدد 4، 2001 م.
3. مجلة الوسيط في الدراسات الجامعية، الجزائر، العدد 2، ج 11، 2005 م.
4. مجلة التواصل الأدبي، مخبر الأدب العام والمقارن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار، عنابه، العدد 1، 2007 م.
5. مجلة ملتقى السيمياء، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 2، 2002 م.
6. مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، العدد 4، جانفي 2009 م.
7. مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، العدد 70، 2000 م.
8. مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، سوريا، المجلد 27، العدد 1، 2005 م.
9. مجلة دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.
10. مجلة الراوي، دورية تعنى بالسرديات العربية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، العدد 25،سبتمبر 2012م.
11. مجمع اللغة العربية، الجزائر، العدد 13، 2005 م.
12. الدليل الموجز لأشهر المواقع الأثرية وفنون العالم، مجموعة من الباحثين، جمعية الآثاريين العرب، القاهرة، الإصدار الأول، 2001 م.
13. حوليات كلية الآداب، القاهرة، حولية رقم 9، 1988 م.

فهرس الموضوعات

تلقي الأماكن الخاوية في القصص القرآني – سبأ أنموذجا –

عناصر الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	أ
الفصل الأول:الأماكن الخاوية في القرآن الكريم	
(أنواع التلقي وأسس المعرفية)	
المبحث الأول: الأماكن الخاوية والتلقي.....	2
المبحث الثاني: منهج القران في تلقي أماكن الغابرين.....	21
الفصل الثاني:	
التلقي القصصي من الفعالية الإخبارية إلى الفاعلية الاعتبارية	
المبحث الأول: تلقي القصص من دلالة الاصطلاح إلى فعاليته الإخبارية.....	46
المبحث الثاني: القصص القرآني بين القراءة الاستذكارية والفاعلية الاعتبارية في ضوء أدبية التبليغ القرآني.....	78
الفصل الثالث:	
تلقي المكان السبئي في مصادر المعرفة	
تمهيد.....	103
المبحث الأول: تلقي المكان السبئي في المصادر الدينية (نصوص الكتب المقدسة).....	104
المبحث الثاني: تلقي المكان السبئي في المصادر التاريخية (النص السردي التاريخي).....	120

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع

قراءة في المكان السبئي في نص القصص القرآني

(بين جمالية الحضور وتداعيات مشهد الانهدام)

المبحث الأول: التجلي الجمالي للمكان السبئي وثنائية التحول في سورتي النمل وسبأ 140

النص السردي الأول (سورة سبأ)..... 141

- النص السردي الثاني(سورة النمل)..... 154

المبحث الثاني: المكان السبئي بين جمالية العمارة والحضور وتداعيات الانهدام والخلو..... 173

أولا: تلقي المكان السبئي: تضاد الأمكنة في حضرة النصوص 175

ثانيا:المكان السبئي ومشهد الانهدام الحضاري بين الرؤية العربية والمنظور القرآني 181

خاتمة..... 193

-الفهارس

أولا- فهرس الآيات القرآنية..... 198

ثانيا- فهرس آيات الكتب المقدسة: العهد القديم / العهد الجديد..... 204

ثالثا- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة..... 205

رابعا- فهرس الأماكن 206

خامسا- فهرس الأعلام 208

سادسا – قائمة المصادر والمراجع 219

سابعا – فهرس الموضوعات 234

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية